# علامات الساعة

## الكبرى والصغرى

## وما بينهما من أحداث

الجزء الأول

علامات الساعة الصغرى

حازم إسماعيل السيد

دار

التقوى

للنشر والتوزيع

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

السيد ، حازم إسماعيل

علامـات السـاعة الكبـرى والصـغرى ومـا بينهمـا مـن أحـداث / حـازم إسماعيل السيد . ـ القاهرة : دار التقوى للنشر والتوزيع ، ٢٠١٧.

ج١ ٢٢٤ ص ؛ ٢٤سم . ـ

تدمك ٩٧٨ ـ ٩٧٧ـ ٥٨٤٠ ـ ٩٨ـ١

١ ـ علامات الساعة

٢ـ القيامة ـ يوم

أ ـ العنوان

٢٤٣

الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ – ٢٠١٧م

رقم الإيداع ٢٢٠٧٧ / ٢٠١٧

I.S.B.N 978 -977-5840-98-1

دار التقوى للنشر و التوزيع

٨شارع زكى عبد العاطى من شارع عمر بن الخطاب

عرب جسر السويس – القاهرة – مصر

موبايل : ٠١١٢٦٣٨٨٥٥٠ / ٠١١١١٦٧٥٤٨٦

Email : dar.eltakwa@yahoo.com

# مقدمـة

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ (الأعراف: ١٨٧)

أخبر الله تعالى عن الساعة (يوم القيامة) في كتابه وفيما أوحي به لنبيه ﷺ، فخوَّفَ وأغلظ في الوعيد فهو يوم الفصل ويوم الحساب جعله الله النهاية المحتومة لهذه الدنيا، والعقبة الكؤود[1] التي لابد أن يجتازها حتمًا كلُّ حيٍّ إمَّا إلى جنة النعيم وإمَّا إلى نارٍ تلظَّى.

وقد استأثر الله تعالى بموعدها عنده، وجعلها من مفاتيح غيبه[2] لا يعلمها إلا هو، وما جعل الله الغيب إلا ليعلم من يؤمن به حقًا ممن قال تعالى فيهم:

---

[1] - كؤود: صعبة المرتقى.

[2] - قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ (لقمان: ٣٤).

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ .. ﴾ (البقرة: ٣) – فهي أول صفة ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز في حقِّ عباده المتقين، وذلك لبيان أهميتها وفضلها – أمَّا الكافرون فيكذِّبون بها ويصدُّون الناس عنها، قال تعالى: ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ (طه: ١٦) فالفارق بينهما واضحٌ جليٌّ تأمَّل قوله تعالى: ﴿ يَسۡتَعۡجِلُ[٣] بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّ .. ﴾ (الشورى: ١٨)

ولم يخبر الله تعالى بموعدها من خلقه أحد ويدخل في هذا العموم حبيبه وصفوته من خلقه وأكرمهم عنده محمد ﷺ، فهو سبحانه لم يرسله إلا لينذر بها ويخوِّف منها وليعلم الناس أنَّ الدنيا ليست إلا دار ممرٍّ وأنَّ الآخرة هي دار المقر، وأنَّ الدنيا كما بدأت فهي بلا شكٍ إلى نهاية، قال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الرحمن: ٢٦، ٢٧)، فالله لم يخلق عبثًا، قال تعالى: ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ (القيامة: ٣٦)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الدخان: ٣٨) فالدنيا

[٣] - الاستعجال هنا من باب الاستخفاف والتكذيب والاستعباد والكفر والعناد [تفسير ابن كثير (٤/ ١١٠)].

ليست كما زعم المشركون والملحدون أرحامًا تدفع وارضًا تبلع، إنَّما هي عملٌ بعده حساب.

لقد اقتضت حكمة الله تعالى وسُنَّتُهُ في كونه أن يبهم على الناس أوانها، ويخفي عنهم وقت وقوعها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ (طه: ١٥)، وبذلك يتحقَّق لهم الإخلاص في العبادة، ويصْدُقُ لديهم الخوف والرجاء وعدم الأمن من مكر الله، فيجدُّوا في الطاعات ويلزموا طريق الله من القربات، ولو علم الإنسان موعد أجله لتراخي عزمه وركن إلى الدنيا وملذاتها يَغُبُّ منها غبًّا، وسوَّفَ التوبة وأمهل وانتظر، فإذا قرب وقته وأوشك أوانه عدَّلَ من طبعه وقوَّم من سلوكه حينئذٍ فحسب، وهذا ينافي ما جُبلتْ عليه النفوس الموقنة والعزائم الصادقة المؤمنة بالله حق الإيمان.

إنَّ الله العليم الخبير صاحب الحكمة والتدبير اقتضت حكمته ترتيب الأمور ومخاطبة العقول، وكذلك لأنَّ لكلِّ أمرٍ جللٍ ذي خطرٍ أماراتٍ وعلاماتٍ، فقد أردف الساعة بآياتٍ ساطعةٍ وعلاماتٍ بالحقِّ دامغةٍ لبيان قدرته تعالى وتصرفه في خلقه، ويقول صاحب "التذكرة": إن الحكمة في تقدُّمِ أشراطها

تنبيه الناس من رقدتهم، وحثَّهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة كي يباغتون بقيام الساعة.[4]

كما تأتي هذه العلامات من بين معجزات الرسول ﷺ في باب الإخبار بالغيب، لتكون تذكرة لنا بصدق الرسالة التي بُعث بها الرسول الكريم ﷺ، وتكون المعجزات المستمرة لرسول الله ﷺ، كلما تحققت آيةٌ منها كانت بمثابة معجزة جديدة لنا تثبتنا على الإيمان، كما ثبَّتتْ المعجزات التي حدثت في عهد رسول الله ﷺ أصحابه رضوان الله عليهم على الإيمان، فرسالة رسول الله ﷺ متجددة باشياء نراها تتحقَّقُ الآن، واشياء ستحدث في المستقبل، وكلما حدث شيءٌ قلنا: هذا حقٌّ، ورسول الله حقٌّ، لتكون لفتة إيمانية تعيد الناس إلى المنهج الذي المنهج الذي نسوه وتركوه بمرور الزمن.. فعلامات القيامة فيها تثبيتٌ للإيمان، وفيها إعجازٌ ليفيق الناس الذين غفلوا عن منهج الله، ولكن ليس فيها ما يمكن منه أن نجدد موعد يوم القيامة، ربما يكون الموعد قريبًا، ولكن القريب عند الله ليس بالدرجة التي يكون فيها قريبًا عندنا، فالمقاييس مختلفة والقوانين مختلفة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ (المعارج: ٦، ٧) إذن.. فالقرب والبعد عند الله مختلف عن مفهومنا، الساعة قريبة نعم،

[4] - التذكرة (٢/ ٦٤٨) للقرطبي.

ولكن كم عدد سنوات هذا القرب؟ لا أحد يدري![5] لكن لاشك أنَّ كلَّ آتٍ قريب.

وعلامات القيامة الصغرى التي تحققت في ملخصها إذا أردنا أن نضعها في إطار عام، وهي اختلال الموازيين وانقلاب المبادئ، ففي هذا الكون موازيين أخلاقية كان من المفروض أن تحكم الحياة بين الناس، وهي الطريق السوي الذي لابد أن يسير على هداها البشر في هذا الكون، هذه الموازيين والقيم الأخلاقية التي كانت سائدة يأتي عليها وقت تختل وتهتز وتنقلب، فيصبح ما هو مستنكر واقعًا، وما هو واقعٌ وحقيقةٌ مستنكرًا.[6] ومما ينبغي التنبيه عليه أيضًا أن بعض الناس يفهم من كون الشيء من أشراط الساعة أنَّه محذور وممنوع وهذه القاعدة غير مسلمة، فإنَّه ليس كلُّ ما أخبر الرسول ﷺ بكونه من علامات الساعة يكون محرَّمًا أو مذمومًا، فإنَّ تطاول الرعاء في البنيان، وفشو المال، وكون خمسين امرأة لهن قيمٌ واحدٌ.. ليس بحرام بلا شك، وإنَّما هذه علامات؛ والعلامة لا يشترط فيها شيء من ذلك بل تكون بالخير والشر، والمباح والمحرم، والواجب وغيره، والله تعالى أعلم.[7]

---

[5] - علامات القيامة الصغرى (ص٥- ٧) للشعراوي.
[6] - المصدر السابق (ص١١).
[7] - صحيح مسلم بشرح النووي (١/ ١٥٩).

وقد قسَّم العلماء علامات القيامة إلى قسمين: علامات صغرى، وأخرى كبرى، وجعل الله تعالى الأمارات الصغرى تمهيدًا للعلامات الكبرى التي تتبعها الساعة مباشرة.. وقسَّم العلماء العلامات الصغرى إلى علامات انقضت وتمت، وأخرى لا تزال قائمة، كما قسَّموا العلامات الكبرى إلى أمارات تنفع معها التوبة والأوبة والإيمان بعد الكفر وصالح العمل بعد فاسده.. فهي فتنٌ شديدةٌ ومعتركٌ خطيرٌ يكشف عن حقيقة ذات القلوب ومعادن النفوس، قال رسول الله ﷺ: **"بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنًا ويمُسي كافرًا، ويُمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا يبيع دينه بعَرَضٍ من الدنيا"**.[8] فيثبت المسلم المؤمن ويسمو فوق هذه الفتن، ويهوي الكافر في غياباتها ويغوص في غمارها وحمأتها، ليصدق فيه قول الحقَّ سبحانه: ﴿ **وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾** ﴾ (الأعراف: ١٧٦). ثم تلى هذه العلامات التي تفرَّق بين المؤمن والكافر، بأخرى لا تنفع معها توبة أو إيمان بعد كفر؛ لأنَّ بحدوثها ينتفى معنى الابتلاء الذي يختبر الله به الإنسان في الدنيا فيظهر

[8] - رواه مسلم في صحيحه.

المؤمن ويفتضح الكافر، قال تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ (الأنعام: ١٥٨)، ثم يرحم الله تعالي عباده المؤمنين فيقبضهم إليه فلا تقع عليهم آخر أماراتها ولا يعاينون وقوع الساعة وأهوالها، ولا تقع إلا على شرار البشر الذين لا يؤمنون ببعث ولا نشور فتأتيهم بغتة ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ ﴾ (محمد: ١٨).

المؤلف

القاهرة – الاثنين

٢٤ من رمضان ١٤٣٨هـ

٢٠١٧/٦/١٩م



# الباب الأول : علامات الساعة الصغرى

هي علامات وأمارات أخبر عن وقوعها الرسولُ ﷺ آخر الزمان، قد تحقَّقت ببعثته ﷺ، ثم موته ﷺ، وتتابعَ وقوع تلك الأحداث التي تحقَّق فيها من صدق رسول الله ﷺ وتدخل ضمن معجزاته ﷺ من باب الإخبار بالغيب، وهذه العلاماتُ الصغرى تسبقُ علاماتٍ أخرى أعظم وأكبر هي علامات الساعة العشر الكبرى والتي يعقبها وقوع الساعة مباشرةً، وقد صنَّف العلماء علامات الساعة الصغرى إلى نحو تسعين تزيد قليلاً أو تنقص قليلاً تبعًا لما يرون صحته من الحديث، ويمكن تصنيف هذه العلامات التي تحقَّقت جميعها تقريبًا إلى علامات انقطعت ومضت، وأخرى لا تزال قائمة مستمرة نعيش أحداثها، وقد حاولت في هذا الباب أن أسرد ما تيسَّر لي جمعه منها بشكلٍ مرتبٍ تحرَّيتُ فيه قدر الإمكان التتابع الزمني وتقارب المعاني والأحداث، والعلم عند الله.

## أولاً: علاماتٌ وقعت وانقضت:

وهي علامات صغرى تحقَّقت ومضت بالفعل كما أخبر الرسول ﷺ أولُها بعثتُهُ ﷺ ثم موته ﷺ، وقد تحقَّقت جميعها كما أخبر بها ﷺ، وهي:

### ١ - بعثة النبيِّ ﷺ:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: رأيتُ رسول الله ﷺ قال بإصبعيه هكذا – بالوسطى والتي تلي الإبهام -: **"بُعِثْتُ والساعةُ كهاتين"**،[٩] وعنه رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"مثلي ومثل الساعة كهاتين وفرَّق بين أصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام، ثم قال** ﷺ: **مثلي ومثل الساعة كمثل رجلٍ بعثه قومُهُ طليعةً فلما خشي أن يُسبق ألاح بثوبه[١٠] أُتيتم أُتيتم، ثم يقول رسول الله** ﷺ: **أنا ذلك"**،[١١] وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"بُعِثْتُ أنا والساعةُ كهاتين – يعني إصبعين"**،[١٢] وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: **"بُعِثْتُ أنا والساعةُ جميعًا إن كادت لتسبقني"**،[١٣] وعن قيس بن أبي حازم عن أبي

---

[٩] - رواه البخاري في صحيحه (٤٥٥٥)، ومسلم في صحيحه (٥٢٤٤).

[١٠] - ألاح بثوبه: أخذ طرفه بيده ثم أداره ليريه من يحب أن يره من مكان بعيد.

[١١] - رواه أحمد في مسنده (٢١٧٤٣).

[١٢] - رواه البخاري في صحيحه (٦٠٢٣)، ومسلم في صحيحه (٥٢٤٥)، وأحمد في مسنده (١١٧٩٧) بزيادة: "واشار بالسبابة والوسطى".

[١٣] - رواه أحمد في مسنده (٢١٨٦٩) وانفرد به، وقال ابن حجر في الفتح (١١/ ٣٨٤): إسناده حسن.

جبيرة رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"بُعِثْتُ في نَسِمِ الساعةِ"**.[14] قال صاحب "البداية والنهاية": هو النسيم، وهو أول هبوب الريح الضعيفة ليكون المعنى أنَّه بُعث في أول أشراط الساعة وضَعْفِ مجيئها، وقيل: هو جمع نسمة أي نفس، بمعنى: بعثتُ في ذوي الأرواح خلقهم الله تعالى قبل اقتراب الساعة، كأنَّه قال: في آخر النشء من بني آدم.[15]

قال الحسن البصري[16] ﷺ: بعثة رسول الله ﷺ من أشراط الساعة،[17] وقال الحافظ ابن كثير[18]: بعثة رسول الله ﷺ من أشراط الساعة لأنَّه خاتم الرسل الذي أكمل الله به الدين، وأقام به الحجة على العالمين،[19] وذكر الحافظ ابن حجر[20] في "الفتح" عن الضحَّاك[21] أنَّه قال: أولُ أشراطها بعثة محمد ﷺ.

---

[14] - ذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٨٢٩)، والسلسلة الصحيحة (٨٠٨).

[15] - النهاية (٥/ ٤٩، ٥٠) لابن كثير.

[16] - الحسن بن أبي يسار البصري تابعي جليل ولد عام ٢١هـ. كانت أمه مولاة لأم سلمة زوج النبي ﷺ فكانت ترضعه في غيابها فقيل كان ذلك سببًا في علمه. كان زاهدًا عابدًا، وعالمًا فقيهًا محدثًا روى عن كثير من الصحابة. توفي عام ١١٠هـ.

[17] - تفسير ابن كثير.

[18] - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي. ولد بالشام عام ٧٠١هـ، وانتقل إلى دمشق عام ٧٠٦هـ، وتوفي بها عام ٧٧٤هـ. حافظ ومؤرخ وفقيه له تفسير للقرآن من أشهر كتب التفاسير، و"البداية والنهاية"، و"وطبقات الفقهاء الشافعية".

[19] - تفسير ابن كثير.

[20] - شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني من عسقلان بفلسطين. ولد بالقاهرة عام ٧٧٣هـ، وتوفي بها عام ٨٥٢هـ، من أئمة الحديث والتاريخ وانتشرت مؤلفاته في حياته ومن أهمها: "فتح الباري على صحيح البخاري"، و"الأحكام لبيان ما في القرآن من أحكام".

## ٢- موتُ النبيِّ ﷺ:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: دخلتُ على النبيِّ ﷺ وهو يتوضأ وضوءًا مكيثًا[٢٢]، فرفع رأسه فنظر إليَّ فقال ﷺ: **"ستٌّ فيكم أيَّتُها الأمة: موتُ نبيِّكم"**، قال: فكأنَّما انتُزِعَ قلبي من مكانه، قال رسول الله ﷺ: **"واحدةٌ"**..– ثم ذكر باقي الستة".[٢٣] وعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ في غزوة تبوك وهو في قُبَّةٍ من أدم، فقال ﷺ: **"اعْدُدْ ستًا بين يدي الساعة: موتي** – وذكر باقي الستة**"**[٢٤]– وفي رواية أخرى– قال رضي الله عنه: أتيتُ رسولَ الله ﷺ وهو في غزوة تبوك وهو في خِبَاءٍ من أدم فجلستُ بفناء الخِبَاء، فقال رسول الله

---

[٢١] - الضحاك بن مزاحم الهلالي، كانت كنيته أبو محمد، وقيل أبو القاسم. مفسر وقاص كان من أوعية العلم. حدث عن ابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وابن عمر، وأنس بن مالك، وغيرهم، وقيل: لم يلق ابن عباس. وثقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وغيرهما. وحديثه في السنن، لا في الصحيحين. توفي عام ١٠٢هـ، وقيل ١٠٥هـ.

[٢٢] - مكيثًا: على مهل.

[٢٣] - رواه أحمد في مسنده (٦٣٣٤)، والدارمي في سننه (٤٨٦)، والحديث بتمامه عند أحمد: عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: دخلتُ على النبيِّ ﷺ وهو يتوضأ وضوءًا مكيثًا، فرفع رأسه فنظر إليَّ، فقال ﷺ: **"ستٌّ فيكم أيتها الأمة: موت نبيكم"**، قال: فكأنما انتزع قلبي من مكانه. قال رسول الله ﷺ: **"واحدةٌ"**. قال ﷺ: **"ويفيض المالُ فيكم حتى إن الرجل ليُعطَى عشرة آلاف فيظلُّ يتسخَّطها"**. قال ﷺ: **"ثنتين"**. قال ﷺ: **"وفتنةٌ تدخلُ بيت كلِّ رجلٍ منكم"**. قال رسول الله ﷺ: **"ثلاثٌ"**. قال ﷺ: **"وموتٌ كقعاص الغنم"**. قال ﷺ: **"أربع، وهدنةٌ تكون بينكم وبين بني الأصفر ليجمعون لكم تسعة أشهرٍ كقدر حمل المرأة، ثم يكونون أولى بالغدر منكم"**. قال رسول الله ﷺ: **"خمس"**. قال ﷺ: **"وفتحُ مدينةٍ"**. قال رسول الله ﷺ: **"ستٌّ"**. قلتُ: يا رسول الله، أيُّ مدينة؟ قال ﷺ: **"قسطنطينية"**.

[٢٤] - رواه البخاري في صحيحه (٢٩٤٠) واللفظ له، والحديث بتمامه: عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم فقال ﷺ: **"اعدد ستًّا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يُعطَى الرجلُ مائة دينار فيظلُّ ساخطًا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا"**.

ﷺ: **"ادخل يا عوفُ!"**، فقلتُ: بِكُلِّي؟ قال ﷺ: **"بكُلِّكَ"**، ثم قال ﷺ: **"يا عوفُ احفظْ خلالاً ستًا بين يدي الساعة، إحداهن موتي"**، قال فوجمتُ[٢٥] عندها وجمةً شديدةً – وفي رواية أحمد- قال ﷺ: فاستبكيتُ حتى جعل رسول الله ﷺ يُسكتني[٢٦]- قال النبيُّ ﷺ: **"قُلْ إحدى- ثم ذكر باقي الستة"**.[٢٧] وعن عبد الله بن حَوَالة الأزدي[٢٨] ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"من نجا من ثلاثٍ فقد نجا – وذكر منها موته ﷺ "**.[٢٩]

وقد مات النبيُّ ﷺ حين اشتدَّ الضحى من يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١هـ، وقد تَمَّ له ثلاث وستون سنة وزادت أربعة أيام، ودُفِنَ يوم الثلاثاء.[٣٠]

لقد كان موتُ النبيِّ ﷺ من أعظم المصائب التي وقعت على المسلمين، فقد أظلمت الدنيا في عيون الصحابة ﷺ عند موته ﷺ، قال أنس بن مالك ﷺ: "لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كلَّ شيءٍ، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كلُّ شيءٍ، وما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي

---

[٢٥] - وَجَمَ: أسكته الحزن وغلبت عليه الكآبة.
[٢٦] - رواه أحمد في مسنده (٢٢٨٤٦).
[٢٧] - رواه ابن ماجة في سننه (الفتن/ ٤٠٣٢).
[٢٨] - صحابيٌّ أقام بالشام بعد وفاة النبيِّ ﷺ.
[٢٩] - رواه أحمد في مسنده (١٦٣٥٩)، وانفرد به، والحديث بتمامه: عن عبد الله حوالة الأزدي أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"من نجا من ثلاث فقد نجا** - ثلاث مرات-: **موتي، والدجال، وقتل خليفة مصطبر بالحق مُعطيه"**.
[٣٠] - الرحيق المختوم (ص٤٥١) لصفي الرحمن المباركفوري.

وإنَّا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا"[31] – وفي رواية أخرى– قال ﷺ: "شهدته دخل المدينة فما رأيتُ يومًا قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ، وشهدته يوم موته فما رأيت يومًا كان أقبح ولا أظلم من يومٍ مات فيه رسول الله ﷺ".[32]

قال الحافظ ابن حجر[33]: يريدُ أنَّهم وجدوها تغيَّرتْ عمَّا عهدوه في حياته من الألفة والصفاء والرقة لفقدان ما كان يمدهم به من التعليم والتأديب.[34]

قال القرطبي[35]: هو أول أمرٍ دهمَ الإسلام؛ ثم بعده موت أبي بكر ﷺ، فبموت النبيِّ ﷺ انقطع الوحيُّ وماتت النبوة كما كان في جواب أمِّ أيمن لأبي

[31] - رواه الترمذي في سننه (٣٥٥١)، وقال: حديث غريب صحيح، ورواه ابن ماجة في سننه (١٦٢١)، وأحمد في مسنده (١٢٨٣٤، ١٣٣٢٨).

[32] - رواه الدارمي في سننه (٨٨).

[33] - شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني من عسقلان بفلسطين. ولد بالقاهرة عام ٧٧٣هـ، وتوفي بها عام ٨٥٢هـ، من أئمة الحديث والتاريخ وانتشرت مؤلفاته في حياته ومن أهمها: "فتح الباري على صحيح البخاري"، و"الأحكام لبيان ما في القرآن من أحكام".

[34] - الإصابة لابن حجر.

[35] - محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح كنيته أبو عبد الله. فقيهًا محدثًا ورعًا زاهدًا متعبدًا من كبار المفسرين ولد بقرطبة بالأندلس تعلم القرآن الكريم وقواعداللغة العربية وتوسع بدراسة الفقه والقراءات والبلاغة وعلوم القرآن وغيرها كما تعلم الشعر أيضاً. انتقل إلى مصر واستقر بمنية بني خصيب (المنيا) حتى وافته المنية في عام ٦٧١هـ .قال عنه الذهبي " :إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة إطلاعه ووفود عقله وفضله". له مؤلفات كثيرة أهمها: "الجامع لأحكام القرآن "(هو كتاب جمع تفسير القرآن كاملاً)، و"التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة"، و"التذكار في أفضل الأذكار"، و"المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس."

بكر وعمر ﵄ عندما زاروها بعد موت النبيِّ ﷺ فلما انتهيا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيك، ما عند الله خير لرسول الله ﷺ. فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أنَّ ما عند الله خير لرسوله ﷺ ولكنِّي أبكي أن الوحيَ قد انقطع من السماء، فهيَّجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها.[٣٦]

قال القرطبي في "التذكرة": وكان أول ظهور الشرِّ بارتداد العرب وغير ذلك، وكان أول انقطاع الخير وأول نقصانه.

## ٣- فقد الصحابة ﵃:

قال رسول الله ﷺ: **"لا تقوم الساعة حتى يلتمس الرجل من أصحابي كما تتلمَّس الضالة، أو تُبتَغَى الضالة فلا يوجد"**.[٣٧] وقد أخبر رسول الله ﷺ في نفس عام وفاته ﷺ أنَّه لن تنقضي مائة سنة وعلى الأرض واحدٌ من الصحابة ﵃، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صلى بنا النبي ﷺ العشاء في آخر حياته

---

[٣٦] - الإصابة لابن حجر (٨/ ٣٦٠)، وأخرج مسلم في صحيحه (٤٤٩٢)، وابن ماجة في سننه (١٦٢٥)، وأبو يعلى في مسنده مثله.

[٣٧] - رواه أحمد في مسنده (٦٣٧) عن عليٍّ ﵁، وقال الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

فلما سلَّم قام فقال ﷺ: **"أرأيتكم ليلتكم هذه، فإنَّ رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحدٌ"**.[38]

وكان آخر الصحابة موتًا هو أبو الطفيل عامر الليثي[39] رضي الله عنه، قال رضي الله عنه: "رأيتُ رسول الله ﷺ وما على وجه الأرض رجل رآه غيري".[40] وعن سعيد بن أبي بردة عن أبيه رضي الله عنه قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء، قال رضي الله عنه: فجلسنا، فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال ﷺ: **"ما زلتم ها هنا؟"**، قلنا: يا رسول الله! صلينا معك المغرب ثم قلنا: نجلسُ حتى نصلِّي معكَ العشاء، قال ﷺ: **"أحسنتم – أو قال -: أصبتم"**، قال رضي الله عنه: فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيرًا ما يرفع رأسه إلى السماء فقال ﷺ: **"النجومُ أَمَنَةٌ للسماء فإذا ذهبتْ النجومُ أتى السماءَ ما تُوعد، وأنا أَمَنَةٌ لأصحابي فإذا**

[38] - رواه البخاري في صحيحه(١١٣)، ومسلم في صحيحه (٤٦٠٥)، والترمذي في سننه (٤١٧٧)، وأبو داود (٣٧٨٤)، وأحمد في مسنده(٥٧٥٥)، والبيهقي في السنن والدلائل، والحاكم في المستدرك، واللفظ للبخاري وأحمد.

[39] - أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي رضي الله عنه. صحابي جليل ولد عام ٢هـ أدرك ٨ سنوات من حياة النبي ﷺ. نزل الكوفة وصحب عليًّا رضي الله عنه في مشاهده كلها، ثم نزل مكة بعد مقتل عليٍّ رضي الله عنه وأقام بها حتى توفي عام ١٠٠هـ وهو آخر الصحابة وفاة.

[40] - رواه مسلم في صحيحه (٤٣١٦).

**ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أَمَنَةٌ لأمتي فإذا ذَهَبَ أصحابي أتى أمتي ما يوعدون"**.[41]

قال الإمام النووي[42] في شرح الحديث: قال العلماء: (**الأَمَنَةُ**) (بفتح الهمزة والميم): بمعنى الأمن والأمان، ومعنى الحديث أنَّ النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية، فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة وهنت السماء فانفطرت وانشقت وذهبت، (**وأنا أَمَنَةٌ لأصحابي فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون**): أي من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من العرب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به ﷺ تصريحًا، وقد وقع كلُّ ذلك، (**وأصحابي أَمَنَةٌ لأمتي فإذا ذَهَبَ أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**) : معناه ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه..[43] وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا تزالون بخيرٍ ما دام فيكم من رآني وصاحبني، والله لا تزالون بخيرٍ ما دام فيكم من رأى من رآني وصاحب من صاحبني"**.[44] وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال

---

[41] - رواه مسلم في صحيحه (٤٥٩٦)، وأحمد في مسنده (١٨٧٤٥).

[42] - أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحوراني النووي الشافعي. ولد عام ٦٣١هـ في نوي بسورية ونسب إليها وتوفي عام ٦٧٦هـ. علامة في الفقه والحديث. له مؤلفات كثيرة أهمها شرح صحيح مسلم وكتاب "تهذيب الأسماء واللغات".

[43] - صحيح مسلم بشرح النووي.

[44] - رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ ١٧٨)، والحافظ ابن حجر في الفتح (٧/ ٥)، وقال: إسناده حسن.

رسول الله ﷺ: **"يأتي على الناس زمانٌ فيغزو فئام[٤٥] من الناس فيقولون: فيكم مَنْ صاحب[٤٦] رسول الله ﷺ ؟ فيقولون لهم: نعم، فيُفتَحُ لهم، ثم يأتي على الناس زمانٌ فيغزو فئامٌ من الناس، فيُقال: فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون: نعم فيُفتَحُ لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزوا فئام من الناس، فيُقال: هل فيكم مَنْ صاحب مَنْ صاحب أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون: نعم، فيُفتَحُ لهم"**.[٤٧] ويقول الشيخ محمود المصري[٤٨] : وهذا السؤال عن أصحاب النبيِّ ﷺ مَنْ رآهم ومَنْ رأى مَنْ رآهم للاستنصار والتبرُّك بهم وبدعائهم، وقال الحافظ ابن حجر في شرح حديث البخاري: أي ببركتهم ودعائهم، وقال الحافظ ابن حجر كذلك في الفتح (٦/ ٨٩): يُفتحُ للصحابة- أي يُنصرون في معاركهم – لفضلهم، ثم للتابعين لفضلهم، ثم لتابعيهم لفضلهم، قال: ولذلك كان الصلاح والفضل والنصر للطبقة الرابعة أقل،

---

[٤٥] - الفئام: الجماعة من الناس.

[٤٦] - في رواية لمسلم في صحيحه: **"من رآني"**.

[٤٧] - رواه البخاري في صحيحه (٢٦٨٢)، ومسلم في صحيحه (٤٥٩٨)، وأحمد في مسنده (١٠٦١٩)، واللفظ للبخاري وأحمد.

[٤٨] - محمود المصري داعية مصري ولد عام ١٩٦٢م بالقاهرة لأسرة مصرية ملتزمة دينيا حصل على بكالوريوس الخدمة الاجتماعية. درس العلوم الشرعية على يد علماء مصر ثم سافر إلى المملكة السعودية وتلقى العلم هناك على يد علماء أصول الدين والدعوة الإسلامية وحصل على الإجازة العلمية في الكتب الستة. منح درجة الدكتوراه الفخرية مع مرتبة الشرف في التنمية البشرية من الجامعة الأمريكية.

فكيف بمن بعدهم، والله المستعان.[٤٩] فمن الطبيعي أن يتدرَّجَ الفضل والخير في الأمة بعد النبيِّ ﷺ، ثم بعد الصحابة، ثم التابعين، وهذا قوله ﷺ: **"خيرُ أمتي القرنُ الذي بُعِثْتُ فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"**.[٥٠]

## ٤- فتح بيت المقدس:

عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ فسلَّمتُ عليه فقال: **"عوفٌ؟"**، فقلتُ: نعم. فقال ﷺ: **"ادخلْ!"**، قال: قلتُ كُلِّي أو بعضي؟ قال ﷺ: **"بل كُلُّكَ"**، قال ﷺ: **"يا عوفُ اعدُدْ ستًا بين يدي الساعة – أوَّلُهنَّ موتي"**، قلتُ: إحدى، قال: **"والثانية فتح بيت المقدس** – ثم ذكر بقيتهن**"**[٥١]- وفي رواية لابن ماجة – أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"يا عوفُ احفظْ خلالاً ستًا بين يدي الساعة إحداهن موتي"**، قال عوفُ رضي الله عنه: فوجمتُ عندها وجمةً شديدةً. فقال ﷺ: **"قُلْ إحدى، ثم فَتْحُ بيتِ المقدس** – وذكر باقي الستة**"** [٥٢]– وفي رواية أخرى- قال عوفُ بن مالك رضي الله عنه: أتيتُ النبيَّ ﷺ في غزوة تبوك وهو في قُبَّةٍ من أدم فقال: **"اعْدُدْ ستًا بين يدي الساعة: موتي، ثم**

---

[٤٩] - أصحاب الرسول ﷺ (١/ ٣٤) للشيخ محمود المصري.

[٥٠] - رواه مسلم في صحيحه (٤٦٠٢)، وأحمد في مسنده (٦٨٢٦، ٨٩٥٠، ٩٨٢١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، والترمذي في سننه (٢١٤٨)، وأبو داود في سننه (٤٠٣٨)، والنسائي في سننه (٣٧٤٩)، والبيهقي في سننه، والطبراني في المعجم الكبير عن عمران بن الحصين رضي الله عنه.

[٥١] - رواه أحمد في مسنده (٢٢٨٤٦، ٢٢٨٦٠).

[٥٢] - رواه ابن ماجة في سننه ( الفتن/ ٤٠٣٢)، وصححه الألباني.

**فتح بيت المقدس..** - وذكرهن".[٥٣] وقد فُتِحَ بيت المقدس في عهد عمر بن الخطاب ﷺ صلحًا في ربيع الأول من عام ١٦هـ (٦٣٧م) وكان جيش المسلمين إلى الشام بقيادة أبي عبيدة بن الجراح ﷺ يواصل فتوحاته ولما فرغ من دمشق كتب إلى أهل إيليا (القدس) يدعوهم إلى الإسلام أو بذل الجزية، أو يُؤذَنوا بحرب فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه، فركب إليهم في جنده، ثم حاصر بيت المقدس، وضيَّقَ عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، فسار إليهم عمر بن الخطاب ﷺ حتى صالح نصارى بيت المقدس، واشترط عليهم إجلاء الروم إلى ثلاث، ثم دخلها، إذ دخل المسجد من الباب الذي دخل منه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء، ثم جاء إلى الصخرة فاستدلَّ على مكانها من كعب الأحبار[٥٤]، وأشار عليه كعب ﷺ أن يجعل المسجد من ورائه فقال: "ضاهيتَ[٥٥] اليهودية"، ثم جعل المسجد في قبلي بيت المقدس، وهو المسجد العمري اليوم، ثم نقل التراب عن الصخرة في طرف ردائه وقبائه، ونقل المسلمون معه.[٥٦] وقد روى الإمام أحمد في مسنده عن عبيد الله بن آدم قال: سمعتُ عمر بن الخطاب ﷺ يقول لكعب: "أين تُرى

[٥٣] - رواه البخاري في صحيحه (٢٩٤٠)، وأحمد في مسنده (٢٢٨٤٦).
[٥٤] - كعب بن مالك الحميري، تابعي محدِّث ثقة فقيه عالمًا بالكتابين، كان يهوديًا وأسلم وقدم المدينة في عهد عمر ﷺ. خرج إلى الشام وتوفي بحمص عام ٣٢هـ.
[٥٥] - ضاهاه: شابهه وماثله.
[٥٦] - البداية والنهاية (٧/ ٥٧) لابن كثير (مختصرًا).

أن أصلِّي؟" فقال: "إن أخذتَ عني صليتَ خلفَ الصخرة فكانت القدس كلها بين يديكَ!"، فقال عمر ﷺ: "ضاهيتُ اليهودية، لا، ولكن أصلِّي حيث صلَّى رسول الله ﷺ"، فتقدَّم فصلَّى إلى القبلة فصلَّى، ثم جاء فبسطَ رداءَهُ، فكَنَسَ الكُناسةَ في رداءه وكَنَسَ الناسُ..[٥٧]

ثم جاء صلاح الدين الأيوبي –رحمه الله- ليفتحها ويستعيدها من الصليبيين ودخلها منتصرًا في السابع والعشرين من شهر رجب سنة ٥٨٣هـ (٢/ ١٠/ ١١٨٧م)، وأُقيمت أول صلاة جمعة بعد تسعين عامًا في المسجد الأقصى في الرابع من شعبان سنة ٥٨٣هـ وألقى القاضي محيي الدين زكي الدين قاضي دمشق أول خطبة بها، فصعد المنبر ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم كان أول كلامه: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ (الأنعام: ٤٥).. ثم جاء العصر الحديث لتسقط المدينة المباركة والمسجد الأقصى الشريف مسرى النبيِّ الكريم ﷺ أول القبلتين وثالث الحرمين في أيدي أعداء الله اليهود بدعم غربي هائل وبتخاذل عربي كبير وبمؤامرة مخزية من حكام العرب المسلمين .. وهكذا جولة للإسلام ثم جولة

[٥٧] - رواه أحمد في مسنده (٢٥٢) وانفرد به، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده حسن.

للكافرين حتى يأذن الله تعالى بنصره وتحرير بيت المقدس من قبضة أعدائه اليهود.. قال تعالى: ﴿ ..فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ (الإسراء: ٧).

## ٥- فتح المدائن[٥٨]:

عن عدي بن حاتم ﷺ قال: لما بلغني خروج[٥٩] رسول الله ﷺ فكرهتُ خروجه كراهةً شديدةً خرجتُ حتى وقعتُ ناحية الروم. وقال ﷺ: حتى قدمتُ على قيصر. قال ﷺ: فكرهتُ مكاني ذلك أشدَّ من كراهتي لخروجه. قال ﷺ: فقلتُ: والله لولا أتيتُ هذا الرجل فإن كان كاذبًا لم يضرني وإن كان صادقًا علمتُ. قال ﷺ: فقدمتُ فأتيته، فلما قدمتُ قال الناس عدي بن حاتم.. قال ﷺ: فدخلتُ على رسول الله ﷺ فقال لي: **"يا عدي بن حاتم أسلم تسلم** - ثلاثًا**"**. قال ﷺ: قلتُ: إنِّي على دين. قال ﷺ: **"أنا أعلم بدينك منك"**. قال ﷺ: فقلتُ: أنتَ أعلمَ بديني مني؟! قال ﷺ: **"نعم ألستَ من الركوسية وأنتَ تأكل مرباع قومك"**. قال ﷺ: قلتُ: بلى. قال ﷺ: **"فإنَّ هذا**

---

[٥٨] - المدائن: مدينة بناها أنوشروان بن قباذ (على ضفة نهر دجلة الشرقية جنوب موقع بغداد ٣٠ كم) وقد أقام بها هو ومن كان بعده من ملوك بني ساسان إلى الفتح الإسلامي على يد سعد بن أبي وقاص ﷺ، واسمها بالفارسية طيسفون (توسيفين) سمتها العرب المدائن لأنها سبع مدائن بين كل مدينة إلى الأخرى مسافة قريبة أو بعيدة. [معجم البلدان (٧٤/٥) – أطلس الحديث النبوي (ص٣٣٣)]

[٥٩] - أي بعثته ودعوته.

**لا يحلُّ لكَ في دينِكَ"**. قال ﷺ: فلم يعد أن قالها فتواضعتُ لها. فقال ﷺ: **"أما إنِّي أعلمُ ما الذي يمنعك من الإسلام تقول إنَّما اتَّبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له وقد رمتهم العرب، أتعرف الحيرة[٦٠]؟"**، قلتُ: لم أرها وقد سمعتُ بها. قال ﷺ: **"فوالذي نفسي بيده ليتمنَّ اللهُ هذا الأمر حتى تخرج الظعينة[٦١] من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد وليفتحنَّ كنوز كسرى بن هرمز"**. قال ﷺ: قلتُ بن هرمز؟! قال ﷺ: **"نعم كسرى بن هرمز، وليبذلن المال حتى لا يقبله أحدٌ"**. قال عدي بن حاتم ﷺ: فهذه الظعينة تخرجُ من الحيرة فتطوف بالبيت في غير جوار، ولقد كنتُ فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز، والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة لأنَّ رسول الله ﷺ قد قالها.[٦٢]

وقد بشَّرَ الرسول ﷺ بفتح المدائن يوم الخندق، قال البراء بن عازب ﷺ: لما كان يوم الخندق عرضتْ لنا في بعض الخندق صخرةً لا تأخذها المعاول، فاشتكينا ذلك لرسول الله ﷺ، فجاء وأخذ المعول فقال ﷺ: **"بسم الله، ثم ضرب ضربةً، وقال: الله أكبر، أُعطيتُ مفاتيح الشام، والله إنِّي لأنظر قصورها**

---

[٦٠] - الحيرة: موضع على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف إلى طف نهر العراق وغربيِّه، وهي مسكن ملوك العرب في الجاهلية من بني لخم (المناذرة). [معجم البلدان: (٢/ ٣٢٨)/ معجم الحديث الشريف (ص١٥٧) – د. شوقي أبو خليل]

[٦١] - الظعينة: الراحلة يُرتحَلُ عليها.

[٦٢] - رواه أحمد في مسنده (١٨٥٦٩).

**الحمر الساعة، ثم ضرب الثانية فقطع آخر، فقال: الله أكبر، أعطيتُ فارس، والله إنِّي لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن، ثم ضرب الثالثة، فقال: بسم الله، فقطع بقية الحجر، فقال: الله أكبر، أُعطيتُ مفاتيح اليمن، والله إنِّي لأبصر أبواب صنعاء من مكاني".**[٦٣]

وقد تحقَّقَ فتح المدائن عاصمة فارس في سنة ١٦هـ (٦٣٧م) في عهد عمر بن الخطاب ﷺ على يد قائده سعد بن أبي وقاص ﷺ الذي قدم بجيش المسلمين فيهم ثلاثون ألفًا بينهم ثلثمائة وبضعة عشر صحابيًا وسبعون بدريًا في آخر السنة الخامسة عشرة وأوائل السنة السادسة عشرة من الهجرة فالتقى بالفرس وهم في ١٢٠ ألفًا يقودهم رستم فالتقوا بالقادسية فانتصر المسلمون نصرًا عزيزًا وقُتل رستم قائد الفرس.. ويقول الطبري في تاريخه: لما قتل المسلمون رستم، زحفوا حتى فتحوا مدينة "بَهْرَشِير"[٦٤]، وكان كسرى قد فَرَّ جندُهُ بسفنهم فعبروا نهر دجلة إلى المدائن فطلب سعد ﷺ السفن ليعبروا فيها إلى الفرس فلم يقدروا على شيءٍ منها، ووجدهم قد ضمُّوا السفنَ وكان البحرُ مَادًّا يرمي بزبده فعزم أن يقتحم دجلة ليقاتلهم، ووقف على شاطئ النهر

[٦٣] - رواه أحمد في مسنده (١٧٩٤٦)، وروى ابن إسحاق مثله عن سلمان الفارسي ﷺ.
[٦٤] - الجانب الغربي للمدائن غربي نهر دجلة.

يخطب في جنده فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال ﷺ: "إنَّ عدوَّكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون إليهم معه وهم يخلصون إليكم وليس وراءكم شيءٌ تخافون أن تؤتوا منه، قد رأيتُ أن تبادروا جهاد العدو بنيَّاتكم قبل أن تحصركم الدنيا، ألا إنِّي عزمتُ على قطع هذا البحر إليهم.."، فقالوا: عزم الله لنا ولكَ على الرشد فافعل! فما إن ولجوا النهر حتى صارت صفحة الماء كأنَّها أرضًا لهم وامتلأ النهر بالخيل والرجال فلم يعد يُرى ماؤه ثم اقتحم سعد، وسلمان الفارسي رضي الله عنهما صفحة الماء، وسعدٌ ﷺ يردِّدُ: حسبنا الله ونعم الوكيل، واللهِ لينصرن اللهُ وَلِيَّهُ وليظهرن دينَهُ وليهزمن عدوَّهُ، إن لم يكن في الجيش بغيٌ أو ذنوبٌ تقلب الحسنات، وقال سلمان ﷺ: ذُلِّلتْ لهم واللهِ البحور كما ذُلِّلَ لهم البرُّ، أما والذي نفسي بيده ليخرُجُنَّ منه أفواجًا كما دخلوا أفواجًا.. فلما رآهم الفرس يطفون على وجه الماء قالوا: ديوانا.. ديوانا[٦٥].. واللهِ ما تقاتلون إنسًا بل تقاتلون جنًا.. وفرُّوا هاربين..[٦٦] قال الحافظ ابن كثير: كان يومًا عظيمًا وأمرًا هائلاً وخطبًا جليلاً خارقًا باهرًا، ومعجزة لرسول الله ﷺ خلقها الله لأصحابه لم يُرَ مثلها في تلك البلاد ولا في بقعة من البقاع..[٦٧] ودخل

---

[٦٥] - تعني بالفارسية: مجانين مجانين.
[٦٦] - رواه الطبري في تاريخه.
[٦٧] - البداية والنهاية لابن كثير.

سعد ﷺ المدائن عاصمة الفرس الساسانية فاتحًا منتصرًا، ثم ولج القصر الأبيض وإيوان كسرى وهو يرتِّلُ قوله تعالى: ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ . كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ . فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ . ﴾ (الدخان: ٢٥ – ٢٩) وخرَّ لله ساجدًا، وغنم المسلمون غنائمَ لم يُسمع بمثلها قط من الذهب، والجواهر، والحرير.. وفرَّ "يزدجرد بن كسرى"[٦٨] من المدائن إلى حُلوان فهزمه المسلمون بها ثم تبعوه إلى خانقين ومعه فلوله المنهزمة حتى فُتحت جميع بلادهم..[٦٩]

قال الطبري[٧٠]: قسَّمَ سعدُ ﷺ الفَيْءَ بعدما خَمَّسَهُ فأصاب الفارسُ اثنا عشر ألفًا، وكلُّ الجيش كانوا فرسانًا، وقسَّم سعد ﷺ دُورَ المدائن بين الناس

---

[٦٨] - يزدجرد الثالث آخر ملوك دولة الفرس الساسانية، اسمه يزدجرد بن شهريار بن برويز بن أنوشروان. تولى الملك عام ٦٣٤م وكان صغيرًا ولم يمضي على عرشه أكثر من ٧ سنوات وهام على وجهه حتى كان مقتله في خلافة عثمان، فبعد انتصار المسلمين في معركة القادسية عام (١٥هـ/ ٦٣٦ م) هرب يزدجرد الثالث من عاصمته المدائن إلى حلوان، ثم إلى اصبهان، فلما انتصر المسلمون في نهاوند هرب إلى اصطخر، وظل هاربًا حتى نزل مدينة مرو بخراسان فاختبئ في بيت طحان على نهر المرغاب فقتله عام (٣١هـ/ ٦٥١م)، وكان عمره ٢٨ عامًا.

[٦٩] - البداية والنهاية لابن كثير، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ودلائل النبوة للبيهقي، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، وأسد الغابة لابن الأثير، وسير أعلام النبلاء للذهبي.

[٧٠] - أبو جعفر محمد بن جرير بن زيد بن غالب الطبري. فارسي الأصل ولد في آمل عام ٢٢٤هـ. درس ٤٠ عامًا بمصر والشام والبصرة، وتفرغ للكتابة ٤٠ سنة أخرى. فقيه عالم بأحكام القرآن ومؤرخ عالم بتاريخ الصحابة والتابعين. وضع معايير دقيقة لاختيار المادة التاريخية وله كتاب من أهم كتب التاريخ في الإسلام، ويعد من أعظم المفسرين فهو صاحب أهم تفسير للقرآن "جامع البيان في تفسير القرآن". توفي عام ٣١٠هـ.

وأُوطِنُوها، وجمع سعد ﷺ الخُمُس وأدخل فيه كلَّ شيءٍ من ثياب كسرى وحُلِيِّهِ وسيفه، وقال للمسلمين: هل لكم أن تطيب أنفسُكم عن أربعة أخماس هذا القَطْف[٧١] فنبعث به إلى عمر ﷺ، فيضعه حيث يرى ويقع من أهل المدينة موقعًا؟ قالوا: نعم، فبعثه على هيئته. وكان ستين ذراعًا بساطًا واحدًا مقدار جَرِيب[٧٢] فيه طرقٌ كالصور، وفصوص كالأنهار، وخلال ذلك كالدُّرِّ وفي حافته كالأرض المزروعة، والأرض كالمُبْقَلة بالنبات في الربيع من الحرير على قصبات الذهب، ونوَّاره بالذهب والفضة ونحوه. فقطعه عمر ﷺ وقسَّمه بين الناس، فأصاب عليًّا ﷺ قطعة منه فباعها بعشرين ألفًا.. وفي رواية للطبري قال: فلما رأى عمرُ ﷺ خَمَّسَ الغنائم معها سيف كسرى، ومنطقته، وزبرجده، وكنوزًا كثيرة ملأت المسجد قال: إنَّ قومًا أدُّوا هذا لذوو أمانة، فقال عليٌّ ﷺ: إنَّكَ عففتَ فعفَّتْ الرعيةُ ولو رتعتَ لرتعتْ. ثم قال عمر ﷺ: يا سراقة[٧٣] قُمْ

---

[٧١] - بساط ضخم كان لكسرى عُرف ببساط القفط أو القطف.

[٧٢] - الجريب: المزرعة أو المكيال قدر أربعة أقفزة.

[٧٣] - سراقة بن مالك بن جُعشُم المدلجي الكناني ﷺ، صحابي جليل سيد بني مدلج وأحد أشراف قبيلة كنانة لحق بالرسول ﷺ وصاحبه في الهجرة وهو يومئذ مشرك طمعا في جائزة قريش، فلما وصل للرسول انغرست قدما فرسه في الوحل فطلب من رسول الله ﷺ أن يدعوا الله لينجيه مما هو فيه على أن يرجع عنهم ويعمي عنهم الطلب فدعا له رسول الله ﷺ، وكتب له عهدًا بالأمان ووعده بسواري كسرى، ثم انصرف سراقة. أسلم بعد انصراف النبي ﷺ عن الطائف. فلما فتح سعد بن أبي وقاص المدائن في زمن خلافة عمر بن الخطاب، أرسل سواري كسرى وتاجه ضمن الغنائم إلى الخليفة فتحقق لسراقة وعد النبي له حيث ألبسه عمر سواري كسرى. توفي عام ٢٤هـ.

فالبس وأنجزه ما وعده الرسول ﷺ حين كتب له عهدًا عند هجرته بسواري كسرى.[٧٤]

## ٦- الفتوحات الإسلامية واستفاضة المال:

عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"اعْدُدْ ستًا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس.. ثم استفاضة المال حتى يُعطى الرجل منه مائة دينار فيظلُّ ساخطًا.."**.[٧٥]

قال ابن حجر في "الفتح": ذلك محمول على زمن الصحابة إشارةً إلى ما وقع من الفتوح واقتسامهم أموال الفرس والروم، أو هو محمول على ما وقع في زمن عمر بن عبد العزيز[٧٦] رضي الله عنه فأنَّه قد وقع في زمنه أنَّ الرجل كان يعرض ماله للصدقة فلا يجد من يقبلُ صدقته، أو يكون إشارة إلى ما سيقع في زمن عيسى ابن مريم عليه السلام، فيكون في هذا الحديث إشارة إلى ثلاثة أحوال:

---

[٧٤] - تاريخ الطبري.

[٧٥] - رواه البخاري (٢٩٤٠)، وابن ماجة في سننه (٤٠٣٢)، وأحمد في مسنده (٢٢٨٦٠) بلفظ: **"فيتسخطها"**، وعنده كذلك في المسند (٢٢٨٤٦) بلفظ: **"ويكثر المال حتى يعطى الرجل الواحد مائة دينار فيسخطها"**.

[٧٦] - عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الخليفة الأموي، يعد خامس الخلفاء الرشدين لصلاحه وتقواه وسيره على نهجهم في الحكم. حفيد عمر بن الخطاب لأمه فهم ابن أم عاصم بنت عاصم بن عمر. ولد عام ٦١هـ. تولى ولاية المدينة المنورة في حكم عمه عبد الملك بن مروان، وتولى الخلافة عام ٩٨هـ، ودامت خلافته سنتين ونصف وتوفي مسمومًا عام ١٠١هـ.

**الأولى**: إلى كثرة المال واستفاضة وذلك في زمن الصحابة، ومن ثَمَّ قيل فيه (**يكثر فيكم**) في الحديث الآتي، فقد روى أبي هريرة ﵁ عن النبيِّ ﷺ قال: **"لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهمَّ ربُّ المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه، فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب[٧٧] لي"**.[٧٨] ويشير الحديث إلى استفاضة المال نتيجة للفتوحات الإسلامية في عهد الصحابة رضوان الله عليهم، فعن جابر بن سَمُرة ﵁ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ: **"لتفتحن عصابة[٧٩] من المسلمين- أو قال: من المؤمنين – كنوز آل كسرى الذي في الأبيض"**.[٨٠] وعنه ﵁ قال: قال النبيُّ ﷺ: **"إذا هلك – وفي رواية: ذهب- كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتُنْفَقَنَّ كنوزهما في سبيل الله تبارك وتعالى"**.[٨١] وعن عوف بن مالك ﵁ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"إنَّ اللهَ فاتحٌ لكم أرض فارس والروم، وتصبُّ عليكم الدنيا صبًّا"**.[٨٢] وقال ﷺ: **"إنَّكم ستفتحون مصر وهي أرضٌ يُسمَّى فيها**

---

[٧٧] - أرب: حاجة.

[٧٨] - رواه البخاري في صحيحه (١٣٢٣)، ومسلم في صحيحه (كتاب الزكاة/ ١٦٨١، ١٦٨٢)، وأحمد في مسنده (٧٧٨٧).

[٧٩] - العصابة الجماعة من الناس، وهو المعنى المحمود لها أما الجماعة المذمومة فتدعى طغمة.

[٨٠] - رواه مسلم في صحيحه ( كتاب الفتن وأشراط الساعة/ ٥١٩٨)، وأحمد في مسنده (١٩٩٠٥، ٢٠٠٤١، ٢٠٠٨٩) واللفظ لمسلم.

[٨١] - رواه البخاري في صحيحه (٢٨٨٩، ٣٣٥٠، ٦١٣٩)، ومسلم في صحيحه (٥١٩٧)، أحمد في مسنده (١٩٩٥٥، ٢٠١٠٤).

[٨٢] - رواه أحمد في مسنده (٢٢٨٥٧)، وانفرد به.

**القيراط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإنَّ لهم ذمةً ورحمًا – أو قال:- ذمةً وصهرًا"**.[83] وقال ﷺ: **"يُفتَحُ اليمن فيأتي قومٌ يَبُسُّونَ[84] فيتحمَّلون بأهليهم[85] ومن أطاعهم والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون"**.[86]

**الثانية**: الإشارة إلى فيضه من الكثرة بحيث أن يحصل استغناء كل أحدٍ عن أخذ مالٍ غيره، وكان ذلك في آخر عصر الصحابة وأول عصر من بعدهم، ومن ثم قيل: (**يهمُ ربُّ المالِ**) وذلك ينطبق على ما وقع في زمن عمر بن عبد العزيز ﷺ، وذلك في قوله ﷺ: **"لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهمَّ ربُّ المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه، فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي"**.[87] وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، وحتى يخرجَ الرجلُ بزكاة ماله فلا يجد أحدًا يقبلها منه.."**.[88] وقد تحقَّقَ ذلك في زمن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه حيث كان بيت المال يقضي الدين عن المدينين، ويزوِّجُ المعسر، ويعطي الفقير وابن السبيل حتى كان

[83] - رواه مسلم في صحيحه (٤٦١٤، ٤٦١٥)، أحمد في مسنده (٢٠٥٤٣) واللفظ له عن أبي ذر رضي الله عنه.
[84] - يبسُّون: يتوجهون ويقصدون.
[85] - يتحمَّلون بأهليهم: يرتحلون بهم، وتحمَّل القوم أي ارتحلوا.
[86] - رواه البخاري في صحيحه (١٧٤٢)، ومسلم في صحيحه (٢٤٥٩، ٢٤٦٠)، وأحمد في مسنده (٢٠٩٠٨)، ومالك في الموطأ (١٣٨٠).
[87] - رواه البخاري في صحيحه (١٣٢٣)، ومسلم في صحيحه (كتاب الزكاة/ ١٦٨١، ١٦٨٢)، وأحمد في مسنده (٧٧٨٧).
[88] - رواه مسلم في صحيحه (١٦٨١)، والبخاري في صحيحه (١٣٢٣)، وأحمد في مسنده (٩٠٢٦)، واللفظ لمسلم.

العاملون على الزكاة يبحثون في الأسواق والطرق فلا يجدون فقيرًا ولا محتاجًا، وقد امتدَّت خلافته ما بين سنتي (٩٩هـ/ ٧١٧م- ١٠١هـ-٧١٩م) وبلغت مدتها سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام.[٨٩]

الثالثة: فيه إشارة إلى فيض المال وحصول الاستغناء لكلِّ أحدٍ حتى يهتم صاحب المال بكونه لا يجد من يقبل صدقته ويزداد بأنَّه يعرضه على غيره ولو كان ممن لا يستحق الصدقة فيأبى أخذه فيقول: لا حاجة لي فيه، وذلك في قوله ﷺ: **"ليأتين على الناس زمانٌ يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب، ثم لا يجد أحدًا يأخذها منه"**.[٩٠] وهذا في زمن عيسى عليه السلام، ويُحتمل أن يكون هذا الأخير خروج النار واشتغال الناس بأمر الحشر فلا يلتفتُ أحدٌ حينئذٍ إلى المال بل يقصد أن يتخفَّفَ ما استطاع.[٩١]

## ٧- موتٌ جماعيٌّ ينتشرُ في المسلمين:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: دخلتُ على النبيِّ ﷺ وهو يتوضَّأ وضوءًا مكيثًا فرفع رأسه فنظر إليَّ فقال ﷺ: **"ستٌ فيكم أَيَّتُها الأمة –** وذكر

[٨٩] - عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (ص٣١٢) – د. علي الصلابي.
[٩٠] - رواه البخاري في صحيحه (١٣٢٥)، ومسلم في صحيحه (١٦٨٠) عن أبي موسى الأشعرى رضي الله عنه.
[٩١] - فتح الباري على صحيح البخاري (١٤/ ٥٩٧) لابن حجر.

منهن- **موتٌ كقُعَاص الغنم**[٩٢]**..".**[٩٣] وعن عوف بن مالك الأشجعي ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"اعْدُدْ ستًّا بين يدي الساعة** – وذكر منهن- **مُوتَانٌ**[٩٤] **يأخذُ فيكم كقُعَاصِ الغنم"** [٩٥]- وفي رواية أخرى- قال ﷺ: قال رسول الله ﷺ: **عوف اعْدُدْ ستًّا بين يدي الساعة** – وذكر منهن- **مُوتَانُ يكون في أمتي يأخذهم مثل قُعاص الغنم".**[٩٦] وعنه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"يا عوف بن مالك أَعْدِدْ ستًا قبل الساعة: موت نبيكم، خذ إحدى، ثم فتح بيت المقدس، ثم موت يأخذكم تُقعصون فيه كما تُقعص الغنم..".**[٩٧] وعنه ﷺ أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: **"يا عوف احفظْ خلالاً ستًّا بين يدي الساعة** – وذكر منهن – **ثم داءٌ يظهر فيكم يستشهدُ اللهُ به ذراريكم وأنفسكم ويزكِّي به أعمالكم".**[٩٨]

و (القُعَاص) (بضم العين المهملة وتخفيف القاف): هو داء يأخذ الدواب فتسيل من أنوفها شيءٌ فتموت فجأة، وقال أبو عبيدة: وفيه أُخذ الإقعاص وهو القتل مكانه، وقال ابن فارس[٩٩] : العقاص: داء يأخذ الصدر كأنه يكسر.

---

[٩٢] - قعاص الغنم: داء يميت الدواب فجأة.

[٩٣] - رواه أحمد في مسنده (٦٣٣٤).

[٩٤] - الموت الشديد.

[٩٥] - رواه البخاري في صحيحه (٢٩٤٠)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٤٢) بلفظ: **"كقفاص الغنم"**، والقفاص هو الموت المعجَّل، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٠٠) وحسَّنه.

[٩٦] - رواه أحمد في مسنده (٢٢٨٦٠).

[٩٧] - رواه أحمد في مسنده (٢٢٨٤٦).

[٩٨] - رواه ابن ماجة في سننه (كتاب الفتن/ ٤٠٣٢).

[٩٩] - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي. لُغَوِيّ وإمام في اللغة والأدب. ولد عام ٣٢٩هـ بقزوين. لابن فارس مؤلفات كثيرة وهو من العلماء الأفذاذ الذين ألفوا في عدة فنون في اللغة

العنق.[100] وقد تحقَّقَ قوله ﷺ وصدق فيما أخبر فقد وقع طاعون عمواس وهـو يُنسب إلى بلدة بالأردن بين الرملة وبيت المقدس، ثـم انتشر في أرض الشـام، ومات فيه خلقٌ كثيرٌ من الصحابة ﷺ، وكان ذلك في سنة ١٨هـ (٦٣٩م)، قال المديني[101] : مات فيه خمسة وعشرون ألفًا، وقال القرطبي: ستة وعشرون ألفًا، وكان من بينهم خيرة الصحابة: أبو عبيدة بن الجراح، ومعاذ بـن جبـل، ويزيـد بن أبي سفيان، وسـهيل بـن عمـرو.. ﷺ، وبعـد ذلـك وقـع الطـاعون الجـارف بالبصرة في سـنة ٦٤هـ (٦٨٣م) بالبصـرة مـات فيـه عـددٌ كبـيرٌ مـن التـابعين وأبناؤهم، ومنهم هند بن هند بن أبي هالة وهو ابن الصحابي هنـد بـن أبي هالـة ابن أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وربيب النبيِّ ﷺ، كما وقعت غيرها كثيرٌ من الوباءات والطواعين في أقطار الأرض مات فيها كثيرٌ من المسلمين، وروى

---

والأدب والبلاغة والأصول والتفسير من هذه التصانيف : "معجم مقاييس اللغة "وهو من أشهر كتبه: "أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم"، و"تفسير أسماء النبي صلى الله عليه وسلم"، و"جامع التأويل" (كتاب في التفسير)، و"حلية الفقهاء"، و"خلق الإنسان" (في أعضاء الإنسان وصفاته)"رائع الدرر ورائق الزهر في أخبار خير البشر"، و"الصاحبي في فقه اللغة (كتاب اشتهر به كتاب فقه اللغة)، و"غريب إعراب القرآن". توفي عام ٣٩٥هـ.

[100] - فتح الباري على صحيح البخاري.

[101] - أبوالحسن علي بنُ عبدِ اللهِ بنِ جعفر بنِ نجيح بنِ بكر بن سعد. ولد عام ١٦١ هـ، و توفي عام ٢٣٤هـ، وهو من أكابر شيوخ البخاري و من المتخصصين في علم الحديث النبوي. روى عنه البخاري، وأبو داود، وأحمد بن حنبل. للعلماء فيه ثناء حسن قال البخاري: "ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني". وقال أبو داود: "ابن المديني أعلم باختلاف الحديث من أحمد بن حنبل".

أبو نعيم[102] عن أبي هريرة ﷺ أنَّه قال: يأتي على العلماء زمانٌ الموت أحبُّ إلى أحدهم من الذهب الأحمر. وقد وقع ذلك من قتل العلماء والتضييق عليهم في زمن بعض خلفاء بني العباس بداية من عصر المأمون[103] الذي اهتم بعلم الكلام والفلسفة وخرج على الناس بأمر خلق القرآن وبتفضيل عليٍّ على أبي بكر وعمر ﷺ، وبتبرئة الذمة ممن يذكر معاوية ﷺ بخير.. ثم مات فخلفه المعتصم[104] وتبنَّى رأي سابقه ليختم به عمره فكتب إلى البلاد بخلق القرآن، وأمر المعلمين أن يعلِّموا الصبيان بذلك، وقُتل على يديه خلقٌ كثيرٌ وضُرب الإمام أحمد بن حنبل[105] – رحمه الله- وعُذِّبَ، ثم جاء من بعده الواثق[106] ليسير على نهج من سبقه، وقُتل كثيرٌ من العلماء أمثال: الإمام نعيم بن حماد[107] الذي

---

[102] - أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصفهاني، عرف بأبي نعيم. ولد بأصبهان عام ٣٣٦هـ، وتوفي عام ٤٣٠هـ. حافظ ومؤرخ من ثقات الحفاظ والرواة، من تصانيفه: "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"، و"معرفة الصحابة".

[103] - هو عبد الله أبو العباس المأمون بن الرشيد. وُلد سنة ١٧٠هـ، واستقل بالحكم سنة ١٩٨هـ بعد مقتل أخيه الأمين، ومات سنة ٢١٨هـ.

[104] - المعتصم بالله أبو إسحاق محمد بن الرشيد، بُويع له سنة ٢١٨هـ، ومات سنة ٢٢٧هـ.

[105] - أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني إمام المذهب الحنبلي، أصله من مرو وولد ببغداد عام ١٦٤هـ. درس العلم وارتحل في طلبه إلى مكة، والمدينة، واليمن، والكوفة، والشام، والمغرب، وفارس. كان ورعًا تقيًا تصدى لفتنة القول بخلق القرآن أيام المأمون، والواثق، والمعتصم وجلد وسجن ٢٨ شهرًا. كتب المسند وضم به ٣٠ ألف حديث، ومن أشهر كتبه: "الناسخ والمنسوخ"، و"الزهد". توفي عام ٢٤١هـ وشهد جنازته نحو ٨٠٠ ألف.

[106] - هارون الواثق بالله بن أبي إسحاق تولى الخلافة سنة ٢٢٧هـ بعد موت أبيه المعتصم، وتوفي سنة ٢٣٣هـ.

[107] - أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث ابن همام بن سلمة بن مالك الخزاعي، المروزي. محدث من شيوخ البخاري. ولد في مرو الرود، وأقام مدة في العراق والحجاز يطلب الحديث، ثم سكن مصر، ولم يزل فيها إلى أن حمل إلى العراق في خلافة المعتصم، وامتحن بخلق القرآن، فلم يجب

قُتل عام ٢٢٩هـ. وقال عنه نفطويه[١٠٨]: وكان مقيدًا محبوسًا؛ لا متناعه من القول بخلق القرآن، فجر بأقياده، فألقي في حفرة، ولم يكفن، ولم يصل عليه، وقال أبو بكر الطرسوسي: «أخذ نعيم بن حماد في أيام المحنة سنة ثلاث أو أربع وعشرين ومائتين، وألقوه في السجن، وأوصى أن يدفن في قيوده، وقال: إني مخاصم رحمه الله، والإمام البوطي[١٠٩] الذي قُتل عام ٢٣١هـ، والإمام أحمد بن نصر الخزاعي[١١٠]، والإمام المُحَدِّث عبد الحكم بن عبد الله.[١١١] وظلَّتْ هذه المحنة قائمة حتى رفعها الله بتولي المتوكِّل[١١٢] فأمر بالكفِّ عن ذلك.

---

وقيد، ومات في الحبس. له تصانيف: أهمها كتاب الفتن. قال محمد بن سعد: «طلب الحديث طلبًا كثيرًا بالعراق والحجاز، ثم نزل مصر فلم يزل بها حتى أشخص منها في خلافة أبي إسحاق بن هارون، فسئل عن القرآن، فأبى أن يجيب فيه بشيء مما أرادوه عليه، فحبس بسامراء، فلم يزل محبوسًا بها حتى مات في السجن في سنة ثمان وعشرين ومائتين".

[١٠٨] - هو أبو عبد الله إبراهيم بن محمّد بن عرفة العَتَكيّ الأزديّ .إمام حافظ، إمام من أئمة النحو، فقيه ظاهري ولد عام ٢٤٤هـ، وتوفي عام ٣٢٣هـ. لقب (نفطويه) تشبيها له بالنفط، لدمامته وأدمته، لأنه كان يجري على طريقة سيبويه في النحو .ولد بمدينة واسط في العراق، وسكن بغداد ومات فيها. له مؤلفات عديدة منها: "غريب القرآن"، و"تاريخ الخلفاء"، و"كتاب الأمثال"، و'القوافي"، و"كتاب الاستثناء والشروط في القراءات"

[١٠٩] - أبو يعقوب يوسف بن يحيى المصري.

[١١٠] - أحمد بن نصر الخُزاعِيّ أحد العلماء الثقات شهد فتنة القول بخلق القرآن فقتله الواثق العباسي، ولَمّا قتله وصفه أحمد بن حنبل: -مادحًا له- بأنه قد جادَ بنفسه في سبيل الله، ووصفه ابن مَعِين بأنه شهيد.

[١١١] - الديباج المذهب (٢/ ٤١).

[١١٢] - جعفر المتوكل على الله بن أبي إسحاق العباسي، تولى الخلافة سنة ٢٣٣هـ بعد وفاة أخيه الواثق، وقُتل سنة ٢٤٧هـ.

## ٨- فتنٌ شديدةٌ تنزلُ بالصحابة ﭭ:

أخبر الرسول ﷺ بوقوع فتنٍ شديدةٍ كقطع الليل المظلم تنزل بالصحابة رضوان الله عليهم، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **"ستٌّ فيكم أيَّتُها الأمة – وذكر منهن – فتنةٌ تدخل بيت كلَّ رجلٍ منكم"**،[١١٣] وعن معاذ بن جبل ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: **"ستٌّ من أشراط الساعة – وذكر منهن – فتنةٌ يدخلُ حَرْبُها بيت كلِّ مسلمٍ"**،[١١٤] وعن عوف بن مالك ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: **"اعْدُدْ ستًّا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم بيت المقدس، ثم مُوتَان يأخذُ فيكم كقفاص الغنم ثم استفاضة المال حتى يُعطى الرجلُ مائة دينار فيظلّ ساخطًا، ثم فتنة لا يبقى بيتٌ من العرب إلا دخلته"**[١١٥] – وفي رواية لابن ماجة – قال ﷺ: **"فتنةٌ تكون بينكم لا يبقى بيتُ مسلمٍ إلا دخلته.."**[١١٦] – وفي روايةٍ لأحمد – قال ﷺ: **"فتنةٌ تكون في أمتي وعظَّمها.."**.[١١٧] وقال عوف بن مالك[١١٨] ﭬ (راوي

[١١٣] - رواه أحمد في مسنده (٦٣٣٤).
[١١٤] - رواه أحمد في مسنده (٢٠٩٨٨).
[١١٥] - رواه البخاري في صحيحه (٢٩٤٠)، والطبراني في الكبير، والهيثمي في الزوائد وحسَّنه.
[١١٦] - رواه ابن ماجة في سننه (الفتن/ ٤٠٣٢)، وصححه الألباني.
[١١٧] - رواه أحمد في مسنده (٢٢٨٦٠).
[١١٨] - عوف بن مالك الأشجعي الغطفاني ﭬ من نبلاء الصحابة. شهد فتح مكة، وسرية مؤتة، وفتح مصر وحصار الإسكندرية، وشهد الغزو على ثغور المسلمين دون القسطنطينية. توفي عام ٧٣هـ.

الحديث): شهدتُ موتَ النبيِّ ﷺ، وفتح بيت المقدس مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتحه صلحًا لخمسٍ خلون من ذي القعدة سنة ستة عشر من الهجرة، ثم حضرتُ قسمة كنوز كسرى على يديه، ثم شاهدتُ قتال الجمل وصفين، وشاهدتُ الموتان الذي كان بالشام قبل ذلك المسمَّى بطاعون عمواس، وقد انقضت الخمس وعاش عوف بن مالك رضي الله عنه إلى زمن عبد الملك بن مروان[119]، ومات سنة ثلاث وسبعين من الهجرة، وقال الواقدي[120]: مات في أيام الوليد بن عبد الملك[121] بالشام سنة ثلاث وتسعين.[122] وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أشرف النبيُّ ﷺ على أُطُمٍ[123] من آطام المدينة، ثم قال ﷺ: **"هل ترون ما أرى إنِّي أرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القِطْر[124]"**.[125] وفي هذا الحديث قال العلماء: اختُصتْ المدينة بذلك لأنَّ قتل عثمان رضي الله عنه كان بها

---

[119] - عبد الملك بن مروان بن الحكم خليفة أموي من دهاة الخلفاء وأحزمهم، ولد عام ٢٦هـ ونشأ بالمدينة وتعلم بها الفقه. تولى الخلافة عام ٦٥هـ. نازع ابن الزبير رضي الله عنهما وقتله فدانت له الخلافة كلها وجمع الكلمة. له فتوحات وأعمال نهضة وتوسعة. توفي بدمشق عام ٨٦هـ.

[120] - أبو عبد الله الواقدي. محدث ومؤرخ كبير. ولد بالمدينة عام ١٣٠هـ في خلافة هارون الرشيد، عاش ببغداد وولي القضاء بها وتوفي بها عام ٢٠٧هـ.

[121] - خليفة أموي ولد عام ٤٨هـ. تولى الخلافة بعد وفاة أبيه عبد الملك بن مروان عام ٨٦هـ. بنى مسجد دمشق وفتح الطوانة من أرض الروم. توفى بدمشق عام ٩٦هـ.

[122] - التذكرة (٢/ ٦٠٩) للقرطبي.

[123] - الأطم (بضم وسكون الطاء): الحصن أو البيت المرتفع.

[124] - القِطر: المطر.

[125] - رواه البخاري في صحيحه (٣٣٣٠)، ومسلم في صحيحه (٥١٣٥)، وأحمد في مسنده (٢٠٧٥٣، ٢٠٨٠٩).

ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك فالقتال بالجمل وصفين كان بسبب مقتل عثمان ﷺ، والقتال بالنهروان كان بسبب التحكيم بصفين.[126]

وكان مقتل عثمان ﷺ لثلاث عشر خلت من ذي الحجة سنة ٣٥هـ، قتله أناس من الفسقة، وسفلة الأطراف، والأراذل بعد أن حاصروا بيته ٤٩ يومًا، وقيل ٨٠ يومًا بعد أن مُنع الصلاة في المسجد وشرب الماء، فتسلَّقوا الدار وقتلوه وكان عمره ثمان وثمانين سنة، وكانت خلافته ١٢ سنة، وقد أشار النبيُّ ﷺ إلى مقتل عثمان ﷺ وما فيه من فتنة فقال: **"من نجا من ثلاثٍ فقد نجا** – قاله ثلاث مرات". قالوا: ماذا يا رسول الله؟ قال ﷺ: **"موتي، ومِنْ قتل خليفة مُصْطَبِرٍ بالحقِّ – أي عثمان – والدَّجَّال"**.[127] وقال رسول الله ﷺ: **"لتخرجن فتنٌ من تحت قدمي هذا – أي عثمان – يومئذٍ ومن اتبعه على الهدى.."**.[128] وعن حذيفة بن اليمان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم وتجتلدوا[129] بأسيافكم ويرثُ دنياكم شرارَكم"**.[130]

[126] - فتح الباري على صحيح البخاري لابن حجر.
[127] - رواه أحمد في مسنده (٢١٤٥٠)، وانفرد به، عن عبد الله بن حوالة الأزدي ﷺ.
[128] - رواه أحمد في مسنده (١٧٣٧٣)،وانفرد به، عن كعب بن مرة ﷺ .
[129] - يجتلدوا: يتضاربوا.
[130] - رواه الترمذي في سننه (الفتن/ ٢٠٩٦) وقال: حسن صحيح، وابن ماجة في سننه (الفتن/ ٤٠٣٣)، وأحمد في مسنده (٢٢٢١٣).

حقًا لقد كان مقتل عثمان هو سيف الفتنة الذي انسلَّ من غمده يمزق الأمة ويعصف بها، فقد خرجت أمُّ المؤمنين عائشة، والزبير بن العوَّام، وطليحة بن عبيد الله ﷺ إلى البصرة للإصلاح بين الناس وطلب الثأر لقتله عثمان ﷺ فخرج عليٌّ بن أبي طالب ﷺ - الخليفةُ صاحب البيعة – بأهل الكوفة – وقد تثاقل أهلُ المدينة في الخروج – للإصلاح وإطفاء الفتنة ولم يكن القتال واردًا في تدبيره كما لم يكن في تدبير فريق البصرة، وقد تحاجز الجيشان بغير قتال فحدثت الفتنة والوقيعة بليلٍ فدارت رحى الحرب بين الفئتين وقُتل فيها عددٌ من الصحابة والتابعين وقُتل طليحة والزبير رضي الله عنهما، وعُرفت هذه المعركة بمعركة الجمل نسبة إلى الجمل الذي كانت تركب أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها في هودجٍ عليه والذي دار أمامه جزء كبير من القتال، وكانت هذه الوقعة يوم الجمعة في النصف من جمادي الآخرة سنة ٣٦هـ، ثم خرج معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما - وليُّ دم عثمان ﷺ - بأهل الشام بعد وقعة الجمل بخمس عشرة ليلة للثأر من قتلة عثمان ﷺ فلقيهم عليٌّ ﷺ بصفين في صفر سنة ٣٧هـ. قال شيخ الإسلام ابن تيمية[١٣١]: ومعاوية ﷺ لم يَدَّعِ

[١٣١] - أحمد بن شهاب الدين بن تيمية الحنبلي. لقب بتقي الدين وشيخ الإسلام. كان داعية كبير وآية في التفسير وصل عدد مؤلفاته إلى أكثر من ٣٠٠ مجلدًا منها "الفتاوي"، و"الجوامع"، و"أولياء الله وأولياء الشيطان". ولد في حران عام ٦٦١هـ، وانتقل إلى دمشق فاشتهر بها، ثم انتقل إلى مصر فسجن بها

ولم يُبايعُ له بها حين قاتل عليًّا ﷺ، ولم يُقاتل على أنَّه خليفة ولا أنَّه يستحقُّ الخلافة، وكان معاويةُ ﷺ يُقِرُّ بذلك لمن سأله، ولا كان معاوية ﷺ وأصحابه يرون أن يبدأوا بالقتال ولم يفعلوا، وكان عليٌّ ﷺ يرى أنَّه يجب عليهم طاعته ومبايعته إذ لا يكون للمسلمين إلا خليفة واحد، وأنَّهم خارجون عن طاعته يمتنعون عن هذا الواجب، وهم أهل شوكة، رأى أن يقاتلهم حتى يؤدوا هذا الواجب فتتم الطاعة، وقال معاوية ﷺ ومن معه أنَّ ذلك لا يجب عليهم، وأنَّهم إذا قُوتلوا على ذلك كانوا مظلومين لأنَّ عثمان ﷺ قُتل مظلومًا، وقتلتُهُ في عسكر عليٍّ ﷺ، وعليٌّ ﷺ لا يمكنه دفعهم كما لم يمكنه الدفع عن عثمان ﷺ، وإنَّما علينا أن نبايع خليفةَ يقدر على أن ينصفنا ويبذل لنا الإنصاف،[١٣٢] وبمثل ما أحدث الفجرة الفسقة يوم الجمل أحدثوا يوم صفين حتى نشب القتال وقُتل عددٌ كبير من الجانبين، وكان النصر في ميزان أمير المؤمنين فرفع معاوية ﷺ وجيشه المصاحفَ على أسنة الرماح دلالةً على الاحتكام إلى كتاب الله، فاستجاب عليٌّ ﷺ وكفَّ القتال.. وقد أخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال:

---

لفتوى أفتاها، ثم انتقل إلى دمشق وسجن بها كذلك ومات بالسجن بدمشق عام ٧٢٨هـ وخرجت دمشق كلها في جنازته.

[١٣٢] - مجمع الفتاوي لابن تيمية.

**"لا تقوم الساعةُ حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة** [133]– وفي رواية بزيادة –: **فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلةٌ عظيمةٌ، دعواهُما واحدةٌ"**[134]. والمقصود بالفئتين جماعة عليٌّ ﷺ وجماعة معاوية ﷺ، والمراد بالدعوة الإسلام، وقيل المراد اعتقاد كلٍّ منهما أنَّه على الحقِّ، والرأي الثاني أنسب لما ورد من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ فيما رواه عن النبيِّ ﷺ عن قتال أولى الطائفتين بالحقِّ – أي عليٌّ ﷺ ومن معه – للخوارج بعد ذلك،[135] كما سيرد من حديث. وقد انتهت موقعة الجمل بقبول التحكيم، لكن رفضته فئةٌ من جيش عليٍّ ﷺ عُرفوا بالخوارج وكانوا نحو أربعة آلاف، فقاتلهم عليٌّ ﷺ بالنهروان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة أخبر عنها النبيُّ ﷺ فقال: **"تمرقُ مارقةٌ عند فرقة المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحقِّ"**[136] – وفي رواية لأحمد: **"يكون في أمتي فرقتان يخرجُ بينهما مارقةٌ يلي قتلها هما بالحقِّ"**.[137] قال النووي: ضبطوه في الصحيح بوجهين، أحدهما: فُرْقَة (بضم الفاء): أي في وقت افتراق الناس، أي اختلاف يقع بين المسلمين وهو الافتراق الذي كان بين علي ومعاوية رضي الله عنهما،

---

[133] - رواه البخاري في صحيحه (٦٤٢٣) عن أبي هريرة ﷺ.
[134] - رواه البخاري في صحيحه (٦٥٨٨)، ومسلم في صحيحه (٥١٤٢) عن أبي هريرة ﷺ.
[135] - فتح الباري على صحيح البخاري، والتذكرة للقرطبي.
[136] - رواه مسلم في صحيحه (١٧٦٧)، وأبو داود في سننه (٤٠٤٧)، وأحمد في مسنده (١٠٨٤٥) عن أبي سعيد الخدري ﷺ.
[137] - رواه أحمد في مسنده (١١١٨٦).

وفِرْقَة (بحاء مهملة مكسورة): أي فرقتين، قال القاضي عياض: المراد عليًّا وأصحابه، فعليه كان خروجهم حقيقة لأنَّه كان الإمام حينئذٍ. قال النووي: وفيه حجة لأهل السُّنَّة أنَّ عليًّا ﵁ كان مصيبًا في قتاله، والآخرون بغاة لاسيما مع قوله ﷺ: **"يقتلها أولى الطائفتين بالحقِّ"**، وهم **عليٌّ** ﵁ وأصحابه. وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ فإنَّه أخبر بهذا وجرى كلُّهُ كفلق الصبح ويتضمن بقاء الأمة بعده ﷺ وأنَّ لهم شوكة وقوة خلاف ما كان المبطلون يشيعونه وأنَّهم يفترقون فرقتين وأنَّه يخرج عليه طائفة مارقة وأنَّهم يشدِّدون في الدين في غير موضع التشديد ويبالغون في الصلاة والقراءة ولا يقيمون بحقوق الإسلام بل يمرقون منه وأنَّهم يقاتلون أهل الحقِّ وأنَّ أهل الحق يقاتلونهم وأنَّ فيهم رجلاً صفة يده كذا وكذا فهذه أنواع من المعجزات جرت كلها ولله الحمد.[١٣٨] حيث عيَّن رسول الله ﷺ وصفه فقال ﷺ: **"ليخرجن قومٌ من أمتي تُحَقِّرون أعمالكم مع أعمالهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم[١٣٩] يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية". قالوا: فهل من علامة يعرفون بها؟ قال** ﷺ: **"فيهم رجلٌ ذو يُدَيَّةٍ أو ثُدَيَّةٍ مُحَلِّقي رءوسهم"**. قال أبو سعيد الخدري ﵁: حدَّثني عشرون أو بضع وعشرون من أصحاب النبيِّ ﷺ

[١٣٨] - صحيح مسلم بشرح النووي.
[١٣٩] - التراقي: العظم الذي بين أعلى الصدر والعاتق.

أنَّ عليًّا ﷺ ولي قتلهم.[١٤٠] وقال ﷺ: **"يخرج ناسٌ من قبل المشرق ويقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه"**، قيل: وما سيماهم؟ قال ﷺ: **"سيماهم التحليق** – أو قال–: **التسبيد"**.[١٤١] والتحليق: حلق الشعر باستمرار، والتسبيد: حلق واستئصال الشعر.

ومما تقدَّم كانت الفرقة المارقة هم الخوارج الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: **"يخرج في هذه الأمة – ولم يقل: منها – قومٌ تحقرون صلاتكم مع صلاتهم فيقرءون القرآن لا يجاوز حلوقهم – أو: حناجرهم– يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية.."**.[١٤٢] وكانت الطائفة التي على الحقِّ - فيما حدث من خلاف مع معاوية ﷺ - هم أنصار عليٍّ ﷺ، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **"إنَّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلتُ على تنزيله"**، فقال أبو بكر ﷺ: أنا هو يا رسول الله؟ قال ﷺ: **"لا"**. فقال عمر

[١٤٠] - رواه أحمد في مسنده (١٠٨٥٥).
[١٤١] - رواه البخاري في صحيحه (٧٠٠٧).
[١٤٢] - رواه مسلم في صحيحه (١٧٦٤)، وأحمد في مسنده (١١١٥٠)، والبيهقي في الدلائل، عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

ﷺ: أنا هو يا رسول الله؟ قال ﷺ: **"لا، ولكن خاصف النعل[143] - يعني عليًّا"**.[144]

وأفضل ما قيل فيما وقع من اختلاف بين الصحابة ما ذكره العلامة البيجوري[145] قال: افترق الصحابة في هذا الخلاف ثلاث فرق، فرقة اجتهدت فظهر لها الحق مع عليٍّ ﷺ فقاتلت معه، وفرقة اجتهدت فظهر لها الحقِّ مع معاوية ﷺ فقاتلت معه، وفرقة توقَّفت واعتزلتهم جميعًا، وقال العلماء فيهم: المصيب بأجرين والمخطئ بأجرٍ، ولم يخرج واحدٌ منهم عن كونه عدلاً لأنَّهم مجتهدون.[146]

وشاء الله تعالى أن تكون نهاية هذه الفتنة على يد الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ في الحسن ﷺ: **"إنَّ ابني هذا سيدٌ، ولعل اللهَ تعالى أن**

---

[143] - خصف النعل أي خاطه.

[144] - رواه أحمد في مسنده (١٠٨٥٩، ١١٣٤٨) وهما حديثان أحدهما إسناده حسن والآخر صحيح، ورواه البيهقي في الدلائل، والبغوي في شرح السنة، والهيثمي في مجمع الزوائد.

١٤٥ - ولد في بلدة الباجور بمحافظة المنوفية عام (١١٩٨هـ/ ١٧٨٤م). نشأ دينية وحفظ القرآن الكريم وجوده، ثم قدم إلى الجامع الأزهر في عام ١٢١٢ هـ لأجل تحصيل الآداب والعلوم الشرعية، وسنه إذ ذاك أربع عشرة عامًا ومكث فيه حتى الاحتلال الفرنسي لمصر (١٧٩٨م/ ١٢١٣هـ)، فخرج وتوجه إلى الجيزة وأقام بها مدة وجيزة ثم عاد إليه عام (١٨٠١ م/١٢١٦ هـ)، فأخذ في الاشتغال بالتعليم والتحصيل.تولى مشيخة الأزهر الشريف من عام (١٨٤٧م / ١٢٦٣هـ) لمدة ١٣ عامًا. ترك الشيخ الباجوري مؤلفات عديدة، من أهمها: حاشية تحفة المريد على متن جوهرة التوحيد و حاشية تحفة المريد على متن جوهرة التوحيد، وغيرها كثير.توفي عام ١٢٧٦هـ ودفن بالمجاورين.

[146] - الاستيعاب لابن عبد البر.

**يصلحَ به وبين فئتين عظيمتين من المسلمين"**،[147] وتحقَّقَ ذلك وأصلح اللهُ به بين أهل الشام وأهل العراق بأن تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنهما وذلك في عام ٤١هـ الذي عُرِفَ بعام الجماعة.

## ٩- قتال الترك (خُوز وكِرمان):

الترك هنا هم أهل الصين، واليابان، وكوريا، ومنغوليا.. ومن على شاكلتهم من الجنس الأصفر الذي يسكن شرق آسيا ووسطها، وهم أبناء عمومة يأجوج ومأجوج، وقد وصفهم الرسول ﷺ وصفًا دقيقًا لا يشتبه على أحد غيرهم، وهي من مجمل معجزاته ﷺ في الإخبار بالأحداث المستقبلية لأنَّه لم يرهم في حياته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **"لا تقوم الساعةُ حتى تقاتلوا خوزًا وكِرمان من الأعاجم حُمُرُ الوجوه فُطسُ الأنوف**[148] **صغار الأعين كأنَّ وجوههم المَجَانُّ المُطْرَقَة**[149] **، ونعالهم الشعر**[150]**"**.[151] وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **"لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا نعالهم الشعر وحتى تقاتلوا**

[147] - رواه البخاري في صحيحه (٢٥٠٥)، والترمذي في سننه (٣٧٠٦)، وأبو داود في سننه (٤٠٤٣)، والنسائي في سننه (١٣٩٣)، وأحمد في مسنده (١٩٤٩٧، ١٩٥٩٥).
[148] - أفطس الأنف: منخفض قصبة الأنف مفترشيها.
[149] - المجان: جمع مجن وهو الترس، والمُطَرَّقَة (بالتشديد) هي التي وضع عليها الطرق، وهو الجلد الذي يقطع على قدر الترس فيلصق على سطحه، وقيل المُطْرَقَة (بسكون الطاء وفتح الراء) أي التي أُطرقت أي ألبست حتى غلظت كأنَّها ترس على ترس، ومنها طارق النعل أي ركب جلدًا على جلدٍ وخرز عليه أي حصفة.
[150] - يصنعون أحذيتهم وملابسهم من الشعر والفراء، وهذا يتناسب مع طبيعة بلادهم الباردة ومع طبيعتهم كبدو رحل.
[151] - رواه البخاري في صحيحه (٣٥٩٠)، وأحمد في مسنده (٧٨٩٢).

**الترك صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف**[152] **كأنَّ وجوهم المجان المطرقة"**[153] – وفي رواية – قال رسول الله ﷺ: **"تقاتلون بين يدي الساعة قومًا نعالهم الشعر كأنَّ وجوههم المجان المطرقة، حُمُرُ الوجوه صغار الأعين ذُلف الأنوف"**.[154] وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا تقومُ الساعةُ حتى تقاتلوا قومًا صغار الأعين عِرَاض الوجوه، كأنَّ أعينهم حدق الجراد، وكأنَّ وجوههم المجانّ المطرقة ينتعلون الشعر، ويتخذون الدَّرَق يربطون خيولهم بالنخل"**.[155] وعن عمرو بن تغلب ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"إنَّ من أشراط الساعة أن تقاتلوا قومًا ينتعلون نعال الشعر، وإنَّ من أشراط الساعة أن تقاتلوا قومًا عِرَاض الوجوه كأنَّ وجوههم المجان المطرقة"**.[156]

أمَّا عن خروجهم فقد روى عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما قال: كنتُ جالسًا عند النبيِّ ﷺ فسمعتُ ﷺ يقول: **"إنَّ أمتي يسوقها قومٌ عِرَاض**

---

[152] - الأنف الأذلف: ما كان به انبطاح وغلظ.

[153] - رواه البخاري في صحيحه (٣٣٢٢).

[154] - رواه البخاري في صحيحه (٢٧١٢)، ومسلم في صحيحيه (٥١٨٨)، الترمذي في سننه (٢١٤١)، وأبو داود في سننه (٣٧٥٠)، وابن ماجة في سننه (٤٠٨٦).

[155] - رواه ابن ماجة في سننه (٤٠٨٩)، وأحمد في مسنده (١٠٨٣١)، وابن حبان في صحيحه (٢٦٣٨) وصححه.

[156] - رواه البخاري في صحيحه (٢٧١٠)، وابن ماجة في سننه (الفتن/ ٤٠٨٨).

**الوجوه صغار الأعين كأنَّ وجوههم الجحف[157] ثلاث مرَّات حتى يلحقوهم بجزيرة العرب، أمَّا السِّياقة الأولى فينجو من هرب منهم، وأمَّا السِّياقةُ الثانيةُ فيهلك بعضٌ وينجو بعض، وامَّا السَّياقةُ الثالثة فيصطلمون[158] كلُّهم من بقى منهم"**، قالوا: يا نبي الله من هم؟ قال ﷺ: **"هم الترك"**، قال ﷺ: **"أما والذي نفسي بيده ليربطن خيولهم إلى سواري مساجد المسلمين"**. قال: كان بريدة لا يفارقه بعيران أو ثلاثة ومتاع السفر والأسقية بعد ذلك للهرب مما سمع من رسول الله ﷺ من البلاء من الترك.[159] وروى أبو يعلى عن معاوية بن حديج رضي الله عنه قال: كنتُ عند معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما- حين جاءه كتاب من عامله يخبره أنَّه وقع بالترك وهزمهم وكثرة من قتل منهم، وكثرة من غنم، فغضب معاوية رضي الله عنه من ذلك، ثم أمر أن يكتب إليه: قد فهمتُ مما قلتَ ما قتلتَ وغنمتَ، فلا أعلمن ما عدت لشيءٍ من ذلك ولا قاتلتهم حتى يأتيكَ أمري! قلتُ: لِمَ يا أمير المؤمنين؟ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **"لتظهرن التركُ على العرب حتى تلحقها بمنابت الشيح والقيصوم[160]"**، فأنا أكره قتالهم

---

[157] - الجحف: الترس أو الدرع.

[158] - الاصطلام: الاستئصال، وأصله من الصلم وهو القطع، واصطلمت أذنه أي قُطعت.

[159] - رواه أحمد في مسنده (٢١٨٧٣) بإسناد صحيح، وأبو داود في سننه (٣٧٥١).

[160] - يقول العرب: فلان يمضغ الشيح والقيصوم، لمن خلصت بدويته، ومنابت الشيح والقيصوم هي الصحراء موطن البدو، والشيح هو النبات العشبي المعروف، والقيصوم نوع من الفصيلة المركبة قريب الشيح [المعجم الوسيط (٢/ ٧٤١)].

لذلك.[161] وقال رسول الله ﷺ: **"دعوا الحبشة ما ودعوكم، واتركوا الترك ما تركوكم"**،[162] وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"اتركوا التركَ ما تركوكم فإنَّ أولَ من يسلب أمتي مُلْكَهم وما خَوَّلَهم اللهُ بنو قنطوراء[163]"**.[164]

وكان المسلمون قد قاتلوا الترك منذ عصر الصحابة رضي الله عنهم وذلك في أول خلافة بني أمية في عهد معاوية رضي الله عنه.[165] قال الحافظ ابن حجر: كان بينهم وبين المسلمين مسدودًا إلى أن فُتِحَ ذلك شيئًا بعد شيءٍ وكثر السبي منهم، وتنافس الملوك فيهم لما يتصفون به من الشدة والبأس حتى كان أكثر عسكر المعتصم منهم، ثم غلب الأتراك على الملك، فقتلوا ابنه المتوكل ثم ده، واحدًا بعد واحدٍ إلى أن خالط المملكةَ الديلمُ[166]، ثم كان ملوك السامانية[167] من الترك أيضًا، فملكوا بلاد العجم، ثم غلب على تلك الممالك آل سبكتكين[168]، ثم آل سلجوق[169]،

---

[161] - فتح الباري على صحيح البخاري (٦/ ٦٠٩) لابن حجر، ومجمع الزوائد (٧/ ٣١٢) للهيثمي.

[162] - رواه أبو داود في سننه (٣٧٤٨)، والنسائي في سننه (٣١٢٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٧٧٢).

[163] - قنطورا: كانت جارية لإبراهيم عليه السلام ولدت له أولادًا من نسلهم الترك، وقيل هم من ولد يافث، وقال وهب بن منبه أنَّ الترك هم أبناء عم يأجوج ومأجوج [التذكرة (ص٦٢٣) للقرطبي]، وقال ابن كثير في النهاية (١١٣/٤): قيل أن قنطورا كانت جارية لإبراهيم الخليل عليه السلام ولدت له أولادًا منهم الترك والصين.

[164] - رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ١٨١/ ١٠٣٨٩).

[165] - علامات القيامة الصغرى (ص٩١) للشعراوي.

[166] - تقع بلاد الديلم جنوب غرب بحر الخزر (قزوين) وشمال شرق نهر دجلة وشرق التركستان.

[167] - موقعها الآن التركستان الصينية شمال النهر الذي يعرف بنهر سيحون.

[168] - مؤسس هذه الدولة محمود بن سبكتكين (٣٦٠هـ/٩٧٠م -٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) أول من تلقب بلقب السلطان أعظم قادة المسلمين وحكامهم وأكثرهم تشبهًا بالفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عدله وحسن سيرته، وقد عرفت بالدولة الغزنوية وحكمت مملكته خرسان، والسند، والبنجاب وشمال الهند، وطبرستان، وبقاع واسعة من إيران، وامتد ملكه

وامتدت مملكتهم إلى العراق والشام والروم، ثم كان بقايا أتباعهم بالشام وهم آل زنكي[١٧٠]، وأتباع هؤلاء وهم بيت أيوب[١٧١]، واستكثر هؤلاء أيضًا من الترك فغلبوهم على الديار المصرية والشامية والحجازية، وعلى هذا يكون التتار الذين ظهروا في القرن السابع الهجري هم من الترك فإن الصفات التي جاءت في وصف الترك تنطبق على التتار (المغول) وقد كان ظهورهم في زمن الإمام النووي – رحمه الله – فقال فيهم: قد وجد قتال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التي ذكرها ﷺ: صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنوف، عراض الوجوه، ينتعلون الشعر، فوجدوا بهذه الصفات كلها في زماننا وقاتلهم المسلمون مرات وقتالهم الآن.[١٧٢] قال القرطبي: قال الحافظ السيد بن دحية[١٧٣] أنَّهم الترء،[١٧٤] وقال

---

٣٠ عامًا. استطاع القضاء على الدولة البوهية الشيعية الخبيثة، وتصدي للفاطميين وقضى على تشيعهم في بلاده وكثير مما حولها، وضم إلى بلاده الدولة السامانية، وقاد ١٦ حملة على الهند لقتال الهندوس الوثنيين ففتح كثير من أراضيهم، وهدم صنمهم الأكبر بإقليم الكوجرات.

[١٦٩] - السلاجقة هي قبيلة من قبائل الغز التركية أسسها سلجوق كان ينتمي إلى قبيلة تقيم ببراري القرغيز في التركستان ثم استقر به الترحال في بخارى واعتنق الإسلام السني ونشر الإسلام بها وحارب الدول الشيعية، وجاء حفيده طرغل فضم إقليم خراسان وتوسع بمملكته حتى بلغ حدود بغداد فاعترف به الخليفة العباسي سلطانًا في جواره عام (٤٤٦هـ/ ١٠٥٥) وكانوا يساندون الخلافة العباسية، واستطاعوا القضاء على الدولة البوهية الشيعية تمامًا عام (٤٤٧هـ/ ١٠٥٦م) وبلغ حدود دولته مداها في القرن الخامس الهجري في عهد ملكشاة حيث ضمت دولته خراسان، وما وراء النهر، وإيران، والعراق، والشام، وآسيا الصغرى، وكانت عاصمتها بالري ثم انتقلت إلى بغداد وبعد وفاته تفككت دولته وحل مكانها في العراق وفارس دولة الأتابكة، وفي آسيا الصغرى دولة الأتراك العثمانيين.

[١٧٠] - نسبة إلى عماد الدين زنكي أحد أتابكة السلاجقة وهو ابن أحد أمراء السلطان ملكشاة السلجوقي، استطاع أن يهزم الصليبيين ويفتح إمارة الرها. استشهد عام (٥٤١هـ/١١٤٦م) وتولى الجهاد من بعده ابنه نور الدين محمود أستاذ صلاح الدين الأيوبي.

[١٧١] - مؤسس الدولة الأيوبية صلاح الدين الأيوبي (٥٣٣هـ/ ١١٣٨م – ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م) هازم الصليبيين في حطين (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) ، وفاتح بيت المقدس ومحرر كثير من مدن بلاد الشام، وموحد مصر والشام.

[١٧٢] - صحيح مسلم بشرح النووي (١٨/ ٣٧، ٣٨).

[١٧٣] - أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن الجميل بن فرح بن خلف بن دحية بن فروة الكلبي، المعروف بذي النسبين الأندلسي البلنسي الإمام العلامة المحدث الحافظ. ولد سنة ٥٤٤هـ، كان متقنا لعلم الحديث النبوي وما يتعلق به، عارفا بالنحو واللغة وأيام العرب وأشعارها، أكثر بطلب الحديث

القرطبي: قد كملت بحمد الله خرجاتهم ولم يبقَ إلا قتلهم وقتالهم، فخرجوا على العراق الأول والثاني وما اتصل بها من بلاد فقتلوا كل من كان فيها واستباحوها ثم أوغلوا إلى أن ملكوا جميع الشام في مدة يسيرة ودخل رعبهم الديار المصرية فخرج إليهم من مصر الملكُ المظفَّر قطز[١٧٥] بجميع من معه من العسكر فالتقى بهم بعين جالوت (الجمعة ٢٦ من رمضان ٦٥٨هـ – ٣/ ٩/ ١٢٦٠م) فكان له النصر والظفر وانجلوا عن الشام وعبروا الفرات منهزمين وفروا خائبين خاسرين.[١٧٦] وقال التاج السبكي[١٧٧] في طبقاته: لم يكن

---

في أكثر بلاد الأندلس، ولقي بها علماءها ومشائخها، ثم رحل منها المغرب واجتمع بفضلائها، ثم ارتحل إلى أفريقيا ومنها إلى الديار المصرية، ثم إلى الشام والى العراق وغيرها كل ذلك في طلب الحديث والاجتماع بأئمة الحديث، وأُخذ عنهم. توفي ابن دحية الكلبي عام ٦٣٣هـ بالقاهرة. أثنى عليه الإمام السيوطي، له تصانيف كثيرة في السيرة والعقيدة منها: "الابتهاج في أحاديث المعراج"، و"أنوار المشرقين في تنقيح الصحيحين المشرقين"، و"تاريخ الأمم في أنساب العرب والعجم"، و"التحقيق في مناقب أبي بكر الصديق".

[١٧٤] - التذكرة (ص ٦١٩) للقرطبي.

[١٧٥] - قطز بن عبد الله المعزي ثالث ملوك الترك المماليك. لُقب بالمظفر وعُرف بسيف الدين. اسمه محمود بن ممدود ابن أخت السطان جلال الدين خوارزم شاة ووريث عرشه. سُبي صغيرًا وبيع بدمشق، وانتقل إلى القاهرة حيث ملكه المعز أيبك التركماني وأعتقه وقربه وظل يترقى في المناصب حتى صار اتابك العسكر. تسلطن في عام (٦٥٧هـ/ ١٢٥٨م)، وانتصر على التتار في معركة عين جالوت في يوم الجمعة ٢٦ من رمضان ٦٥٨هـ (١٢٦٠/٩/٣م). أغتيل رحمه الله بمؤامرة داخل عسكره وهو راجع إلى مصر بعد انتصاره بنحو ٤٠ يومًا، ودُفن بموضع وفاته ثم نقل جثمانه ليدفن بالقاهرة.

[١٧٦] - التذكرة (ص ٦١٩، ٦٢٠) للقرطبي.

[١٧٧] - أبو نصر تاج الدين عبد الوهّاب بن علي بن عبد الكافي السبكي. فقيه شافعي، ومؤرخ عربي وقاضي القضاة في دمشق ، ولد بمصر عام ٧٢٧هـ . انتقل إلى دمشق مع والده الفقيه تقي الدين السبكي فسكنها وعاش حياته وأصبح من أشهر القضاة في دمشق وتوفي بها عام ٧٧١هـ ودفن في دمشق. له الكثير من المؤلفات، منها: طبقات الشافعية الكبرى والوسطى والصغرى، والإبهاج في شرح المنهاج شرح منهاج البيضاوي في أصول الفقه، وجمع الجوامع، في أصول الفقه.

منذ خلق الله الدنيا فتنة أكبر من فتنة التتار، ولم يزل بقاياهم يخرجون إلى أن كان آخرهم تيمور الأعرج (تيمور لنك) وقد كان خراب بغداد ودمار الخلافة العباسية وقتل المستعصم[١٧٨] آخر خلفائهم ببغداد على أيديهم سنة ست وخمسين وستمائة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).

وقد ذكر التاريخ نشأة التتار وخروجهم أنَّهم كانوا قبائل بدو رحل تعيش في الهضبة الآسيوية الشاسعة الممتدة من أطراف الصين إلى أواسط آسيا، قد احترفوا الرعي واكتسبوا مهارة فائقة في ركوب الخيل، وظلَّتْ جموعهم تضرب في الأرض بين أطراف الصين ومنشوريا إلى بحيرة بيكال قرب التركستان حتى استطاع "جنكيز خان"[١٧٩] أن يوحِّدهم ليصبح ملكًا عليهم وذلك في عام (٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م)، وجعل عاصمتهم "قُرَّة قُرْم"، وكان يعقد لهم اجتماع سنوي عُرف باسم "قوريتلاي"، ووضع لهم دستورًا سماه

---

[١٧٨] - عبد الله بن منصور بن محمد. عرف بالمستعصم. آخر خلفاء الدولة العباسية بالعراق. ولد ببغداد عام ٦٠٩هـ، وتولى الخلافة بعد وفيه المستنصر. ضعفت في عهده الخلافة حتى اجتاح هولاكو أراضيه عام ٦٤٥هـ وأحدوا مذبحة مروعة بعاصمة خلافته، وأسقطها بعد أن دامت ٥٢٤ سنة. قتله جند هولاكو بعد أن ذبحوا أمامه أبناءه وأهل بيته وخاصته وأخبر بموضع أمواله عام ٦٤٥هـ.

[١٧٩] - قائد مغولي شهير اسمه تيموجين استطاع أن يوحد قبائل المغول كلها تحت نفوذه عام ١٢٠٦م وعرف بجنكيز خان أي إمبراطور الدنيا. اكتسح بجيوشه الصين، وبلاد فارس، وشمال الهند، ووسط آسيا، وعاد إلى منغوليا وتوفي بها عام ١٢٢٧هـ.

"الياساق"، وأخضع جميع القبائل لطاعته، وحشد جيوشه لغزو جيرانه فغزا الصين في عام (٦١٢هـ/ ١٢١٥م)، ثم وصل إلى نهر "هوانجهو" وغزا أراضي الدولة الخوارزمية ودمَّرها، ومات سنة (٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م)، وسار على نهجه حفيده "هولاكو"[١٨٠] الذي غزا خرسان في (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)، ثم دخل بغداد وأسقط الخلافة العباسية وقتل سلطانها في عام (٦٥٦هـ/ ١٢٨٥م) وأعمل في بغداد السيف ٣٤ يومًا وقتل جميع أهلها[١٨١]، وجمعوا كتب العلم وبنوا بها جسرًا بعد أن خلطوها بالطين والماء عوضًا عن الحجر، ثم تقدَّموا فاستولوا على حران، والرها، وديار بكر في عام (٦٥٧هـ/ ١٢٥٩م)، ثم عبروا الفرات على جسور أقاموها حتى بلغوا حلب في الثاني من شهر صفر في عام

---

[١٨٠] - هولاكو خان مؤسس مملكة الإلخانات فارس هولاكو خان.وابن الإمبراطور تولوي بن الإمبراطور وشقيق كل من الإمبراطور منكو خان والإمبراطور قوبلاي خان والإمبراطور إريك بوك. ولد هولاكو عام ١٢١٧م. خرج هولاكو عام ١٢٥٥هـ على رأس جيش هائل قُدّر بنحو ٢٥٠ ألف جندي بتكليف من إمبراطور التتار فاكتسح كل ما قابله ودخل بغداد عام (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) ليسقط الخلافة العباسية، ثم اتجه إلى الشام فغزا "نصيبين" و"حران" و"الرها" و"البيرة" ثم حاصر حلب حتى استسلمت عام ٦٥٨هـ ، ثم غزا "حارم" و"حمص" و"المعرة"، ثم دمشق، ثم عاد إلى تبريز ليشهد اختيار الحاكم الأعظم الجديد للمغول بعد موت الإمبراطور، وقبل أن يغادر الشام أرسل رسالة إلى المماليك، يدعوهم فيها إلى الاستسلام فلم ينتظر قطز قدوم المغول وخرج بجميع عسكر مصر ومن انضم إليهم من عساكر الشام ومن العرب والتركمان وغيرهم. والتقى بهم في موقعة "عين جالوت" بفلسطين عام (٢٥ من رمضان ٦٥٨هـ/ ٢٤ من أغسطس ١٢٦٠م)، فانتصر المسلمون ودانت بلاد الشام حتى نهر الفرات تحت حكم المماليك، حاول هولاكو أن يثأر لهزيمته فأرسل جيشا قويا إلى حلب فأغار عليها ونهبها، ولكنه تعرّض للهزيمة بالقرب من حمص عام (٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م) فارتد إلى ما وراء نهر الفرات. مات هولاكو عام ١٢٦٥م، ودفن في جزيرة كابودي في بحيرة أورميا.

[١٨١] - ذكر الذهبي في تاريخ الإسلام أن جملة من قتل ببغداد يوم اقتحمها التتار ثمانمائة ألف.

(٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) فحاصروها سبعة أيام ودخلوها ففعلوا بها مثل ما فعلوا ببغداد بعد أن وعدوهم بالأمان، ثم غادر "هولاكو" جيشه وأرسل قائده "كتبغا نوين"[١٨٢] ليحل مكانه فاستولى على دمشق، وفتكوا بأهلها، ثم تقدَّموا فاحتلوا نابلس، ثم الكرك، ثم بيت المقدس، والخليل، وغزة، وكانوا يقتلون كلَّ من وجدوه ويسبون النساء والصبيان، وغنموا عددًا هائلاً من الماشية والأغنام، ولم يبقَ خارج حكمهم إلا مصر، والحجاز، واليمن. وتسلطن قطز على مصر يوم السبت سابع عشر ذي القعدة في عام (٦٥٧هـ/ ١٢٥٨م)، وأرسل "هولاكو" رسالة مع وفد من أربعين رجلاً إلى قطز سلطان مصر يدعوه للاستسلام، فمزَّق قطز رسالته وأعدمهم وعلَّق رءوسهم على باب زويلة، ونادى في مصر بالجهاد وتقدَّم إليهم فهزمهم شرَّ هزيمة بعين جالوت بالشام في يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر رمضان في عام ٦٥٨هـ (٣/ ٩/ ١٢٦٠م)، وكُسرت جيوش التتار وقُتل أغلب جندهم، لكن لم تكن عين جالوت هي آخر العهد معهم فما إن علموا باغتيال السلطان قطز – رحمه الله — حتى حشدوا لغزو الشام فدخلوا البيرة، ثم حلب وأسرفوا في القتل بها،

[١٨٢] - كتبغا واحد من أكبر قادة التتار ونوين لفظ فارسي يقرن بقادة التتار ويعني أمير عشرة آلاف من الجند. كان مقدم عسكر التتار، وكان ذو رأي وتدبير، شجاعًا خبيرًا بالحروب وافتتاح الحصون. أدرك جنكيز خان وحارب معه وكان هولاكو يثق به ولا يخالفه الرأي. وكان يدين بالنصرانية.

وتقدَّموا إلى حماة فهزمهم الملك الأشرف[١٨٣] صاحب حمص في المحرم في عام (٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م)، ثم عاد التتار إلى حلب فقتلوا وسفكوا الدماء فحاربهم بيبرس[١٨٤] بها فسحقهم وأخرجهم من حلب وقضى على فلولهم، ثم عاد التتار تحت قيادة "قربغا" فدخلوا الأنبار في عام (٦٧١هـ/ ١٢٧٢م) فقتلوا من كان بها وقتلوا الخليفة العباسي المستنصر الثاني[١٨٥]، ثم تقدَّم "أبغا بن هولاكو"[١٨٦] في عشرة آلاف فارس فعبروا الفرات في عام (٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م) فلقيهم بيبرس فهزمهم هزيمةً ساحقةً، ثم التقى بجيوشهم مدعومة بجيوش الروم في أحد عشر ألفًا فهزمهم وكسر التتار والروم، وفرَّ "أبغا" هاربًا، ثم حشد من جديد لقتال المسلمين فتوجَّه إليه بيبرس فقذف الله الرعب في قلوب أعدائه وفرُّوا

---

[١٨٣] - معركة حمص الأولى وقعت في ٥ محرم ٦٥٩هـ / ١٠ ديسمبر ١٢٦٠م في عهد السلطان الظاهر بيبرس، ما بين جيش مغول الإلخانات وقوات يقودها الملك الأشرف موسى شيركوه صاحب حمص والملك المنصور صاحب حماة وزامل بن علي أمير بني ربيعة. وانتصر المسلمون فيها نصرًا ساحقًا.

[١٨٤] - الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتوح بيبرس بن عبد الله البندقداري الصالحي النجمي الأيوبي التركي، رابع ملوك الترك المماليك. وُلد في صحراء القبجاق في عام (٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م). سُبي صغيرًا وبيع بدمشق، ثم اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب واعتقه وجعله من مماليكه. شهد معركة المنصورة (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) التي انتصر فيها الإسلام على الصليبيين وكان من أبطالها المغاوير. له جهاد كبير أمام التتار فقد قاد مقدمة الجيش الإسلامي وهزم مقدمة جيوش التتار بغزة ثم التحق بالجيش الإسلامي ليشهد معركة عين جالوت وله جهاد عظيم بها. تولى الحكم بعد مقتل قطز (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) ليواصل جهاده فهزم التتار في عدة مواقع، وهزم الصليبيين ففتح أنطاكية (٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م)، وفتح قيصرية عاصمة سلاجقة الروم (٦٧٥هـ/ ١٢٧٧م). توفي رحمه الله في عام (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) بالقاهرة ودُفن بها.

[١٨٥] - أخو الخليفة العباسي الذي قُتل ببغداد على يدي هولاكو.

[١٨٦] - أباغا خان ثاني ملوك إلخانات فارس المغول، وهو ابن هولاكو، انتخبته اسرته إلخانا منغوليا في الفترة (١٢٦٥م– ١٢٨٢م)، كان معظم حكمه منشغلا بالحروب الأهلية التي عصفت بإمبراطورية المغول، له عدة محاولات عسكرية غير ناجحة لغزو الشام. ولد عام (٦٣١ هـ/ ١٢٣٤م). نقل عاصمة ملكه إلى تبريز، والتي ظلت محتفظة بمكانتها طوال حكم أسرة هولاكو.مات عام (٦٨٠ هـ / ١٢٨٢م).

بغير رجعة، ولم تجتمع لهم قوة بعدها..[١٨٧] ثم جاء عصرٌ عاد فيه المغول وقد تظاهروا بالإسلام فهاجم الطاغية المغولي "قازان" بلاد الشام في عام (٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م) فانتزع دمشق وكثير من مدن الشام في عهد السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون[١٨٨] فأشاع فيها القتل والخراب وهُزم المسلمون في معركة "الخزندار" وظهر "قازان" على بلاد الشام. وقام شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– يحضُّ المسلمين على جهادهم بعد أن فرَّ السلطان المملوكي مهزومًا فحشد روح الجهاد فيهم، وفي عام (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م) هاجم المغول الشام في جيشٍ كثيفٍ، لكن الأوضاع كانت قد تغيَّرت فخرج المسلمون للجهاد ولبَّى السلطان المملوكي دعوى الجهاد وخرج

[١٨٧] - عبقرية محمد ﷺ وأكابر الصحابة والتابعين (ص٤٠٤- ٤٢٤) – حازم إسماعيل السيد (مختصرًا).

[١٨٨] - الملك الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون، لقب بأبي المعالي وأبي الفتح تاسع سلاطين الدولة المملوكية البحرية.ولد بالقاهرة في (٦٨٤هـ /١٢٨٥م) من أبرز سلاطين الأسرة القلاوونية والدولة المملوكية. خاض حروباً ضد الصليبيين والمغول، وحروباً إصلاحية في الداخل ضد الفساد. شهدت مصر في فترة حكمه الثالثة نهضة حضارية وعمرانية لم تشهدها في عهد أي سلطان آخر من سلاطين الدولة المملوكية. أثناء حكمه في عام (٦٩٩ هـ / ١٢٩٩م) وردت إلى القاهرة أنباء عن زحف مغولي على الشام يقوده محمود غازان إلخان مغول فارس فتوجه الناصر إليها اصطدم بجيش غازان المتحالف مع مملكة أرمينيا الصغرى عند حمص في معركة عرفت باسم معركة وادى الخزندار ،، لكنه انهزم ودخل المغول دمشق وسيطروا على الشام، ثم بدأ ينظم الجيش ويجهز لأخذ الثأر من المغول، وهزمهم في معركة شقحب يوم السبت الموافق ٢ رمضان ٧٠٢ هـ (١٣٠٣م) وطردهم من الشام. عاد إلى القاهرة عاصمته وتوفي بها عام (٧٤١هـ/ ١٣٤١م) وهو في الثامنة والخمسين بعد أن حكم البلاد ٤٣ سنة وثمانية أشهر وتسعة أيام، ودفن بعد العشاء مع أبيه قلاوون في القبة المنصورية بالقاهرة وحزن الناس حزناً كبيراً عليه

الخليفة العباسي المستكفي بالله[189] لنجدة المسلمين بالشام والتقى الجيشان في "شقحب" إحدى نواحي دمشق في رمضان في عام (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م) وانتصر المسلمون نصرًا مؤزَّرًا، حتى أن الإمام الذهبي[190] — رحمه الله- قال في ذلك اليوم: فوالله ما ذقنا يومًا أحلى منه ولا أمرَّ من الذي كان قبله..[191]

ومن أبرز قادة المغول "تيمور لنك" (تيمور الأعرج) الذي استولى على التركستان، والهند، وبغداد، ودمشق، وزحف على آسيا الصغرى (تركيا حاليًا)، ودمَّر "بروسة" عاصمة الدولة العثمانية في عام (٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م) وهاجم السلطانَ العثماني "بايزيد الأول"[192] أثناء حصاره للقسطنطينية وأسره

[189] - المستكفي بالله أبو الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله ولد عام ٦٨٤هـ، وبويع بالخلافة بعهد من أبيه عام ٧٠١هـ، وفي عتم ٧٠٢هـ هجم التتار على الشام فخرج مع السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون قتالهم فكان النصر لهم، قلد الأمير ركن الدين بيبرس السلطنة ولقبه بالملك المظفر وقلده الخليفة وألبسه الخلعة السوداء والعمامة المدورة وفي عام ٧٣٦هـ وقع بين الخليفة المستكفي والسلطان بيبرس فقبض عليه بيبرس واعتقله بالبرج ومنعه من الاجتماع بالناس ثم نفاه في عام ٧٣٧هـ إلى قوص هو وأولاده وأهله ورتب لهم ما يكفيهم، وتوفي عام (٧٤٠هـ/ ١٣٤٠م) بقوص ودفن بها.

[190] - أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايمز الذهبي. حافظ ومؤرخ علامة ومحقق عالم بالجرح والتعديل، خلف ثروة رائعة من المؤلفات في التاريخ والتراجم وعلوم الحديث، منها: "سير أعلام النبلاء"، و"طبقات القراء" وموسوعة ضخمة في التاريخ. ولد بدمشق عام ٦٧٣هـ، وتوفي بها عام ٧٤٨هـ.

[191] - من معارك المسلمين في رمضان – د.عبد العزيز بن راشد العبيدي نقلاً عن: "دولة الإسلام" (٢/ ٢٠٨) للذهبي، و"الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية" للحافظ عمر بن البزار، و"البداية والنهاية" (١٤/ ٢٣) لابن كثير.

[192] - السلطان بايزيد الأول بن مراد الأول بن أورخان غازي بن عثمان بن أرطغرل، رابع سلاطين الدولة العثمانية حكم ما بين سنتي ٧٩٢هـ- ٨٠٥هـ). لقب بالصاعقة. ولد عام٧٤٦هـ.بعد أن فرغ من ترتيب الشأن الداخلي والقضاء على ثورات الأناضول، اتجه إلى ناحية أوروبا وهزم مملكة المجر بمعركة نيكوبوليس قد اقسم السلطان بايزيد علي انه لن يتراجع عن غزو أوروبا وفتح

في قفصٍ من حديد..[193] وظلَّ هذا الطاغية يعيث في الأرض الفساد لدرجة أنَّه لُقِّبَ بقاهر العالم إلى أن قصمه الله وأخذه أخذ عزيز مقتدر، ومات في عام (٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م) ولم تعد بعده للمغول ونسلهم قائمة.

## ١٠- نار عظيمة تخرج من الحجاز:

عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"لا تقوم الساعةُ حتى تخرج نارٌ من أرضِ الحجازِ تضيءُ أعناقَ الإبلِ ببُصرى[194]"**.[195] وهذه النار ليست هي النار التي تخرج في آخر الزمان تحشر الناس إلى محشرهم والتي هي آخر علامات الساعة الكبرى وقوعًا، وقد ذكر الإمام النووي – رحمه الله- أنَّها خرجت في زمنه بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)،

---

القسطنطينية وروما لكن تيمور لنك هاجم مملكته من الشرق وهزمه في معركة أنقرة عام ٨٠٤هـ وأسر هو وولده موسى وحاول الفرار من الأسر ثلاث مرات وفشل فيها كلها، وتوفى في الأسر عام ٨٠٥هـ، وسمح تيمورلنك بنقل جثمانه ليدفن في بورصة.

[193] - عبقرية محمد ﷺ وأكابر الصحابة والتابعين (ص٤٣٤) – حازم إسماعيل السيد.

[194] - بُصرى: قرية معروفة بالشام قرب دمشق تعرف بحوران.

[195] - رواه البخاري في صحيحه (٦٥٨٥)، ومسلم في صحيحه (٥١٦٤).

وكانت نارٌ عظيمةً من جنب المدينة الشرقي وراء الحَرَّة[١٩٦]، وقال: هي نارٌ مستقلة عن النار التي تحشر الناس والتي تعد آخر العلامات الكبرى.[١٩٧]

ويقول الإمام النووي – رحمه الله-: تواتر أهلُ العلم بخروج هذه النار عند جميع أهل الشام.[١٩٨] وقال القرطبي – رحمه الله-: خرجت نارٌ عظيمةٌ ليلة الأربعاء بعد العتمة الثالث من جمادي الآخرة في عام (٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) إلى ضحى النهار يوم الجمعة ظهرت عند التنعيم[١٩٩]، وانتهت قرب المدينة المنورة، فسكنت وظهرت أي النار. قال: وكانت تُرى بصفة البلد العظيمة عليها سور محيط عليه شراشيف وأبراجٍ ومآذن ويُرى رجالٌ يقودونها لا تمر على جبلٍ إلا دكته وأذابته، ويخرج من مجموع ذلك مثل النار أحمر وأزرق له دويٌّ كدوي الرعد يأخذ الصخور بين يديه واجتمع من ذلك ردمٌ صار كالجبل العظيم، وانتهت النار إلى قرب المدينة، ومع ذلك فكان يأتي المدينة نسيمٌ باردٌ، وشُوهد

---

[١٩٦] - الحَرَّة أو اللابة: أرض ذات حجارة نخرة (بركانية) سوداء ناتئة كأنما أحرقت بالنار، والمدينة تحيط بها حرتان: حرة واقم من جهة الشرق، وحرة الوبرة من جهة الغرب. [معجم البلدان (٢/ ٢٤٥) – أطلس الحديث النبوي (ص١٤٤).

[١٩٧] - صحيح مسلم بشرح النووي.

[١٩٨] - المصدر السابق.

[١٩٩] - التنعيم: موضع بمكة المكرمة في الحلِّ، وهو بين مكة المكرمة وسرف على بعد ٧,٥ كم من مكة المكرمة، وفيه مسجد عائشة رضي الله عنها، ومنه يُحرم من بمكة المكرمة بالعمرة. [معجم البلدان (٢/ ٤٩) – أطلس الحديث النبوي (ص٩٤).

لهذه النار غليانٌ كغليان البحر، وقال لي بعض أصحابنا: رأيتها صاعدة في الهواء من نحو خمسة أيام وسمعتُ أنَّها رُؤيت من مكة ومن جبال بُصرى.[٢٠٠]

وذكر صاحب "النجوم الزاهرة"[٢٠١] نقلاً عن قاضي المدينة شمس الدين سنان الحسيني[٢٠٢]، قال: لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة (٦٥٤هـ) ظهر بالمدينة الشريفة دوي عظيم ثم زلزلة عظيمة رجفت لها المدينة، وبعد ساعة إلى يوم الجمعة خامس الشهر المذكور ظهرت نارٌ عظيمةٌ وقد سالت أوديةٌ منها بالنار إلى وادي شظا (تلقاء جبل أحد) وقد سدَّت مسيل شظا، قال: والله لقد طالعنا جماعة نبصرها فإذا الجبال تسيل نيرانًا، وقد سُدَّتْ الحَرَّة وسارت إلى أن أشفقنا أن تصل إلينا ورجعت تسير نحو الشرق يخرج من وسطها مهود وجبال نيران تأكل الحجارة، وقد عادت

---

[٢٠٠] - التذكرة (ص٦٥٩) للقرطبي.

[٢٠١] - أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن الأمير سيف الدين تغري بردي الأتابكي اليشبقاوي الظاهري . ولد بالقاهرة عام (٨١٣هـ/ ١٤١٠م). مؤرخ مصري ابن أحد أمراء المماليك في عهد السلطان الظاهر سيف الدين برقوق. تتلمذ على يدي كبار مشايخ عصره كابن حجر العسقلاني، وبدر الدين العيني. ولزم مجلس شيخ المؤرخين المقريزي فتعلم منه. كتب ١٢ مؤلفاً في التاريخ أولها "المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي" وفيه سجل تراجم أعيان عصره، أما أشهرها فهو "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" وهو سرد لتاريخ مصر منذ الفتح الإسلامي إلى عصره كتبه في ٤٠ سنة وطبع في ١٦ مجلدًا. توفى بالقاهرة عام (٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م).

[٢٠٢] - شمس الدين سنان بن عبد الوهاب بن نميلة الحسيني. كان قاضي المدينة وقت حدوث بركان المدينة الذي وقع عام ٦٥٤هـ، وعاينه بنفسه.

إلى قريظة (طريق الحاج العراقي).[٢٠٣] وقال السيد علي نور الدين السمهودي[٢٠٤] في "تاريخ المدينة" – وكانت في زمنه –: وكـان ابتـداء الزلزلـة بالمدينـة مسـتهل جمادى الآخرة سنة (٦٥٤هـ)، لكنَّهـا كانـت خفيفـة فلـم يـدركها بعضـهم مـع تكرارها، واشتدت في يوم الثلاثاء وظهرت ظهورًا عظيـمًا ثـم في ليلـة الأربعـاء ثالث الشهر في الثلث الأخير من الليل حدثت زلزلة عظيمة جدًا أشفق النـاس منها، واستمرت تزلزل بقيـة الليـل، ثـم إلى يـوم الجمعـة، ولهـا دويٌّ أعظـم مـن الرعد، فتموج الأرض وتتحرك الجدران، حتى وقـع في يـوم واحـد دون ليلتـه ثماني عشرة حركة على ما حكاه القطب القسطلاني[٢٠٥] في كتاب أفرده لهـذه النـار

[٢٠٣] - النجوم الزاهرة (٧/ ١٥) لابن تغري بردي.

[٢٠٤] - الشريف الإمام نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الله الحسني السمهودي. أشهر المؤلفين الذين كتبوا عن المدينة المنورة وتاريخها، كما وصف البركان الذي انفجر في حرة واقم سنة ٦٥٤ هـ، والحريق الذي شب في المسجد النبوي عام ٨٨٦ هـ. ولد بقرية سمهود التابعة لمحافظة قنا عام ٨٤٤هـ ونشأ بها، في سنة ٨٧٣ هـ رحل إلى المدينة المنورة وقرأ على شيوخ المسجد النبوي ونال الإجازة منهم وتصدر للتدريس. ثم رحل إلى مكة ودرس في المسجد الحرام، وزار بيت المقدس وأقام فيه لبعض الوقت ثم عاد إلى المدينة المنورة واستقر بها بقية عمره يدرس في المسجد النبوي.ألف في الفقه والحديث والتاريخ واهتم بتاريخ المدينة المنورة ، له مؤلفات عدية أهمها: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ويعد هذا الكتاب من أشهر مؤلفاتة طبع في أربعة أجزاء، و خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى وطبع في مجلد واحد، وله مؤلفات أخرى بعضها وصلنا وبعضها ذهبت في حريق المسجد النبوي. توفي في عام ٩١١ هـ.

[٢٠٥] - شهاب الدين أحمد بن محمد ابن أبي بكر ابن عبد الملك بن أحمد بن حسين بن علي القسطلاني المصري الشافعي , العلامة الحافظ. ولد سنة عام ٨٥١هـ بمصر ونشأ بها وحفظ القرآن الكريم وحفظ الشاطبية والجزرية والوردية وغير ذلك، وكان يعظ بالجامع العمري. كانت وفاته عام ٩٢٣هـ وصلي عليه بالأزهر عقب صلاة الجمعة، ودفن بقبة قاضي القضاة بدر الدين العيني من مدرسته بقرب جامع الأزهر. له تصانيف عديدة أهمها: "إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري" هو كتاب من كتب تحقيق الحديث، يعتبر الكتاب مرجع في فقه الحديث وهو شرح صحيح البخاري، اعتمد فيه مصنفه على شرح

وكانت في زمنه وهو بمكة، وقال: ظهرت في جهة المشرق على مرحلة متوسطة من المدينة في موضع يُقال له قاع الهيلي قرب مساكن قريظة بينها وبين أحيلين ثم امتدت آخذة في المشرق إلى قريب من أحيلين وتقدمها زلازل مهولة، وقد قال الله تعالى في ذلك: ﴿ .. وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ (الإسراء: ٥٩). وقال البدر بن فرحون[٢٠٦] : سالت هذه النار في وادي أحيلين. وأضاف السمهودي: وقد ظهرت هذه النار وأقبلت من قبل المدينة مما يلي المشرق في جهة طريق السوارقية وهي جبهة بلاد بني سليم. وقال ابن كثير: أخبرني قاضي القضاة صدر الدين الحنفي[٢٠٧] قال: أخبرني والدي الشيخ صفي الدين

---

السند والمتن، وهو يشرح المفردات ويبين ما يستنبط من الحديث أيضا معتمدا على أقوال وآراء أهل العلم والفقه. أهم ما فيه أنه ضبط متن البخاري حرفا حرفا وكلمة كلمة، وكتابه: "المواهب اللدنية بالمنح المحمدية في السيرة النبوية "هو كتاب من كتب السيرة النبوية حسب تسلسلها الزمني ابتداء من مولد النبي الشريف، وانتهاء بوفاته، وقد ضمن المؤلف في كتابه المغازي والسرايا والبعوث والوفود، ثم تحدث عن صفات النبي ومواليه وأزواجه وسراريه وخدمه، وركوبه وسلاحه وأصناف ثيابه ومعجزاته، في ثلاثة مجلدات.

[٢٠٦] - إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري. من شيوخ المالكية، له مؤلفات منها: "الديباج المذهب"، و"تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام"، و"طبقات علماء الغرب". تولى القضاء بالمدينة سنة ٧٩٣ ثم أصيب الفالج في شقه الأيسر، فمات بعلته عام ٧٩٩هـ، وكان عمره ٧٠ عامًا.

[٢٠٧] - قاضي القضاة صدر الدين سليمان بن أبي العز بن وهيب أبو الربيع الحنفي شيخ الحنفية في زمانه، وعالمهم شرقاً وغرباً، أقام بدمشق مدة يفتي ويدرس، ثم انتقل إلى الديار المصرية يدرس بالصالحية، ثم عاد إلى دمشق فدرس بالظاهرية. وولي القضاء بعد مجد الدين بن العديم ثلاثة أشهر، ثم كانت وفاته ليلة الجمعة سادس شعبان، ودفن في الغد بعد الصلاة بداره بسفح قاسيون، وله ثلاث وثمانون سنة.

مدرس مدرسة بُصرى أنَّه أخبره غير واحد من الأعراب صبيحة الليلة التي ظهرت فيها هذه النار، أنَّهم رأوا صفحات أعناق إبلهم في ضوء تلك النار فظهر أنَّها الموعود بها وتمت بذلك المعجزة لحصول ما أخبر به ﷺ، وإنارتها بهذه الأماكن البعيدة ليتم الإنذار، واختصاص ظهورها بيوم الجمعة لا يخفي وكانت نعمة في صورة نقمة، فوجلت القلوب منها وأشفقت، وأعتق أمير المدينة عز الدين منيف بن شيحة[٢٠٨] جميع مماليكه، وردَّ على الناس مظالمهم وأبطل المكس[٢٠٩]..

وكانت هذه آية من الآيات لرسول الله ﷺ، يبدو أنَّها كانت في صورة عدة زلازل وتوابعها أعقبها انفجار بركاني قرب المدينة سالت منه نيران ومعادن ذائبة وأحجار ملتهبة شأن البراكين العادية لكن بفضل الله تعالى أوقفها على حدود المدينة فلم تبلغها لكرامة المدينة على الله ورسوله ﷺ، ولم يكن للعرب وقتئذٍ عهد بمثل ذلك، كما أنَّ مكة والمدينة بفضل الله بعيدة عن حزام الزلازل بالمنطقة لم تتكرَّر بعدها ولم تُشاهد مثل تلك الظاهرة بها.

---

[٢٠٨] ـ أمير المدينة عز الدين منيف بن شيحة بن هاشم بن قاسم الحسيني نسبة إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما الجد السادس عشر لأبيه، تولى إمارة المدينة المنورة منذ عام ٦٥٧هـ حتى وفاته عام ٦٥٩هـ.

[٢٠٩] ـ البداية والنهاية لابن كثير.

## ١١- زوال الجبال عن أماكنها:

عن سمرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا تقوم الساعةُ حتى تزول الجبال عن أماكنها، وترون الأمور العظام التي لم تكونوا ترونها"**.[٢١٠] ونقل في "تاريخ الخلفاء" أنَّه في سنة اثنتين وأربعين بعد المائتين (٢٤٢هـ/ ٨٥٦م) زُلزلت الأرض زلزلة عظيمة بتونس وأعمالها، والري[٢١٢]، وخراسان[٢١٣]، ونيسابور، وطبرستان[٢١٤]، وأصبهان[٢١٥]، وتقطَّعت الأرض بقدر ما يدخل الرجل في الشقِّ وكان ذلك في زمن المتوكل[٢١٦]،[٢١٧] وفي سنة ثلاثمائة في خلافة

---

[٢١٠] - رواه الطبراني في المعجم الكبير، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٢٦) وقال: فيه راوٍ ضعيفٍ.

[٢١١] - جلال الدين السيوطي ولد بمصر عام ٨٤٩هـ، ويعد أحد أخصب الكتاب الموسوعيين فقد ترك أكثر من ٣٠٠ مؤلفًا منها: ٢٣ في التفسير، و٩٥ في الحديث، و٢١ في اللغة العربية، و٣٥ في علوم اللغة العربية، و٢١ في التصوف، و٥٠ في التاريخ والأدب. وتوفي عام ٩١١هـ بمصر ودفن بها.

[٢١٢] - مدينة قديمة مشهورة تبعد عن نيسابور ١٦٠ فرسخًا، ويقع على جانبها جبل يشرف عليها. بناها فيروز بن يزدجرد بالأجر، وفتحها عمر بن الخطاب ﵁ عام ٢٠ هـ، ودمرها التتار قبل دخولهم بغداد. [معجم البلدان (٣/ ١٣٢)]

[٢١٣] - خراسان: أقصى شمال إيران حاليًا (مركزها مدينة مشهد)، وأهم مدنها نيسابور، ومرو، وهراة، وبلخ.. واليوم يقع قسم منها في شمال شرق إيران، وقسم في أفغانستان الشمالية الغربية، وتركمنستان. [معجم البلدان (٢/ ٣٠٥) – أطلس الحديث النبوي (ص١٦٠)]

[٢١٤] - طبرستان: مملكة قديمة كثيرة الحصون منيعة الأودية جنوب بحر قزوين، وشرقها جرجان. كان ملوكهم يعرف الواحد منهم أصبهبذ كما كان ملك الفرس يدعى كسرى، وهي مسقط رأس الإمام الطبري، وتعرف اليوم باسم "مازِندَران" ومساحتها ٧٥١٨ كم مربع. [معجم البلدان (٤/ ٤٥٦)، (١/ ٢٤٩) - أطلس الحديث النبوي (ص٢٤٥)]

[٢١٥] - أصبهان: مدينة مشهورة بنواحي خوزستان (إيران حاليًا). وُلد بها سلمان الفارسي ﵁. [معجم البلدان (٣/ ١٧) - أطلس الحديث النبوي (ص٤٤)]

[٢١٦] - المتوكل (٢٠٦هـ - ٢٤٧هـ): الخليفة العباسي جعفر المتوكل على الله بن أبي إسحاق. تولى الخلافة بعد وفاة أخيه الواثق عام ٢٣٣هـ، وانتهت خلافته بمقتله في عام ٢٤٧هـ، وبُويع للمنتصر ابنه من بعده.

[٢١٧] - تاريخ الخلفاء (ص٤٠٨) للسيوطي.

المقتدر[218] ساخ جبل بالدينور[219] في الأرض وخرج من تحته ماء من تحته ماءٌ كثيرٌ أغرق القرى،[220] وسار جبل باليمن عليه مزارع لأهله حتى أتى مزارع آخرين.[221] وجميع ما ذكر من حوادث لا يعني جزمًا أن هذا الأمر انقضى- ولن يتكرَّر.

## ١٢- رجف الأرض وزلزلتها:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا تقوم الساعةُ حتى يُقبض العلم وتكثر الزلازل.."**.[222] وهذا حديث عام يشير إلى انتشار هذه الظاهرة الطبيعية في كل زمان سواء وقعت في الماضي أو سيتكرر وقوعها في الحاضر والمستقبل، ولعل أبرز ما حدث منها ما رواه الحافظ ابن عساكر[223] في" تاريخ

---

[218] - أبو الفضل جعفر بن المعتضد، ولد سنة ٢٨٢هـ، وولى الخلافة وله ثلاث عشرة سنة فاختل النظام كثيرًا لصغره، قُتل يوم الأربعاء لثلاث بقين من شوال سنة ٣٢٠هـ.

[219] - دينور بكسر الدال، وقيل بفتحها، مدينة من أعمال الجبل قرب قرميسين، بينها وبين همدان نيف وعشرون فرسخا.و يذكر كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطي ان المسلمين فتحوها في عهد عمر بن الخطاب سنة ٢٢ هجرية.

[220] - تاريخ الخلفاء (ص٤٤١) للسيوطي.

[221] - المصدر السابق (ص٤٠٨).

[222] - رواه البخاري في صحيحه (٩٧٨)، وأحمد في مسنده (١٠٤٤٣)، والحديث بتمامه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا تقوم الساعة حتى يُقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، ويظهر الفتن، ويكثر الهرج وهو القتل القتل حتى يكثر فيكم المال فيفيض"**.

[223] - أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي الشافعي. عرف باين عساكر. فقيهًا عالمًا ومحدثًا ثقة ومؤرخ. ولد بدمشق عام ٤٩٩هـ عاش بها ثم سافر ٤ سنوات لطلب العلم في بلاد كثيرة، وتوفي عام ٥٧١هـ بدمشق. له مؤلفات في الفقه والحديث والتاريخ.

دمشق" عن عروة بن رويم الأنصاري عن النبيِّ ﷺ قال: **"تكون في أمتي رجفة يهلك فيها عشرة آلاف، عشرون ألفًا، ثلاثون ألفًا يجعلها الله موعظة للمتقين، ورحمة للمؤمنين، وعذابًا للكافرين"**، وقد وقعت في عام (٢٣٢هـ) في أول خلافة المتوكل زلزلة ورجفة مهولة بدمشق سقطت منها دور وهلك تحتها خلق كثير ، وامتدت إلى أنطاكية[٢٢٤] فهدمتها وعلى الجزيرة فأحرقتها وإلى الموصل[٢٢٥] فيقال: هلك من أهلها خمسون ألفًا.[٢٢٦] ولا يعني انقضاء تلك الأحداث عدم تكرارها، والله أعلم.

## ١٣- وقوع خسف بالأرض:

عن سهل بن سعد ﷺ أنَّه سمع النبيَّ ﷺ يقول: **"يكون في آخر أمتي خسفٌ، ومسخٌ[٢٢٧]، وقذفٌ"**،[٢٢٨] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **"يكون في آخر هذه الأمة خسفٌ، ومسخٌ، وقذفٌ"**، قالت: قلتُ: يا

---

[٢٢٤] - مدينة حصينة بها أسوار عالية وأبراج منيعة. أول من بناها أنطيخس ثالث الملوك بعد الإسكندر ومنها أخ اسمها، وقيل بناها أنطيغونيا على نهر أورنطس بعد موت الإسكندر بست سنوات، كانت تحت سيطرة الصليبيين لم يفتحها صلاح الدين الأيوبي وفتحها بيبرس عام (٦٦٦هـ). [معجم البلدان (١/ ٥٨)]

[٢٢٥] - الموصل: مدينة بالعراق تحوي في الجانب الأيسر منها آثار مدينة نينوي القديمة عاصمة الآشوريين التي قامت المدينة على أطلالها. كانت تخضع لحكم الروم وذلك بعد انتصارهم على الفرس قربها، فتحها المسلمون في عام ٦٣٧م، وقد ازدادت هجرة القبائل العربية إلى العراق حتى أصبحت الموصل قرية لها شأن يُذكر، وسماها العرب "الموصل" لكونها ملتقى عدة طرق تربط الشرق بالغرب.

[٢٢٦] - تاريخ الخلفاء (ص٤٠٨) للسيوطي.

[٢٢٧] - المسخ: القلب من خلقة إلى أخرى قبيحة.

[٢٢٨] - رواه ابن ماجة في سننه (٤٠٥٠) وانفرد به، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة (٣٢٨٢).

رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال ﷺ: **"نعم، إذا ظهر الخبث"**،[229]

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: **"يكون في هذه الأمة – أو قال: في أمتي– الشك منه[230] – خسفٌ، أو مسخٌ، أو قذفٌ في أهل القدر"**.[231] أي المكذبين بالقدر فعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: **"يكون في أمتي خسف ومسخ وذلك في المكذبين بالقدر"**.[232]

وعن أمِّ سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **"سيكون بعدي خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ في جزيرة العرب"**، فقالت: يا رسول الله، يُخسف بالأرض وفيها الصالحون؟ فقال رسول الله ﷺ: **"إذا كان أكثر أهلها الخبث"**.[233] وقد وقعت الخسوفات الثلاثة، الخسف الأول وقع في سنة (٢٠٨هـ) وخسف بثلاث عشرة قرية بالمغرب، وفي خلافة المطيع لله[234] في سنة ست وأربعين وثلاثمائة (٣٤٦هـ) وقع بالري ونواحيها زلازلٌ عظيمة

---

[229] - رواه الترمذي في سننه (٢١١١) وانفرد به، وقال: حديث غريب من حديث عائشة رضي الله عنها لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٧٧٦).

[230] - قال صاحب تحفة الأحوذي: (الشك منه) الظاهر أن قائله الترمذي، والضمير المجرور يرجع إلى شيخه محمد بن بشار، ويحتمل غير ذلك والله أعلم.

[231] - رواه الترمذي في سننه (٢٠٧٨)، وابن ماجة في سننه (٤٠٥١)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجة (٣٢٨٢)، والحديث بتمامه إسنادًا ومتنًا عند الترمذي: حدثنا محمد بن بشار: حدثنا عاصم: حدثنا حيوة بن شريح: أخبرني أبو صخر قال: حدثني نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما جاءه رجلٌ فقال: إن فلانًا يقرأ عليك السلام، فقال له: إنه بلغني أنه قد أحدث (أي ابتدع أمرًا في الدين) فإن كان قد أحدث فلا تقرئه مني السلام فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"يكون في هذه الأمة أو في أمتي** – الشك منه – **خسف أو مسخ أو قذف في أهل القدر"**.

[232] - رواه الترمذي في سننه (٢٠٧٩).

[233] - رواه الطبراني في المعجم الكبير، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١١) بعد أن نسبه للمعجم لأوسط فقط، وفيه حكيم بن نافع وثقه ابن معين وضعفه غيره.

[234] - أبو القاسم الفضل بن المقتدر بن المعتضد. ولد عام ٣٠١هـ، وبويع للخلافة عام ٣٣٤هـ عند خلع المستكفي. أصيب بالفالج وثقل لسانه فخلع نفسه وسلم الأمر لولده عام ٣٦٣هـ، ومات بواسط عام ٣٦٤هـ.

وخسف ببلد الطالقان[٢٣٥]، ولم يفلت من أهلها إلا نحو ثلاثين رجلاً، وخسف بمائة وخمسين قرية من قرى الري، واتصل الأمر إلى حلوان[٢٣٦] فخُسف بأكثرها وقذفت الأرض عظام الموتى، وتفجَّرت منها المياه، وتقطَّعَ بالري جبلٌ وعلقت قرية بين السماء والأرض بمن فيها نصف نهار، ثم خُسف بها، وانخرقت الأرضُ خروقًا عظيمةٌ، وخرج منها مياه منتنة ودخان عظيم،[٢٣٧] وفي سنة (٥٣٣هـ) خُسف ببلد "بحيرة" وصار مكان البلد ماءً أسودَ، وفي سنة (٥٩٧هـ) خُسف بقرية من أعمال بُصرى، وقال البرزنجي[٢٣٨] صاحب كتاب "الإشاعة في أشراط الساعة": وخُسف في زماننا بست قرى من ناحية أذربيجان[٢٣٩] وغيرها من ديار العجم.. وهذه الخسوف الثلاثة المذكورة في حديث رسول الله ﷺ الذي روته أم سلمة رضي الله عنها عنه ﷺ غير

---

[٢٣٥] - الطالقان هي بلدة من أعمال قزوين ، تقع بين جبلين عظيمين. تقع حاليًا بإيران.

[٢٣٦] - حلوان هو اسم لمدينة قديمة في منطقة جبال زاغروس وهي اليوم بغرب إيران قريبا من كرمنشاه ونهر ديالى. وقد فتحها المسلمون عام (١٦ هـ / ٦٣٨م).

[٢٣٧] - تاريخ الخلفاء (ص٤٠٨) للسيوطي، وقال: هكذا نقل ابن الجوزي.

[٢٣٨] - السيد محمد بن رسول بن عبد السيد بن قلندر الحسيني البرزنجي الشهرزوري المدني. ولد بشهرزور عام ١٠٤٠ هـ ونشأ بها، ثم رحل في طلب العلم إلى ماردين، وحلب، واليمن، ودمشق، ومصر، وبغداد، ثم قدم المدينة فأقام بها وتولى منصب إفتاء الشافعية بالمدينة المنورة وألقى الدرس بالمسجد النبوي. توفي بالمدينة عام ١١٠٣هـ ودفن بالبقيع. كان من المكثرين من المصنفين له أكثر من ٩٠ مصنفًا، منها: "الإشاعة لأشراط الساعة"، و"القول المختصر في ترجمة ابن حجر"، و"النوافض للروافض".

[٢٣٩] - أذربيجان: تقع شمال غرب إيران شرق أرمينية، وتطل على بحر قزوين شرقًا. [معجم البلدان (١٢٨/١) – أطلس الحديث النبوي (ص٢٨)]

الخسوف الثلاثة المذكورة في حديث علامات الساعة الكبرى الذي قال ﷺ: **"إنَّها لن تقوم – أي الساعة – حتى تروا قبلها عشر آيات** -فذكر- **الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم"**.[٢٤٠] ولا يعني انقضاء تلك الأحداث عدم تكرارها، والله أعلم.

## ١٤- وقوع قذف من السماء:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: **"يكون في هذه الأمة، أو في أمتي – الشك منه- خسفٌ، أو مسخٌ، أو قذفٌ في أهل القدر**[٢٤١]- أي المكذبين بالقدر**"**،[٢٤٢] وعنه رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **"يكون في أمتي خسفٌ ومسخٌ وذلك في المكذبين بالقدر"**،[٢٤٣] عن أبي هريرة

[٢٤٠] - رواه مسلم في صحيحه (٥١٦٢)، وابو داود في سننه (٣٧٥٧)، والترمذي في سننه (٢١٠٩)، وابن ماجة في سننه (٤٠٤٥)، وأحمد في مسنده (١٥٥٥٥).
[٢٤١] - روى ابن ماجة والترمذي هذا الحديث عن نافع أن رجلاً أتى ابن عمر رضي الله عنهما فقال: إن فلان يقرئك السلام. قال ابن عمر رضي الله عنهما: إنَّه بلغني أنه قد أحدث فإن كان قد أحدث فلا تقرئه مني السلام فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"يكون في هذه الأمة، أو في أمتي خسف، أو مسخ، أو قذف..** (الحديث). قال السندي في شرح سنن ابن ماجة: أحدث أي ابتدع وكان ذلك بأن تكلم في القدر فكذب به وأنكره.
[٢٤٢] - رواه الترمذي في سننه (٢٠٧٨)، وابن ماجة في سننه (٤٠٥١)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجة (٣٢٨٢).
[٢٤٣] - رواه الترمذي في سننه (٢٠٧٩).

ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: **"لا تقوم الساعةُ حتى يكون في أمتي خسفٌ، ومسخٌ، وقذفٌ"**.[244]

ولقد نقل السيوطي في "تاريخ الخلفاء" أنَّه في سنة (٢٤٢هـ/ ٨٥٦م) رُجمت قرية "السويداء" بالحجارة، ووُزِنَ حجر من الحجارة فكان عشرة أرطال،[245] وفي سنة (٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) مُطرت قرية بالبصرة حجارةً سوداءَ وبيضًا وقع بَرَد وزن البردة مائة وخمسون درهمًا[246].[247]

قال البرزنجي: أخبرني ثقةٌ أنَّه في سنة نيِّف وستين بعد الألف أُمطرت حجارةٌ سودٌ كثيرة عريضة قدر بيضة الدجاج وأكبر في الصيف والسماء مصحية ببلاد الأكراد بين هيزان وكفرة، وكانوا يسمعون لها حسًّا من مسافة يوم، والله يفعل ما يشاء. ولا يعني انقضاء تلك الأحداث عدم تكرارها، والله أعلم.

[244] - رواه ابن حبان في صحيحه، وقال الأرناؤوط إسناده حسن.
[245] - - تاريخ الخلفاء (ص٤٣٣) للسيوطي.
[246] - الدرهم: جزء من اثنى عشر جزءًا من الأوقية، والأوقية جزء من اثني عشر جزءًا من الرطل المصري.
[247] - تاريخ الخلفاء (ص٤٣٣) للسيوطي.

## ١٥- ريحٌ حمراء وسوداء وصفراء:

عن علي بن أبي طالب وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: **"إذا اتُّخذ الفيء[٢٤٨] دولاً[٢٤٩]، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا[٢٥٠]، وتُعُلِّم لغير وأطاع الرجل امرأته وعقَّ أمه، وأدنى صديقه وأقصى أباه، وظهرت[٢٥٢] الأصوات في المساجد، وساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيمُ القوم أرذلهم، وأُكرم الرجلُ مخافة شره، وظهرت القَيْناتُ[٢٥٣] والمعازفُ، وشُربت الخمورُ، ولعنَ آخرُ هذه الأمة أولها، فارتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء، وزلزلة، وخسفًا، ومسخًا، وقذفًا، وآيات تتابع كنظام بالٍ[٢٥٤] قُطع سلكه فتتابع".**[٢٥٥]

وفي سنة (٢٣٢هـ/ ٨٤٦م) في أول خلافة المتوكل هبت بالعراق ريحٌ شديدة السموم لم يعهد مثلها أحرقت زرع الكوفة، والبصرة، وبغداد، وقتلت

---

[٢٤٨] - الفيء: ما يؤخذ من العدو من مالٍ ومتاعٍ بغير حرب.
[٢٤٩] - دولاً: أي متداولاً.
[٢٥٠]- المغرم: الدين الذي يعجز الإنسان عن أدائه.
[٢٥١] - أي يتعلمون العلم لطلب المال والجاه لا للدين.
[٢٥٢] - ظهرت الأصوات: أي ارتفعت.
[٢٥٣] - القينات (بفتح القاف وسكون الياء) الإماء والجواري المغنيات.
[٢٥٤] - النظام: العقد من جوهر أو خرز ونحوه، وبال أي قديم.
[٢٥٥] - رواه **الترمذي** في سننه (٢١٣٧) عن أبي هريرة ﷺ، وانفرد به وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وسبب ضعفه أن أحد رواته مجهول، وضعَّف الألباني الحديث في ضعيف الترمذي (٣٨٦، ٣٨٧).

المسافرين، ودامت خمسين يومًا، واتصلت بهمذان[256] وأحرقت الزرع ثم اتصلت بالموصل وسنجار، ومنعت الناس من المعاش في الأسواق، ومن المشي في الطرقات، وأهلكت خلقًا عظيمًا.[257] وفي سنة (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) في خلافة المقتدي[258] جاءت ريحٌ سوداء ببغداد بعد العشاء، واشتد الرعد والبرق، وسقط رمل وتراب كالمطر، ووقعت عدة صواعق في كثيرٍ من البلاد فظن الناسُ أنَّها القيامة. قال السيوطي: وقد شاهد هذا الإمام أبو بكر الطرطوشي[259] وأوردها في أماليه.[260] وقبلها في سنة (٢٨٠هـ/ ٨٩٣م) في خلافة المعتضد[261] ورد في كتاب "من الديبل[262] " أنَّ القمر كسف في شوال، وأنَّ

---

٢٥٦ - هَمِدان أو همذان: تقع حاليًا في إيران وهي عاصمة محافظة همدان بها، وهي مدينة بناها الملك ديوسيس لتعزيز حكمه على الميديين حيث كانت عاصمة للدولة الميدية. ويذكر أنها كانت ذات أسوار منيعة فيها قبر العالم الطبيبفتحها المسلمون في زمن عمر بن الخطاب عام ٢٢هـ.

[257] - تاريخ الخلفاء (ص٤٠٧) للسيوطي.

[258] - المقتدي بأمر الله العباسي بويع بالخلافة وله ١٩ سنة، وقد تنازل لأخيه عن الخلافة في عام ٤٨٧هـ.

[259] - أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف المعروف بأبي بكر الطرطوشي. فقيه مالكي، ولد في عام ٤٥١هـ بمدينة طرطوشة الأندلسية. اشتهر من بين علماء الأندلس بالعلم والرد على المبتدعات في الدين، فأصبح من علماء أهل السنة الذين يُشار إليهم ويؤخذ من علمهم، وحصل له القبول والثناء من العلماء . قال القاضي عياض عنه: "وسكن الشام مدة وتقدم في الفقه مذهباً وخلافاً وفي الأصول وعلم التوحيد ، وحصلت له الإمامة ، ودرس ولازم الزهد والانقباض والقناعة مع بعد صيته وعظم رياسته" . وقال عنه أبوبكر بن العربي عند لقائه لــــه في دمشق وبيت المقدس : "فشاهدت هديه، وسمعت كلامه ، فامتلأت عيني وأذني منه" . ووصفه ابن العربي: "بالعلم والفضل والزهد في الدنيا" . ومن مؤلفاته : مختصر تفسير الثعالبي - شرح لرسالة الشيخ ابن أبي زيد القيرواني - الكتاب الكبير في مسائل الخلاف - تاب الفتن - كتاب الحوادث والبدع. توفي عام ٥٢٠هـ.

[260] - تاريخ الخلفاء (ص٤٨٨) للسيوطي.

[261] - أبو العباس أحمد المعتضد بالله، خليفة عباسي بويع له بعد موت عمه المعتمد على الله. تولى الخلافة في عام (٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، وتوفي في عام (٢٨٩هـ/ ٩٠١م).

[262] - الديبل مدينة قديمة بالسند شمالي الهند أول من فتحها محمد بن القاسم.

الدنيا أصبحت مظلمة إلى وقت العصر، فهبت ريحٌ سوداء فدامت ثلث الليل وأعقبه زلزة عظيمة أذهبت عامة المدينة.[٢٦٣] وفي سنة (٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) هبت ريحٌ صفراء بالبصرة ثم صارت خضراء ثم صارت سوداء، وامتدت في الأمصار، ووقع عقبها بَرَدٌ وزنه البردة مائة وخمسون درهمًا، وقلعت الريح نحو خمسمائة نخلة.[٢٦٤]

وفي سنة (٣٢٣هـ/ ٩٣٤م) في خلافة الراضي[٢٦٥] هبَّت ريحٌ عظيمة ببغداد واسودت الدنيا وأظلمت من العصر إلى المغرب.[٢٦٦] وفي خلافة المستظهر[٢٦٧] هبت ريحٌ سوداء مظلمة أخذت بالأنفاس حتى لا يبصر الرجل يده، ونزل على الناس رمل، وأيقنوا بالهلاك ثم انجلى قليلاً وعاد إلى الصفرة، وكان ذلك من العصر إلى ما بعد المغرب.[٢٦٨] وفي سنة (٥٩٦هـ/ ١١٩٩م) هبت ريحٌ سوداء مظلمة بمكة عمَّت الدنيا ووقع على الناس رملٌ أحمرُ، ووقع من الركن

[٢٦٣] - تاريخ الخلفاء (ص٤٣٢) للسيوطي.

[٢٦٤] - المصدر السابق (ص٤٣٣).

[٢٦٥] - الراضي بالله أبو العباس محمد بن المقتدر بالله بن المعتضد، وُلد في سنة ٢٩٧هـ. بويع له بعد خلع القاهر، ومات الراضي وله ٣١ سنة.

[٢٦٦] - تاريخ الخلفاء (ص٤٥٤) للسيوطي.

[٢٦٧] - المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدي بالله. وُلد في عام (٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م). بُويع له عند موت أبيه وله ١٦ سنة، ومات في سنة (٥١٢هـ/ ١١١٨م).

[٢٦٨] - تاريخ الخلفاء (ص٤٩٤) للسيوطي.

اليماني قطعة.[269] ولا يعني انقضاء تلك الأحداث أنَّها من علامات الساعة التي انقضت وانتهت فمن الممكن أن تتكرَّر، والله أعلم.

## ١٦- رضخ رءوس أقوامٍ بكواكب السماء:

روى الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: **"لا تقوم الساعة حتى تُرضخ رءوسُ أقوامٍ بكواكب من السماء باستحلالهم عمل قوم لوطٍ"**، كقوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾**﴾ (هود: ٨٢، ٨٣)، وقال تعالى: ﴿**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾**﴾(الشعراء: ١٧٣)، ففي سنة (٣٢٣هـ/ ٩٣٤م) في خلافة الراضي في ذي القعدة انقضت النجوم سائر الليل انقضاضًا عظيمًا ما رُئي مثله.[270] وقد وقع بعد ذلك كثيرًا أن النجوم والشهب انقضت وقتلت ناسًا.[271] وقد يكون المقصود بالحديث آية تحقَّقت ولا تزال تتحقَّق، والله أعلم.

---

[269] - علامات القيامة الصغرى (ص١٣٦) للشيخ الشعراوي.
[270] - تاريخ الخلفاء (ص٤٥٤) للسيوطي.
[271] - علامات القيامة الصغرى (ص١٣٩) للشيخ الشعراوي.

وانتشار الشهب في السماء وكثرة رؤيتها حدث منذ بعثة النبيِّ ﷺ فقد روي أبو إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان للشياطين مقاعد في السماء. قال: فكانوا يسمعون الوحي. قال: وكانت النجوم لا تجري، وكانت الشياطين لا تُرمى. قال: فإذا سمعوا الوحي نزلوا إلى الأرض فزادوا في الكلمة تسعًا. قال: فلما بُعث رسول الله ﷺ جعل الشيطان إذا قصد مقعده جاءه شهابٌ فلم يخطئه حتى يحرقه. قال: فشكوا ذلك إلى إبليس لعنه الله فقال: ما هو إلا من أمرٍ حدث. قال: فبعث جنوده فإذا رسول الله ﷺ قائمٌ يصلي بين جبلي نخلة فرجعوا إلى إبليس فأخبروه، فقال: هذا الذي حدث، وهذا قوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (٩)** ﴾ (الجن: ٨، ٩)،[٢٧٢] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه عامدين إلى سوق عكاظ[٢٧٣] وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء فأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا:

[٢٧٢] - تفسير ابن كثير (٣/٤) – مكتبة مصر بالقاهرة، ١٩٨٨م.

[٢٧٣] - سوق عكاظ: من المعارض التي كانت تقيمها العرب للشعر. قال الخليل بن أحمد: هي اسم سوق كان العرب يجتمعون فيها كل سنة شهرًا يتناشدون ويتفاخرون ثم يتفرقون فهدمه الإسلام، وقال الجوهري: سوق كان بناحية مكة يجتمعون بها في كل سنة فيقيمون شهراً ويتبايعون ويتناشدون شعراً ويتفاخرون، وقال ابن منظور: وهي بقرب مكة، كان العرب يجتمعون بها كل سنة فيقيمون شهراً يتبايعون ويتفاخرون ويتناشدون، فلما جاء الإسلام هدم ذلك.

مالكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأُرسلت علينا الشهب، فقالوا: ما ذاك إلا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء! فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها فمرَّ النفرُ الذين أخذوا نحو تهامة[٢٧٤] بالنبيِّ ﷺ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا إلى قومهم، فقالوا: إنَّا سمعنا قرآنًا عجبًا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدًا، فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ ﴾ (الجن: ١).[٢٧٥]

وفي المجمل فالله تعالى حفظ السماء من الشياطين واستراقها السمع منذ بعثة النبيِّ ﷺ كما قال: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (الصافات: ٦- ١٠).

---

[٢٧٤] - تهامة منطقة تاريخية تعد أحد أقاليم شبه الجزيرة العربية الجغرافية الخمسة، وهي السهل الساحلي المحاذي للبحر الأحمر بين أقاليم الحجاز واليمن التاريخية غرب شبه الجزيرة العربية. وتهامة منأسماء مكة المكرمة. وأشهر مدن تهامة في الوقت الحالي: مكة المكرمة، وجدة، وينبع.

[٢٧٥] - رواه البخاري في صحيحه (٤٩٢١)، ومسلم في صحيحه (٦٨١)، والترمذي في الترمذي (٣٢٤٥، ٢١٥٨)، وذكره الألباني في صحيح السنة.

## ١٧- وقوع مسخ لبعض الناس:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **"يكون في آخر هذه الأمة خسفٌ، ومسخٌ، وقذفٌ"**. قالت رضي الله عنها: قلتُ يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال ﷺ: **"نعم، إذا ظهر الخبث"**.[٢٧٦] وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنَّه سمع النبيَّ ﷺ يقول: **"يكون في آخر أمتي خسفٌ، ومسخٌ، وقذفٌ"**.[٢٧٧] وقد سبق ذكر هاذين الحديثين في المسخ والقذف، ويُضاف إليهما في أمر المسخ ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"يُمسخُ قومٌ من أمتي في آخر الزمان قردة وخنازير"**. قيل: يا رسول الله، ويشهدون أن لا إله إلا الله، وأنَّكَ رسول الله؟ قال ﷺ: **"يتخذون المعازف، والقينات[٢٧٨]، والدفوف، ويشربون الأشربة، فباتوا على شربهم ولهوهم، أصبحوا وقد مسخوا قردة وخنازير"**.[٢٧٩] وذكر ابن حجر الهيثمي[٢٨٠] –رحمه

---

[٢٧٦] - رواه الترمذي في سننه (٢١١١)، وانفرد به، وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٧٧٦).

[٢٧٧] - رواه ابن ماجة في سننه (٤٠٥٠) وانفرد به، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة (٣٢٨٢).

[٢٧٨] - القينات: الجواري المغنيات.

[٢٧٩] - رواه أبو نعيم (٣/ ١١٩)، وذكره القرطبي في التذكرة (ص٦٦٧) وصححه أبو عبد الله الأنصاري في تخريجه للحديث في الكتاب.

[٢٨٠] - علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي القاهري الشافعي. محدث ثقة ولد بالقاهرة عام ٧٣٥هـ وطلب الحديث في كثير من البلدان. جمع الحديث في كتابه "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد". توفي بالقاهرة عام ٨٠٧هـ ودفن بها.

الله- في كتابه "الزواجر عن اقتراف الكبائر" أنَّه كان بحلب رجلٌ سبَّاب للشيخين – أي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما- فلما مات اتفق شبابٌ على أن ينبشوا قبره، فلما نبشوه رأوه قد مُسخ خنزيرًا. وذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء أنَّه في سنة (٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م) في خلافة المتوكل سادس الخلفاء العباسيين الذين كانوا بمصر ورد كتاب من حلب يتضمن أنَّ إمامًا قام يصلي وأن شخصًا عبث به في صلاته فلم يقطع الإمام الصلاة حتى فرغ وحين سلَّم انقلب وجه العابث وجه خنزير وهرب إلى غابة هناك وكنتُ بذلك محضر..[٢٨١]

وقد وقع المسخ في بني إسرائيل عقابًا من الله تعالى لمخالفي أوامره منهم كما أخبر الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ **فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ١٦٦** ﴾ (الأعراف: ١٦٦) وذلك في القرية التي كانت حاضرة البحر في بني إسرائيل.[٢٨٢] وقال الله تعالى في عصاة بني إسرائيل وكيف عاقبهم:

---

[٢٨١] - تاريخ الخلفاء (ص٥٧٢) للسيوطي.

[٢٨٢] - عصى بنو إسرائيل أمر الله بالكفِّ عن العمل يوم السبت فنصبوا شراكًا لصيد السمك يوم الجمعة لتقع فيها أسماك السبت فعاقبهم الله تعالي، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ١٦٣ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ**

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ ﴾ (المائدة: ٥٩، ٦٠).

## ١٨- انقطاع طريق الحج:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا تقوم الساعةُ حتى لا يُحَجُ البيتُ"**،[٢٨٣] وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ: **"لا تقوم الساعة حتى يُرفع الركن"**.[٢٨٤] هذا وكلاهما قد وقع، ففي سنة (٣٢٠هـ/ ٩٣٢م) انقطع الحج من بغداد إلى سنة (٣٢٧هـ/ ٩٣٩م) أي نحو سبع سنين بسبب فتنة القرامطة[٢٨٥]، ففي خلافة المقتدر العباسي[٢٨٦] سيَّرَ الحاجَ مع منصور

---

مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ (الأعراف: ١٦٣- ١٦٦).

[٢٨٣] - رواه ابن حبان في صحيحه، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح، ورواه الحاكم في المستدرك، وأبو يعلى في مسنده، وعلقه البخاري عن شعبة (١٥٩٤).

[٢٨٤] - رواه عبد الرزاق في المصنف، وانظر "تاريخ الخلفاء" (ص٤٤٤) للسيوطي.

[٢٨٥] - القرامطة: فرقة من الشيعة الباطنية المتطرفة كانوا يظهرون كرافضة ويبطنون الكفر المحض، وقد وصفهم ابن الجوزي بأنَّهم فرقة من الزنادقة الملاحدة من الفرس الذين يعتقدون بنبوة زرادشت ومزدك، وهذه الجماعة تُنسب إلى حمدان بن قِرْمِط بن الأشعث البقار من دعاة الباطنية الذي نشر دعوته، ثم جاء أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي فوحدهم وأغاروا على بلاد هَجَر (البحرين) سنة (٢٨٧هـ/ ٩٠٠م) وقتلوا ما لا يُحصى من أهلها وأفسدوا في الأرض وهزموا جيش الخليفة العباسي، ثم استولوا على البحرين، والأحساء، وأجزاء من العراق، والشام،

الديلمي إلى مكة سالمين فوافهم يوم التروية عدو الله أبو طاهر القرمطي الذي دخل الحرم المكي يوم السابع من ذي الحجة عام في سنة (٣١٧هـ/ ٩٢٩م) فقتل ثلاثين ألفًا من الحجيج، وردم زمزم بأجسادهم، وضرب الحجر الأسود بدبوس[٢٨٧] فكسره، ثم اقتلعه، واقتلع باب الكعب، ووقف لعنه الله على باب الكعبة يصيح منتشيًا:

| | |
|---|---|
| أنــا بالله | يخلقُ الناسَ |
| وبالله أنــا | وأفنيهم أنا |

واستولى على ما كان بالكعبة من تحفٍ وذخائر.

قال محمد بن الربيع بن سليمان: كنتُ بمكة سنة القرامطة فصعد رجلٌ لقلع الميزاب وأنا أراه، فعيل صبري وقلتُ: يا رب، ما أحلمك! فسقط الرجلُ على دماغه فمات. وعاد عدو الله أبو طاهر الجنابي القرمطي إلى هَجَر عاصمته بكلِّ

ومصر، ولم تكن لهم دولة محددة وإنما كانوا ذوو وجود عسكري غاشم أدخلت الفزع في القلوب، وقتل أبو سعيد فخلفه ابنه أبو طاهر أخطر قادتهم، فقد هاجم البصرة والكوفة وبغداد فقتلوا عشرات الألوف وأفسدوا وهزموا الخليفة العباسي وانتهكوا الحرم المكي وقتلوا الحجيج، ثم مات عدو الله أبو طاهر الجنابي فهدأوا، ثم عادوا من جديد فاستولوا على الشام وهزموا الفاطميين بها، واتجهوا إلى مصر فحاصروا القاهرة في سنة (٣٦١هـ/ ٩٧٢م) لكنهم عجزوا عن اقتحامها وقفلوا راجعين إلى الشام، ثم مات زعيمهم وأخذ يتناقص قدرهم حتى زالت دولتهم نهائيًا في سنة (٣٧٥هـ/ ٩٨٥م) (الموسوعة الإسلامية العامة - أ.د. محمد جبر أبو سعدة).

[٢٨٦] - تولَّى الخلافة فيما بين عامي (٢٩٥هـ/ ٣٢٠م) – (٩٠٧هـ/ ٩٣٢م).

[٢٨٧] - الدَّبُّوس: عمود على شكل هراوة مدملكة الرأس.

ما أخذ، ولم يرد القرامطةُ الحجر الأسود إلى مكانه إلا في عام (٣٣٩هـ/ ٩٥٠م) في خلافة المطيع الفاطمي، وأُعيد الحجر بعد ٢٢ سنة من بقائه خارج الكعبة.[٢٨٨]

وقد ذكر الإمام السيوطي – رحمه الله - في "تاريخ الخلفاء": قيل أنَّهم لما أخذوا الحجر الأسود – أي القرامطة - هلك تحته أربعون جملاً من مكة إلى هَجَر، فلما أُعيد حُمل على قعود[٢٨٩] هزيل.[٢٩٠] ولم يفلح أبو طاهر القرمطي بعد ذلك فقد تقطَّع جسده بالجدري.[٢٩١] وصدق رسول الله ﷺ فقد مُنع الحج من بعض البلاد لعدم أمن الطريق طوال نشاط فرقة القرامطة، وفي سنة (٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) في خلافة المقتدي رجع الحاجُ العراقي من الطريق بعد أن اعترضهم الأصيغر الأعرابي ومنعهم الجواز فعادوا ولم يحجوا ولا حَجَّ أيضًا أهل الشام ولا اليمن، وإنَّما حجَّ أهلُ مصر فقط، وانقطع في زمن بني عثمان (العثمانيين) من طريق الشام سنين في زمان الشيخ علوان الحموي[٢٩٢]..[٢٩٣]

---

[٢٨٨] - الكامل في التاريخ (٨/ ٢٨٠) لابن الأثير.
[٢٨٩] - القعود: البكر من الجمال.
[٢٩٠] - تاريخ الخلفاء (ص٤٤٥) للسيوطي.
[٢٩١] - المصدر السابق.
[٢٩٢] - علي بن عطية علوان الحموي هو فقيه، أصولي، شافعي، صوفي، شاذلي، من أعلام القرن العاشر الهجري. ولد عام ٨٧٣هـ بمدينة حماة ، وتوفي عام ٩٣٦ هـ إبان حكم السلطان سليم الأول العثماني. له مصنفات في الفقه والأصول والتصوف،

وعلى هذا فقد تحقَّقَ قوله ﷺ في أنَّه لا يُحَجُّ أو أنَّه سيُرفع الركن، وهذا لا يعارض ما سيحدث في آخر الزمان مع وقوع علامات الساعة الكبرى من رفع الكعبة، كما سيرد في مادة الكتاب في الفصل الثاني.

## ثانيًا: علاماتٌ حاضرةٌ أو وقعتْ ولم تنقضِ:

وهي علامات صغرى وقعت لكنها لم تنقضِ ولا تزال قائمة إلى الآن، وقد تحققت كلُّها بغير استثناء، ومنها:

### ١ – تقاربُ الزَّمَان:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا تقوم الساعةُ حتى يُقبضُ العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان.."**،[٢٩٤] وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا تقوم الساعةُ حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، ويكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون**

[٢٩٣] - المصدر السابق (ص٤٤٥، ٤٤٦).

[٢٩٤] - رواه البخاري في صحيحه (٩٧٨)، ومسلم في صحيحه (٤٨٢٧)، وأبو داود في سننه (٣٧١٣)، وأحمد في مسنده (١٠٤٤٣) وتتمة الحديث عند البخاري: **".. وتظهر الفتن ويكثر الهرج – وهو القتل – حتى يكثر فيكم المال فيفيض"**.

**الساعة كاحتراق السعفة- الخوصة زعم سهيل[٢٩٥]".[٢٩٦] وقد اختُلف في معنى تقارب الزمان فقيل أنَّه يُؤخذ على ظاهره فلا يظهر التفاوت في الليل والنهار بالقصر والطول، وقيل: تذهب البَرَكَةُ فيذهب اليوم والليلة بسرعة، ويتفلت الوقت من بين أيدينا دون أن ننتفع بـه في التضييع واللهو، وقال القرطبي في "التذكرة": قيل المعنى تتقارب أحوال أهله في قلة الدين وفي الشرِّ وعدم الخير حتى لا يكون فيهم من يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، وقال النووي: المراد قرب يوم القيامة، وخالفه الكرماني[٢٩٧] وقال: هو من تحصيل الحاصل وليس كما قال، بل معناه: قرب الزمان العام من الزمان الخاص وهو يوم القيامة، وعند قربه يقع ما ذكر من الأمور المنكرة. وذكر الشيخ الشعراوي[٢٩٨] :

[٢٩٥] - وهو سهيل بن أبي صالح بن ذكوان أحد رواة الحديث. أقام بالمدينة لم يشهد صحابة النبي ﷺ وقد حدَّث عنهم

وقد توفي ١٣٨ هـ وهو صدوق لكن تغير حفظه في آخر عمره، ورأي علماء الحديث فيه طيب: قال ابن عيينه: ثبت، وقال محمد بن سعد: ثقة، وقال ابن حنبل: ما أصلح حديثه، وقال ابن عدي والنسائي: ليس به بأس. ورواه الحديث بترتيبهم عند المصنف (أحمد بن حنبل) قال: حدثنا هاشم (هاشم بن القاسم بن مسلم الخرساني من الطبقة الصغرى من الأتباع. قيل: ثقة توفي ٢٠٧هـ): حدثنا زهير (زهير بن معاوية بن حديج الجعفي من كبار الأتباع. قيل: ثقة ثبت مأمون توفي ١٧٣هـ): حدثنا سهيل (صاحب الإشارة) عن أبيه (ذكوان من الطبقة الوسطى من التابعين عاش بالمدينة. قيل: ثقة. توفي ١٠١هـ) عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ.

[٢٩٦] - رواه أحمد في مسنده (١٠٥٢١) وانفرد به.

[٢٩٧] - شمس الدين محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرماني عالم بالحديث ، أصله من كرمان. ولد عام ٧١٧هـ، وتوفي عام ٧٨٦هـ. من آثاره «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري.

[٢٩٨] - محمد متولي الشعراوي داعية إسلامي ومفسر عرف بإمام الدعاة. ولد بدقادوس بميت غمر عام ١٩١١م. درس بالأزهر وتخرج في كلية اللغة العربية بالأزهر وحصل على الدكتوراة ودرَّس بعدد من المعاهد الأزهرية بطنطا والزقازيق، كما عمل أستاذً بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز عام ١٩٧٠م، وعين وزيرًا للأوقاف بمصر ثم اعتذر عنها عام ١٩٧٨م، وتفرغ لتفسير القرآن الكريم منذ عام ١٩٨٠م وحتى وفاته عام ١٩٩٨م.

الأقرب إلى التفسير ما وقع في هذا العصر من تقارب بين المدن والأقاليم، وقصر زمن المسافة بينها بسبب اختراع الطائرات، والسيارات، والإذاعة، والتليفزيون، وما إلى ذلك.[٢٩٩]

## ٢- انتفاخُ الأَهِلَّة:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"من اقتراب الساعة انتفاخُ الأَهِلَّة، وأن يُرى الهلالُ لليلة فيُقال لليلتين"**،[٣٠٠] وعن أنس بن مالك ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: **"من اقتراب الساعة أن يُرى الهلالُ لليلة فيُقال: هو ابن ليلتين"**،[٣٠١] وتدخل هذه الآية في باب تقارب الزمان وتفاوت الإحساس بالزمن.

[٢٩٩] - علامات الساعة الصغرى (ص١٢٨، ١٢٩) للشعراوي.
[٣٠٠] - رواه الطبراني في المعجم الصغير (٨٧٧/١١٥/٢)، والمعجم الكبير (١٠٤٥١/١٩٨/٢).
[٣٠١] - رواه الطبراني في المعجم الصغير (١١٣٢/٢٦٠/٢)، وذكره الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٦) وقال: حديث حسن.

## ٣- كثرةُ الزلازل:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ: **"لا تقوم الساعة حتى يُقبض العلمُ، وتكثر الزلازل.."**،[٣٠٢] قال ابن حجر في "الفتح": لما كان هبوب الريح الشديدة يوجب التخويف المفضي- إلى الخشوع والإنابة كانت الزلزلة ونحوها من الآيات أولى بذلك، لاسيما وقد نصَّ في الخبر على أنَّ أكثر الزلازل من أشراط الساعة،[٣٠٣] وهذه العلامة واضحة ومُشاهَدة فيها عذاب وقهر للكافرين الملحدين ورحمة بالمؤمنين وتذكرة لمن يُنيب، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"إنَّ أمتي أمةٌ مرحومةٌ ليس عليها في الآخرة عذابٌ إلا عذابُها في الدنيا: القتل، والبلاء، والزلازل.."**.[٣٠٤]

وقد وقعت زلازل كبيرة نقلها علماء المسلمين والمؤرخين، فقد وقع في خلافة المتوكل العباسي[٣٠٥] (٢٣٢هـ/ ٨٤٦م) زلزلة مهولة بدمشق سقطت منها دور وهلك تحتها خلق وامتدت إلى أنطاكية فهدمتها وعلى الجزيرة

---

[٣٠٢] - رواه البخاري في صحيحه (٩٧٨)، ومسلم في صحيحه (٤٨٢٧)، أبو داود في سننه (٣٧١٣)، وأحمد في مسنده (١٠٤٤٣)، وتتمة الحديث عند البخاري: **".. ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج –أي القتل- وحتى يكثر فيكم المال فيفيض"**.

[٣٠٣] - فتح الباري على صحيح البخاري لابن حجر.

[٣٠٤] - رواه أحمد في مسنده (١٨٨٤٧) وانفرد به.

[٣٠٥] - تولي الخلافة فيما بين سنة (٢٣٢هـ/ ٨٤٦م) إلى سنة (٢٤٧هـ/ ٨٦١م).

فأحرقتها وإلى الموصل، فيُقال: هلك من أهلها خمسون ألفًا.[306] وفي سنة (٢٤٢هـ/ ٨٥٦م) زلزلت الأرض زلزلة عظيمة بتونس وأعمالها، والري، وخراسان، ونيسابور، وطبرستان، وأصبهان، وتقطعت الجبال وتشققت الأرض بقدر ما يدخل الرجل في الشقِّ.[307] وفي سنة (٢٤٥هـ/ ٨٥٩م) عمَّت الزلازل الدنيا فأخربت المدن، والقلاع، والقناطر، وسقط من أنطاكية جبل في البحر، وسُمع من السماء أصواتٌ هائلةٌ، وزُلزلت مصر، وسُمع أهل بلبيس من ناحية مصر صيحةٌ هائلةٌ فمات خلقٌ من أهل بلبيس وغارت عيون مكة.[308] وفي سنة (٢٨٠هـ/ ٨٩٣م) في خلافة المعتضد[309] وقعت في الديبل بالسند زلزلةٌ عظيمةٌ هدمت عامة البلد فكان عدة من أُخرج من تحت الردم مائة ألف وخمسين ألفًا.[310] ووقعت في سنة (٤٣٣هـ/ ١٠٤١م) زلزلة عظيمة في بخارى عشرة فراسخ في مثلها فأهلكت خلائق كثيرة. وفي سنة (٥٤٤هـ/ ١١٤٩م) وقعت زلزلة عظيمة وماجت بغداد نحو عشرة مرات وتقطَّع منها جبل بحلوان، وفي سنة (٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) جاءت زلزلة كبرى بمصر والشام والجزيرة فأخربت أماكن كثرة وقلاعًا متعددة. وفي سنة (٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م)

---

[306] - تاريخ الخلفاء (ص٤٠٧) للسيوطي.
[307] - المصدر السابق (ص٤٠٨).
[308] - المصدر السابق (ص٤٠٩).
[309] - تولى الخلافة في عام (٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، وتوفي في عام (٢٨٩هـ/ ٩٠١م).
[310] - تاريخ الخلفاء (ص٤٣٢) للسيوطي.

زُلزلـت مصرـ زلزلـة عظيمـة، وفي سـنة (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) وقـع بأذربيجـان زلزلة عظيمة وهلك بسببها كثيرٌ، وفي سنة (١٠٠٠هـ/ ١٥٩١م) وقعت ببلدة لار زلزلة عظيمة هُدمت منها البيوت كلها بحيث لا يكادون يعرفون محل بيوتهم، وكانت قبلها بأيام زلازل صغار في كل يوم فخرجوا منها فمن خرج نجا ومن لم يخرج هلك، وهذه هي الزلازل العظام التي اعتنوا بنقلها في كتب التواريخ، وأما الزلازل الصغار فلا تكاد تنحصر، والله يفعل ما يشاء.[٣١١]

## ٤- كثرةُ المطر مع قلة النبات:

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا تقوم الساعة حتى يُمطرُ الناسُ مطرًا عامًا، ولا تنبت الأرض شيئًا"**،[٣١٢] وعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ: **"ليست السَّنَة[٣١٣] بأن لا تُمْطَروا، ولكن السَّنَة أن تُمْطَروا وتُمْطَروا، ولا تنبتْ الأرضُ شيئًا"**،[٣١٤] وروى أبو نعيم في الحلية من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ

[٣١١] - علامات الساعة الصغرى (ص١٣١، ١٣٢) للشعراوي.
[٣١٢] - رواه أحمد في مسنده (١١٩٧٩) وانفرد به، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.
[٣١٣] - السَّنَة: أي الجدب والقحط، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ (الأعراف: ١٣٠)
[٣١٤] - رواه مسلم في صحيحه (٥١٦٦)، وأحمد في مسنده (٨٣٤٩) ، وقال الأرناؤوط: الحديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف.

قال: قال رسول الله ﷺ: **"من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة: - ذكر منهن- وكان المطر قيظًا"**.

ولا مراء فقد حدث هذا ويحدث في عصرنا نتيجة الملوثات الكيميائية والإشعاعية في التربة والهواء، وهناك أمثلة كثيرة على تسربات إشعاعية من المفاعلات الذرية كمفاعل تشرنوبيل[٣١٥]، أو جراء إسقاط القنبلتين الذريتين الشهيرتين بهيروشيما ونجزاكي في عام ١٩٤٥م،[٣١٦] والتجارب النووية المستمرة، مما أسهم بنصيب وافرٍ في إفساد التربة وضعف خصوبتها أو تدميرها ألبتة، ومن أخطر نتائج التلوث ما يُعرف علميًا بالمطر الحمضي. حيث تمطر السماء مطرًا يضرُّ بالتربة فلا تنبت زرعًا.

[٣١٥] - تعد وقعة انفجار المفاعل النووي تشيرنوبيل بأوكرانيا التي كانت تتبع الاتحاد السوفيتي أكبر كارثة نووية شهدها العالم، وقد وقع هذا الانفجار يوم السبت ١٩٨٦/٤/٢٦م وقد أدى الانفجار إلى مقتل ٣٦ شخصًا وإصابة ٢٠٠٠ شخصًا من العاملين به توفي منهم ٣١ شخصًا آخرين في غضون ٣ شهور من الانفجار، وفور الانفجار تم إجلاء ١٠٠ ألف شخص من محيط منقطة الانفجار التي أعلنت منطقة منكوبة، وقد تسبب الانفجار وفق ما سجلته المنظمة الطبية الألمانية في وفاة ٤٠٠ شخصًا بسرطان الغدة الدرقية، كما ذكرت وزارة الصحة الأوكرانية فيما بعد وفي إحصائية رسمية أن ٢,٣ مليون نسمة من سكان البلاد ما زالوا يعانون من تأثيرها، كما تسبب الحادث في تلوث ١,٤ مليون هكتار من الأراضي الزراعية بحيث لم تعد صالحة للزراعة بأوكرانيا وروسيا البيضاء.

[٣١٦] - ألقت الولايات المتحدة الأمريكية في ٦ أغسطس ١٩٤٥م على مدينة هيروشيما اليابانية قنبلة ذرية طولها ٣م وتزن ٤ أطنان قتلت ٨٠ ألف شخص وهدمت ٧٠% من منشآت المدينة، ثم أعقبتها مباشرة بإلقاء القنبلة الذرية على مدينة نجازاكي اليابانية فقتلت ٤٠ ألفًا، مما دفع اليابان على الفور بإعلان التسليم والانسحاب من الحرب.

## ٥- عمران جزيرة العرب:

عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: **"لا تقوم الساعة حتى تعود أرضُ العرب مروجًا[٣١٧] وأنهارًا"**.[٣١٨] وعلى الرغم من أن البعض من أهل العلم وقوع هذا الأمر بعد نزول عيسى ﷺ وانتشار الخير في الأرض، لكنني لا أجد غضاضةً في وضعه مع العلامات الصغرى التي تحققت في بعض جوانبها استنادًا إلى قول القرطبي في شرح معنى الحديث أنَّه إخبار عن تحول عادات أهلها من إنتاج الكلأ ومواضع العشب والرعي إلى حفر الأنهار، وغرس الأشجار، وبناء الديار،[٣١٩] أي بمعنى تحولهم من حياة البدو والترحال إلى حياة الحضر والاستقرار وهذا ما نلمسه الآن بها.

## ٦- سيادة الحفاة العراة على الناس وتطاولهم في البنيان:

عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يومًا بارزًا للناس إذ أتاه رجلٌ يمشي، فقال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال ﷺ: **"الإيمان أن تؤمنَ بالله، وملائكته، ورسله، ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر"**. قال: يا رسول الله، ما

---

[٣١٧] - المروج: الأرض الواسعة الممتدة ذات النبات والمرعى.

[٣١٨] - رواه مسلم في صحيحه (١٦٨١)، وأحمد في مسنده (٨٤٧٧، ٩٠٢٦).

[٣١٩] - التذكرة (ص٦٦٠) للقرطبي.

الإسلام؟ قال ﷺ: **"الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان"**. قال: يا رسول الله، ما الإحسان؟ قال ﷺ: **"الإحسان أن تعبد الله كأنَّك تراه فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك"**. قال: يا رسول الله، متى الساعة؟ قال ﷺ: **"ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدِّثُكَ عن أشراطها: إذا ولدتْ المرأةُ ربَّتها فذاك من أشراطها، وإذا كان الحفاةُ العراةُ رءوسَ الناسِ فذاك من أشراطها في خمس لا يعلمهن إلا الله[٣٢٠]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ .. ﴾** (لقمان: ٣٤)"، ثم انصرف الرجل. فقال ﷺ: **"رُدُّوا عليَّ!"**، فأخذوا ليَرُدُّوا، فلم يروا شيئًا، فقال ﷺ **"هذا جبريل، جاء ليعلِّم الناس دينهم"**.[٣٢١] -وفي رواية عن عمر بن الخطاب ﵁- أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"..وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون[٣٢٢] في البنيان"**.[٣٢٣] -وفي رواية عن أبي هريرة

[٣٢٠] - وذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤ ﴾ (لقمان: ٣٤)

[٣٢١] - رواه البخاري في صحيحه (٤٤٠٤)، ومسلم في صحيحه (١٠)، والنسائي في سننه (٤٩٠٥)، وابن ماجة في سننه (٦٣)، واحمد في مسنده (٩١٣٧)، واللفظ للبخاري.

[٣٢٢] - يتطاولون: يتفاخرون ويتباهون.

[٣٢٣] - رواه مسلم في صحيحه (٩)، والترمذي في سننه (٢٥٣٥)، النسائي في سننه (٤٩٠٤)، أبو داود في سننه (٤٠٧٥)، وابن ماجة في سننه (٦٢)، وأحمد في مسنده (١٧٩) .

ﷺ- أنَّ رسول الله ﷺ قال: **".. وإذا كانَ الحفاةُ العراةُ رءوسَ الناسِ فذلك من أشراطها، وإذا تطاول رعاء الغنم فذلك من أشراطها"**.[324]

ورعاةُ الشاةُ أو رِعَاء الشاة هم أصحاب البوادي وقد أصبحوا رءوس الناس، وقد تطاولوا في البنيان وذلك ملاحظ في جزيرة العرب مع اكتشاف البترول في منتصف القرن العشرين فتدفَّقت الأموال على أهلها وتحوَّلوا من حياة البداوة إلى البناء والاستقرار وأصبحت تلك البلاد مصدر جذب للعمالة من جميع بقاع العالم.

ويقول الشيخ الشعراوي – رحمه الله-: أي يصبح المال في يد من لا علم له فيملكون مال الدنيا، وليس عندكم علم لكي يحسنوا استثماره.[325]

وقال الإمام القرطبي: ويدل الحديث على أن رءوس الناس صاروا من أسافلهم وعبيدهم وجُهَّالهم فيملكون البلاد والحكم والعباد يجمعون الأموال ويطيلون البنيان فلا يسمعون موعظة ولا ينزجرون عن معصية فهم صمٌ بكمٌ عميٌ، وذلك فيما رواه مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: **".. وإذا**

[324] - رواه ابن ماجة في سننه (٤٠٣٤)، وصححه الألباني.
[325] - علامات الساعة الصغرى (ص٣٦) للشعراوي.

**رأيتَ الحفاةَ العراة الصُمَّ البُكمَ ملوكَ الأرض فذلك من أشراطها"**[٣٢٦]، قال قتادة[٣٢٧]: صُمٌّ عن استماع الحقِ، بُكمٌّ عن التكلم به، عميٌ عن الأبصار عنه.[٣٢٨]

## ٧- فُشُوُّ التجارة وتقارب الأسواق:

عن ابن مسعود ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **"إنَّ بين يدي الساعة** – وذكر أمورًا منها – **وفشو التجارة، حتى تعين المرأةُ زوجها على التجارة** – وفي بعض النسخ – **حتى تعيب المرأة زوجها على التجارة.."**،[٣٢٩] وعنه ﷺ قال: إنَّ من أشراط الساعة.. أن يَتَّجَرَ الرجلُ وامرأته جميعًا..،[٣٣٠] وعن عمرو بن ثعلبة ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **"إنَّ من أشراط الساعة أن تكثر التجارة"**،[٣٣١] وعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ ذكر أمورًا بين يدي الساعة فقال ﷺ: **".. وتتقارب الأسواق"**.[٣٣٢] وذكر المبارك بن فضالة[٣٣٣] عن الحسن ﷺ قال:

---

[٣٢٦] - رواه مسلم في صحيحه (١١).

[٣٢٧] - قتادة بن دعامة السدوسي البصري. محدث ثقة كان يروي الحديث فيحفظ ولا يكتب، قال عنه أحمد أنه أحفظ أهل البصرة. ولد عام ٦١هـ، ومات بواسط بالطاعون عام ١١٧هـ.

[٣٢٨] - التذكرة (ص٦٦٥) للقرطبي.

[٣٢٩] - رواه أحمد في مسنده (٣٦٧٦)، والحاكم في المستدرك (٩٨/٤) وصححه ووافقه الذهبي، ومتن الحديث بتمامه: **"إنَّ بين يدي الساعة التسليم على الخاصة، وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وفشو القلم، وظهور شهادة الزور، وكتمان شهادة الحق"**.

[٣٣٠] - رواه أبو داود الطيالسي وهو حديث موقوف على عبد الله بن مسعود ﷺ.

[٣٣١] - رواه أبو داود الطيالسي وقال الشيخ أبو عبد الله الأنصاري في تخريجه لأحاديث التذكرة للقرطبي: حديث صحيح.

[٣٣٢] - رواه ابن حبان في صحيحه، وصححه أبو عبد الله الأنصاري في التذكرة للقرطبي.

رسول الله ﷺ: **"لا تقوم الساعة حتى يُرفع العلمُ، ويفيضُ المالُ، ويظهرُ القلمُ، وتكثرُ التجارةُ"**، قال الحسن ﷺ: لقد أتى علينا زمانٌ إنَّما يُقال تاجر بني فلان، وكاتب بني فلان، ما يكون في الحي إلا التاجر الواحد والكاتب الواحد.[٣٣٤]

وفي زماننا نجد ازدهار التجارة وانتشارها فنجد الأسواق العالمية، والتكتلات الاقتصادية، والمعاهدات والاتفاقات التجارية الدولية والمحلية..

## ٨- الغلاءُ وارتفاعُ الأسعارِ وأن يستقلَ الرجلُ المالَ الكثير:

عن عوف بن مالك ﷺ قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم[٣٣٥] فقال ﷺ: **"اعْدُدْ ستًّا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بين المقدس، ثم مُوتان يأخذ فيكم كقفاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يُعطى الرجل مائة دينار فيظلَّ ساخطًا** – ثم ذكر باقي الستة**"** [٣٣٦]– وفي رواية لأحمد – قال رسول

---

[٣٣٣] - أبو فضالة مبارك بن فضالة بن أبي أمية بن كنانة القرشي العدوي البصري. أحد رواة الحديث النبوي ومن كبار علماء البصرة. استشهد بروايته من كل مم :البخاري في صحيحه روى له في الأدب، وروى له أبو داود والترمذي وابن ماجه. توفي ابن فضالة عام ١٦٤هـ.

[٣٣٤] - التذكرة (ص٦٦١) للقرطبي.

[٣٣٥] - الأدم: الجلد المدبوغ.

[٣٣٦] - رواه البخاري في صحيحه (٢٩٤٠).

الله ﷺ: **"حتى أنَّ الرجلَ ليُعطى عشرة آلاف فيظلَّ يتَسَخَّطُها[337]"**.[338] وهذا إشارة إلى ما نعانيه في مجتمعاتنا من تنقُّصِ المرء قيمة المال مع كثرته فحاجات الإنسان كثيرة، وتنقصه القناعة فلا يرضى بما في يديه من مالٍ وإن كان أكثر من الكثير، ويتطلع إلى ما في أيدي الناس فيسود المجتمع البغضاء والكراهية وفقدان القناعة ورضا الله ومحبة الناس، مخالفين في ذلك قول رسول الله ﷺ لما سُئل: يا رسول الله دُلَّني على عملٍ إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال ﷺ: **"ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس"**،[339] والزهد لا يعني الدعوة إلى الفقر وإنَّما أن تكون الدنيا في يديك والآخرة في قلبك.

ولا شك أنَّ الغلاء وارتفاع الأسعار الذي يكتوي بناره وسعاره البسطاء من الناس من أمراض المجتمع نشأ نتيجة الاحتكار، والاستغلال، والطمع، والجشع، والأثرة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: **"لم تظهر الفاحشةُ في قومٍ حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم، ولا ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدَّة المؤنة**

---

[337] - تسخَّطَ العطاء: استقله ولم يقع منه موقعًا.

[338] - رواه أحمد في مسنده (٦٣٣٤).

[339] - رواه ابن ماجة في سننه (٤٠٩٢) وانفرد به بإسنادٍ حسنٍ عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ، وعقب النووي على الحديث: رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة.

**وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمطروا.."**.[٣٤٠]

## ٩- كثرةُ الدَّجَّالين ومدَّعيِّ النبوةِ:

عن ثوبان مولى النبيِّ ﷺ قال ﷺ: قال رسول الله ﷺ: **"لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى يعبدوا الأوثان، وأَنَّه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلُّهم يزعمُ أَنَّه نبيٌّ، وأنا خاتم النبيين لا نبيَّ بعدي"**.[٣٤١]

وعن جابر بن سَمُرَة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"إنَّ بين يدي الساعة ثلاثين كذَّابًا رجالاً، كلُّهم يزعمُ أَنَّه نبيٌّ"**.[٣٤٢]

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا تقوم الساعة حت يُبعثُ دجَّالون كذَّابون قريبًا من ثلاثين كلُّهم يزعم أَنَّه رسول الله"**.[٣٤٣]

---

[٣٤٠] - رواه ابن ماجة في سننه (٤٠٠٩)، والبزار في مسنده، وتتمة الحديث: **"..ولم ينقضوا عهد الله ولا عهد رسوله إلا سلَّط الله عليهم عدوًا من غيرهم، فأُخذ بعض ما كان في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم"**.

[٣٤١] - رواه الترمذي في سننه (٢١٤٥)، وقال: حديث حسن صحيح، وأبو داود في سننه (٣٧١٠)، وابن ماجة في سننه (٣٩٤٢)، وأحمد في مسنده (٢١٣٦١)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٥٧٧)، وصحيح ابن ماجة (٣٩٥٢).

[٣٤٢] - رواه مسلم في صحيحه (٥٢٠٤).

[٣٤٣] - رواه البخاري في صحيحه (٣٣٤٠)، ومسلم في صحيحه (٥٢٠٥)، وأحمد في مسنده (٩٥١٨)، وطرف الحديث عند البخاري: **"لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان فيكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة.."**. وقد سبق الإشارة إلى هذه الفتنة التي وقعت بين الصحابة مسبقًا ضمن هذا الباب.

قال الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني في "فتح الباري على صحيح البخاري" في تفسير قوله ﷺ: **"حتى يُبعثُ"**: أي يخرجُ، وليس المراد بالبعث هنا معنى الإرسال المقارن للنبوة، بل هو كقوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾** ﴾ (مريم: ٨٣)، والدَّجَّال من الدَّجل وهو التغطية والتمويه، كما يُطلق على الكذب أيضًا لذا فلفظ "كذابون" عليه تأكيد كذلك.

لقد خرج بعضُ مدعيي النبوة ممن أعمى الله بصائرهم وطمس نور الإيمان في قلوبهم وضلُّوا عن سبيل الله قديمًا وحديثًا، ظهر بعضهم في حياة النبيِّ ﷺ، فعن أبي بَكرة رضي الله عنه قال: أكثر الناسُ في مسيلمة[٣٤٤] قبل أن يقول رسول الله ﷺ فيه شيئًا، فقام رسول الله ﷺ خطيبًا فقال: **"أمَّا بعد، ففي شأن هذا الرجل الذي أكثرتم فيه وإنَّه كذَّاب من ثلاثين كذَّابًا يخرجون بين يدي الساعة"**،[٣٤٥] كما ظهر في عهده ﷺ الأسود العنسي[٣٤٦]، وقد كانا هما أخطر من ادعى النبوة،

---

[٣٤٤] - مسيلمة بن ثمامة بن كبير الوائلي الحنفي. وُلد ونشأ باليمامة وادعى النبوة على عهد النبيِّ ﷺ وقتل رسوله إليه حبيب بن زيد رضي الله عنه قطعه قطعًا، وازدادت شوكته بعد وفاة النبيِّ ﷺ فادعى النبوة وجمع حوله المرتدين، وأرسل إليه الصديق أبو بكر رضي الله عنه جيشًا صغيرًا جعل عليه عكرمة وآخر عليه شرحبيل رضي الله عنهما وأمرهما بعدم القتال حتى يأذن لهما، فتعجلا وقاتلا فنكبا ثم أدركهما خالد بن الوليد رضي الله عنه فانضما إليه، ووقعت معركة اليمامة الشهيرة عام ١١هـ، وكان النصر للإسلام، وقتل فيها عدو الله مسيلمة، وكان عمره ١٤٠ عامًا.

[٣٤٥] - رواه أحمد في مسنده (١٩٥٣٢).

[٣٤٦] - الأسود العنسي: عبهلة بن غوث كان يُلقب بذي الخمار. تنبأ على عهد النبيِّ ﷺ. خرج في سبعمائة مقاتل إلى نجران فأخذها ثم استولى على صنعاء ثم خلصت له اليمن بكاملها. قتل على يدي جماعة من المسلمين في عهد الصديق أبي بكر رضي الله عنه في عام ١١هـ، وقيل قتل على آخر عهد النبيِّ ﷺ قتله فيروز الديلمي رضي الله عنه.

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ وهو يخطب الناسَ على منبره، وهو يقول ﷺ: **"رأيتُ في ذراعيِّ سوارين من ذهبٍ، فكرهتهما فنفختهما فطارا، فأولتهما هاذين الكذّابين: صاحب اليمن وصاحب اليمامة –** يقصد الأسود العنسي ومسيلمة**"**.[٣٤٧] وكان مقتل الأسود العنسي في آخر عهد النبيِّ ﷺ وقيل في أول عهد الصديق ﷺ، وأتبعه مقتل مسيلمة الكذاب بمعركة اليمامة سنة (١١هـ/ ٦٣٢م)، ثم خرج في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ طليحةُ بن خويلد[٣٤٨] في بني أسد بن خزيمة، وخرجت سجاح التميمية في بني تميم، وادَّعا كلاهما النبوة، فأما طليحة فارتدَّ وقاد معركة الرِّدَّة في المرتدين من قومه بني أسد وقتل الصحابيين الجليلين عكاشة بن محصن[٣٤٩]، وثابت بن أقرم[٣٥٠] رضي الله عنهما، ثم لقيه خالدُ بن الوليد ﷺ ببزاخة فهزمه هزيمة

---

[٣٤٧] - رواه ابن هشام في سيرته (٤/ ١٤٦)، والحديث رواه البخاري في صحيحه (٣٣٥١، ٤٠٢٦، ٦٥١٥)، ومسلم في صحيحه (٩٢١٨، ٩٢١٩)، والترمذي في سننه (٢٢١٦)، وأحمد في مسنده (٧٩٠١، ١٤١٩١، ١١٣٨٩)، واللفظ لأحمد في مسنده (١١٣٨٩).

[٣٤٨] - طليحة بن خويلد الأسدي: من الشجعان المغاوير يعدل بألف فارس. أسلم في عام ٩هـ ، ثم ارتد في آخر عهد النبيِّ ﷺ، فوجه إليه النبيُّ ﷺ ضرارَ بن الأزور ﷺ فضربه بالسيف فلم يصبه فشاع بين قومه أن السيف لا يؤثر فيه فكثر أتباعه، ولما مات النبيُّ ﷺ ادعى النبوة فتبعه قومه، وكان يتلو أسجاعًا يدَّعي أنها تنزل عليه، وأمر بترك السجود في الصلاة، وكانت له راية حمراء. تجرأ على مهاجمة المدينة فصده عنها الصديق أبو بكر ﷺ، ثم سير إليه خالد بن الوليد ﷺ فسحقه في بزاخة، ففر إلى الغساسنة ثم تاب في عهد أبي بكر ﷺ، ثم أشركه عمر بن الخطاب ﷺ في قتال الفرس فأبلى بلاء الشجعان في القادسية، واستشهد في نهاوند في سنة (٢١هـ/ ٦٤١م) ودفن بقرية روذة رضي الله عنه.

[٣٤٩] - عكاشة بن محصن الأسدي ﷺ صحابي جليل شهد بدرًا وأحدًا وجميع مشاهد النبي ﷺ. استشهد في حروب الردة على يدي طليحة بن خويلد في حربه مع خالد ببزاخة عام ١٢هـ.

[٣٥٠] - ثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدي بن الجد بن العجلان البلوي القضاعي ﷺ من حلفاء بني مالك بن عوف من الأوس. صحابي جليل شهد مع النبي ﷺ المشاهد كلها .كما شارك في غزوة مؤتة، ودفع إليه المسلمون رايتهم بعد مقتل الأمراء الثلاثة، فسلمها إلى خالد بن الوليد ﷺ ، وقال له : أنت أعلم بالقتال

منكرة، وفرَّ هاربًا إلى بلاد الشام، ثم عاد تائبًا في خلافة أبي بكر ﷺ، وأما سجاح[351] فكانت امرأة ادَّعت النبوة في بني تميم وتحالفت مع مسيلمة الكذاب وتزوجها، ونُقل أنَّ سجاح تابت وأنابت هي الأخرى، ثم ظهر عددٌ من الكذَّابين ممن ادَّعوا النبوة منهم المختار الثقفي[352] الذي غلب على الكوفة في أول خلافة ابن الزبير رضي الله عنهما ، فأظهر محبة آل البيت ودعا الناس إلى طلب قتلة الحسين ﷺ فتبعهم وقتل كثيرًا منهم ممن باشر قتله أو اعان عليه قتلاً ذريعًا حتى ملك قلوب الناس، ثم زين له الشيطان أن ادَّعى النبوة وزعم أنَّ جبريل ﷺ يأتيه، روى أبوداود في سننه من طريق إبراهيم النخعي[353] قال:

---

مني. بعد وفاة النبي ﷺ، شارك في حروب الردة، أرسله خالد مع عكاشة بن محصن على فرسيهما ليستطلعا له مضارب بني أسد، فلقيا طليحة وسلمة ابني خويلد، فقاتل طليحة عكاشة ﷺ، وقتل سلمة ثابت ﷺ، ثم تعاون الأخوان على قتل عكاشة .ﷺ

[351] - سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان إمرأة نجدية من بني تميم ادعت النبوة في قومها بعد موت النبي ﷺ فالتف حولها بعض قومها، كان ممن استجاب لها مالك بن نويرة التميمي وعطارد بن حاجب وجماعة من سادات أمراء بني تميم وتصالحت مع مسيلمة الكذاب وتزوجها، لما بلغها سير خالد بن الوليد بقواته نحو اليمامة بعد أن قضى على حركتي طليحة بن خويلد الأسدي ومالك بن نويرة، عادت إلى بلاد الرافدين وبقيت بين قومها من بني تغلب ثم تابت إلى الإسلام وحسن إسلامها بعد مقتل مسيلمة على يد وحشي. وتوفيت في عهد الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان بمدينة البصرة، وقيل بل كانت وفاتها بمدينة الكوفة.

[352] - المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، ابن المجاهد الكبير أبو عبيد أول من لبى نداء الفاروق عمر ﷺ لقتال الفرس فأمره على أول جيش في خلافته لقتال الفرس واستشهد بمعركة الجسر. ظهر المختار أول الأمر في صورة الصالح التقي وتتبع قتلة الحسين ﷺ فقتلهم قتلاتٍ بشعة، ثم ثار في الكوفة على ابن الزبير وأخرج عامله عليها، وحارب أهل البصرة وأخضعهم. وادَّعى النبوة. حُوصر بالكوفة وقُتل فيها عام (٦٧هـ/ ٦٨٦م).

[353] - إبراهيم النخعي اسمه: إبراهيم بن يزيد بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن سعد بن مالك النخعي، اليماني ثم الكوفي، وأمه مليكة بنت يزيد أخت الصحابي الأسود بن يزيد النخعي. فقيه وتابعي من مدينة الكوفة وأحد الأئمة المعروفين بالفقه في الإسلام، ولد عام (٤٦هـ/ ٦٦٦م) رأى السيدة عائشة ولم يحدث عنها. توفي عام (٩٦هـ/ ٧١٤م)، وله من العمر ٤٩ سنة في زمن الوليد بن عبد الملك.

قلتُ لعبيدة بن عمرو[354] : أترى المختار منهم-أي مدعيي النبوة؟ قال: أما إنَّه من الرءوس،[355] وقد روى تحذير النبيَّ ﷺ أمته منه فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: حدثنا رسول الله ﷺ: **أنَّ في ثقيفٍ كذَّابًا ومُبِيرًا"**. قالت أسماء رضي الله عنها: أما الكذَّابُ فقد رأيناه – تعني المختار– وأما المُبِير فلا أخالك إلا إياه – تخاطب الحجاج بن يوسف الثقفي[356]– فقام عنها ولم يراجعها.[357] والمُبِير هو المسرف في القتل المبالغ في الإهلاك، وقُتل المختار في بضعٍ وستين. وقيل أن المختار بن أبي عبيد توجه إلى العراق عام ٦٤ هـ بعد موت يزيد بن معاوية داعيا لمحمد بن الحنفية، وأخذ يذكر علوما يزخرفها

[354] - عبيدة بن عمرو السلماني المرادي الكوفي أحد فقهاء التابعين بالكوفة. أسلم عام فتح مكة بأرض اليمن ولا صحبة له وأخذ عن علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وغيرهما وبرع في الفقه وكان ثبتا في الحديث روى عنه إبراهيم النخعي والشعبي ومحمد بن سيرين وعبد الله بن سلمة المرادي وأبو إسحاق ومسلم أبو حسان الأعرج وآخرون وقال الشعبي وكان عبيدة يوازي شريحا في القضاء. وفي وفاته أقوال أصحها أنه مات عام ٧٢هـ.

[355] - رواه أبو داود في سننه (٣٧٧٣) عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **"لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابًا دجالاً كلهم يكذب على الله وعلى رسوله"**، وقد روى أبو داود الحديث بهذا التعليق قال: حدثنا عبد الله بن الجراح (من طبقة كبار تبع الأتباع وهو صدوق ثقة مستقيم الحديث ت ٢٣٧هـ) عن جرير (من الطبقة الوسطى من الأتباع وهو ثقة حجة متفق عليه ت ١٨٨هـ) عن مغيرة (لم يلق الصحابة وهو ثقة ت ١٣٦هـ) عن إبراهيم النخعي (من الطبقة الصغرى من التابعين وهو عالم فقيه ثقة ت ٩٦هـ).

[356] - الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي. ولد عام ٥٢هـ. كان من طغاة الولاة وجبابرة القواد. وجهه عبد الملك بن مروان في ألف مقاتل لقتال عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما فحاصره في الحرم وقتله وصلبه عام ٧٣هـ. وتولى الحجاز ثلاث سنين، ثم تولى العراق ٢٠ سنة. توفي عام ١٠٥هـ.

[357] - رواه مسلم في صحيحه (٤٦١٧)، والترمذي في سننه (٢١٤٦، ٣٨٧٩)، وأحمد في مسنده (٢٥٧٢٨، ٢٥٧٣٥)، واللفظ لمسلم.

بأسجاع كسجع الكهان ويعزوها إليه. قال الشهرستاني [٣٥٨] أن محمد بن الحنيفة ـ رحمه اللهّ تعالى ـ تبرأ من المختار حين وصل إلى علمه أنه ادعى أنه من دعاته. وبعد موت ابن الحنفية قال أتباع هذا المذهب أنَّ محمدًا بن الحنفية هو المهدي، وهو وصيّ علي بن أبي طالب ليس لأحد من أهل بيته أن يخالفه ولا يخرج عن إمامته ولا يُشهّر سيفه إلاّ بإذنه ، وإنّما خرج الحسن بن علي إلى معاوية محارباً له بإذن « محمّد » وأودعه وصالحه بإذنه ، وأنّ الحسين إنّما خرج لقتال يزيد بإذنه ، ولو خرجا بغير إذنه هلكا وضلاّ وأنّ من خالف محمد ابن الحنفية كافر مشرك وأنّ محمد بن الحنفية استعمل المختار بن أبي عبيدة على العراقيين بعد قتل الحسين وأمره بالطلب بدم الحسين عليهالسلام وثأره وقتل قاتليه وطلبهم حيث كانوا ، وأنَّ محمداً بن الحنفية يقيم في جبل رضوى من جبال تهامة بين أسد ونمر يحفظانه، وعنده عينان تجريان بعسل وماء، وأنه يعود بعد الغيبة فيملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا. وهذا أول حكم بعودة الإمام بعد

[٣٥٨] -أبو الفتح تاج الدين عبد الكريم بن أبي بكر أحمد المشهور بالشهرستاني، نسبة إلى شهرستان وهي بلدة في خراسان. أعجمي الأصل أباً عن جد من مدينة شهرستان. أحد علماء أهل السنة الأشاعرة .وله عدد مؤلفات مشهورة في التراث الإسلامي. ولد في مدينة شهرستان وتوفي بها عام ٥٤٨هـ. رحل الشهرستاني في طلب العلم وهو في سن الخامسة عشرة إلى بلاد كثيرة منها : مدن خراسان وخوارزم ومكة المكرمة وبغداد، فتلقى علوم القرآن وتفسيره والفقه وسمع الحديث. وكان مقربًا لدى السلطان سنجر بن ملكشاه، ومن الوزير أبو القاسم محمود بن المظفر المروزي. كان مشهوراً بالبراعة في التأليف وحسن التصنيف، وقد ألف في فنون العلم المختلفة كالتفسير والفقه وعلم الكلام والفلسفة والتاريخ والفرق والأديان، وقد بلغ عدد مؤلفاته أكثر من عشرين مؤلفاً، ومن هذه المؤلفات: الملل والنحل "وهو أشهر كتبه، و"مصارعة الفلاسفة"، و"المناهج في علم الكلام".

غيبته عند الشيعة، وقد عرف أصحاب هذا المذهب بالكيسانية[٣٥٩]، كما عرفوا أيضًا بالمختارية نسبة إلى المختار بن أبي عبيد الثقفي، فهم يسمّون (المختارية) ويدعون (الكيسانية).

ومن الدعاة الكذابين الحارث الكذَّاب[٣٦٠] خرج في خلافة عبد الملك بن مروان فقُتل. وخرج المتنبي الشاعر المشهور[٣٦١] ثم تاب، وأيام بني العباس في خلافة المعتمد[٣٦٢] خرج قائد فتنة الزنج "بهبود"[٣٦٣] – لعنه الله – فأفسد في

---

[٣٥٩] - الكيسانية فرقة شيعية منقرضة، كان يدعو أتباعها إلى إمامة محمد بن علي بن أبي طالب، المعروف بابن الحنفية بعد مقتل أخيه الحسين. تسموا بالكيسانية نسبة إلى كيسان مولى الخليفة علي ابن أبي طالب، حيث يعتقدون أنه اقتبس من علي ومن ابنه محمد الأسرار كلها من علم الباطن وعلم التأويل وعلم الآفاق والأنفس. إنّ الكيسانية منسوبة إلى « كيسان » وقد اختلفوا في المسمّى به إلى أقوال فمن قائل : إنّه اسم محمد ابن الحنفية ، إلى آخر : إنّه اسم مولى لعلي ، إلى ثالث : إنّه اسم نفس المختار بن أبي عبيدة الثقفي ، إلى رابع : إنّه اسم صاحب شرطته المكنى بـ « أبي عمرة » وكان اسمه كيسان. وقد كان الشاعر كثير عزة من أتباع هذه الطائفة.

[٣٦٠] - الحارث الدمشقي: ادعى النبوة في عهد عبد الملك بن مروان بالشام، وكان يخرج يديه ورجليه من القيد، ويمسح على الرخامة فتسبح، وكان يُري الناس ركابًا تطير في الهواء يقول أنها الملائكة، ولما ألقوا القبض عليه أمسكوه ليطعنوه فلم ينفذ فيه السيف، فقال عبد الملك: إنك لم تسمِ الله، فسمى الله فطعنه فقتله (شرح أصول الاعتقاد - اللالكائي).

[٣٦١] - أبو الطيب أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكوفي. أعظم شعراء العربية. ولد عام ٣٠٣هـ بالكوفة، ونشأ بالشام. ادعى النبوة في بادية السماوة بين الكوفة والشام فسجنه الإخشيد وتاب عن دعواه فأطلقه. مدح كثيرًا من الملوك والأمراء بمصر والشام. قتله فاتك بن أبي جهل الأسدي في طريقه للكوفه عام ٣٥٤هـ لأنه هجا ابن أخيه.

[٣٦٢] - المعتمد بالله هو أبو العبّاس أمير المؤمنين أحمد المعتمد على الله بن المتوكّل على الله جعفر بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد الهاشميّ العّباسيّ. أعاد الوعي إلى الخلافة العباسية. ولد عام ٢٢٩هـ. في أيامه دخلت الزنج البصرة وأعمالها وأخربوها وبذلوا السيف وأحرقوا وخربوا وسبوا وجرى بينهم وبين عسكره عدة وقعات وأعقب ذلك وباء مات فيه خلق لا يحصون ثم أعقبه هدات وزلازل فمات تحت الردم ألوف من الناس واستمر القتال مع الزنج من حين تولى المعتمد سنة ٢٥٦هـ إلى سنة ٢٧٠هـ بمقتل رأس الزنج بهبوذ لعنه الله. توفي المعتمد بالله عام ٢٧٩هـ فحمل ودفن بسامراء.

[٣٦٣] - قامت ثورة الزنج على الخلافة العباسية عام ٢٥٥هـ وامتدت لأكثر من ١٤ عاما قبل أن تنجح الدولة العباسية في قمعها. وكانت قد بدأت بزنوج من شرق افريقيا استعبدوا وجيء بهم إلى تلك المنطقة، كما ضمت أهل القرى، وبعض العرب، وعشائر عربية ثائرة على السلطة.وأسسوا حكومة لهم كان

وأهان آل بيت رسول الله ﷺ، وكان يدَّعي أنَّه أرسل إلى الخلق فردَّ الرسالة وأنَّه مطَّلع على الغيب، وذكر الصولي[٣٦٤] أنه قتل من المسلمين ألف ألف وخمسمائة ألف آدمي وقتل في يوم واحد بالبصرة ثلاثمائة ألف وكان له منبر في مدينة يصعد عليه ويسب عثمان وعلياً ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم. وكان ينادي على المرأة العلوية في عسكره بدرهمين وثلاثة وكان عند الواحد من الزنج العشر من العلويات يطؤهن ويستخدمهن. وقد قتل الخبيث عام ٢٧٠هـ وقمت فتنة الزنوج التي تزعمها زمنًا فحملت رأسه بغداد على رمح وعملت قباب الزينة وضج الناس بالدعاء للخليفة ومدحه الشعراء

مقرها مدينة المختارة (جنوب البصرة) ، وقاد هذا الجمع، شخص فارسي الأصل من أهل الري يُدعى "بهبوذ" سمى نفسه علي بن محمد وادعى انتسابه إلى عبد القيس ثم إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهما بدأ كشاعر في بلاط الخليفة بسامراء، ثم حاول القيام بحركة ضد النظام في البحرين للوصول إلى الحكم، إلا أنه أخفق في تحقيق مبتغاه، فسلك نهجًا جديدًا، وظهر كقائد ديني ومتنبيء، فادعى نسبًا علويًا محاولاً أن يستثمر ما للشيعة من عطف وتأييد بين الناس، وقد أحلَّه أتباعه من أنفسهم محل النبي حتى جُبِي له الخراج وفي النهاية قتل وهزم أتباعه وخمدت الثورة.

[٣٦٤] - أبو بكر الصولي محمد بن يحيى بن عبد الله ، نسبته إلى جده "صول تكين"، الذي كان وأهله ملوكا بجرجان، كان أحد العلماء بفنون الأدب، حسن المعرفة بأخبار الملوك وأيام الخلفاء ومآثر الأشراف وطبقات الشعراء. نادم ثلاثة من خلفاء بني العباس: الراضي والمكتفي والمقتدر .وكان من أحسن الناس لعباً بالشطرنج، حتى عرف بالشطرنجي ومازال يعتبر أحد أفضل اللاعبين العرب إطلاقا، وله كتاب "الشطرنج" وهو أول كتاب علمي يتناول دراسة نهاية اللعب والاستراتيجيا، ترجم له ابن النديم ، والزركلي. له عدة تصانيف منها: "أخبار القرامطة"، و"شرح ديوان أبي تمام"، و"الأوراق في أخبار آل العباس وأشعارهم". كان شاعرًا ترك نحو ١١٨٠ بيتًا. توفي في البصرة سنة ٣٣٥هـ.

وكان يوماً مشهوداً وأمن الناس وتراجعوا إلى المدن التي أخذها وهي كثيرة كواسط ورامهرمز.

وفي خلافة المكتفي[٣٦٥] خرج يحيى بن ذكرويه القرمطي عام ٢٩٠هـ فاستمر القتال بينه وبين عسكر الخليفة العباسي المكتفي إلى أن قتل[٣٦٦] ، ثم من بعده أخوه الحسين وأظهر شامة في وجهه وزعم أنَّها آيته، وجاء من بعده ابن عمه عيسى بن مهرويه وزعم أنَّ لقبه الْمُدَّثِر وأنَّه المعني في السورة، ولقَّب غلامًا له المطوَّق بالنور، وظهر بالشام وعاث وأفسد، وتسمى بأمير المؤمنين المهدي ودُعِيَ له على المنابر، ثم قُتل ثلاثتهم عليهم لعنة الله عام ٢٩١هـ، وخرج المقتدر أبو طاهر القرمطي لعنه الله، وفي خلافة الراضي ظهر محمد بن علي المعروف بابن أبي العراق، وقد شاع عنه أنَّه يدَّعي الألوهية وأنَّه يحيي الموتى، فقُتل وصُلب وقُتل معه جماعة من أصحابه. وظهر في خلافة المطيع العباسي قومٌ من التناسخية فيهم شاب يزعم أنَّ روحَ عليٍّ ﷺ انتقلت إليه وزعمت

---

[٣٦٥] - المكتفي بالله أبو محمد المكتفي بالله علي بن المعتضد. ولد عام ٢٦٤هـ. بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه المعتضد بعهد منه وذلك عام ٢٨٩هـ. توفي المكتفي عام ٢٩٥هـ. فكانت خلافته ست سنوات وستة أشهر و ١٩ يوماً.

[٣٦٦] - في عام ٢٩٠هـ خرج يحيى بن زكرويه القرمطي فاستمر القتال بينه وبين عسكر الخليفة المكتفي إلى أن قتل فقام أخوه الحسين وأظهر شامة في وجهه وزعم أنها آيته وجاءه ابن عمه عيسى بن مهرويه وزعم أن لقبه المدثر وأنه المعني في السورة ولقب غلاماً له المطوق بالنور وظهر على الشام وعاث وأفسد وتسمى بأمير المؤمنين المهدي ودعي له على المنابر ثم قتل الثلاثة في سنة ٢٩١هـ.

امرأته أنَّ روح فاطمة انتقلت إليها، وادَّعى آخر أنَّه جبريل عليه السلام فضُربوا ولما تعززوا بالانتماء إلى أهل البيت أمر معز الدولة بإطلاقهم. وفي خلافة المستظهر في سنة (٤٩٤هـ/ ١١٠٠م) ظهر رجلٌ بنواحي نهاوند فادَّعى النبوة وتبعه خلقٌ فأُخذ وقُتل. وقد ظهرت حالات عجيبة في ادعاء النبوة منها رجلٌ خرج بالمغرب يُسمَّى "لا" وحرَّف معنى الحديث المشهور: **"لا نبيَّ بعدي"** وجعله إخبارًا منه ﷺ بأنَّ "لا" أي صاحب هذا الاسم هو النبيُّ بعدي، كما ادَّعت سجاح كما ذكرنا وهي امرأة فلما ذُكر لها الحديث قالت: إنَّما قال رضي الله عنه: **"لا نبيَّ"** ولم يقل: لا نبيَّةَ، وقال فيها مؤدبها شبيبُ بن ربعيٍّ:

| | |
|---|---|
| **أضحتْ نبيتُنا أنثى نطيفُ بها** | **وأصبحتْ أنبياءُ النَّاسِ ذُكرانا** |

وحتى أمرُ تنبؤ المرأة لم يتركه الرسول ﷺ فقد أخبر عنه، فعن حذيفة رضي الله عنه أنَّ نبيَّ الله ﷺ قال: **"في أمتي كذَّابون ودجَّالون سبعة وعشرون منهم أربع نسوة وأنِّي خاتم النبيين لا نبيَّ بعدي"**،[٣٦٧] والحاصل أنَّ عدد سبع وعشرين في الحديث قد تم أو كاد أن يتم، وأما مطلق الكذّابين فلا حصر لهم. وذكر الحافظ

[٣٦٧] - رواه أحمد في مسنده (٢٢٢٦٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٣٢): رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، والبزار في مسنده، ورجال البزار رجال الصحيح.

ابن حجر: يحتمل أن يكون ما ذكر من الثلاثين أو نحوها يدَّعون النبوة وما زاد عليهم كما في رواية أو أكثر، ورواية سبعون وهم الذين يدعون إلى الضلالة كغلاة الرافضة والباطنية والحلولية وسائر فرق الضلال هم المقصودين في تلك الأحاديث، وليس المراد بالأحاديث من ادَّعى النبوة مطلقًا فإنَّهم لا يُحصون كثرةً لكون غالبهم ينشأ لهم ذلك عن جنون، وإنما المراد من قامت له شوكة وبدت له شبهة كمن وصفنا.[٣٦٨]

ومن هذا القسم من يدَّعي أنَّه المهدي وهؤلاء كثيرون منهم في العصر الحديث محمد أحمد المهدي بن عبد الله بالسودان، والذي أعلن في غرة شعبان ١٢٩٨هـ (٢٩/ ٦/ ١٨٨١م) أنَّه المهدي المنتظر وادَّعى لنفسه العصمة وادَّعى أنَّ الرسول ﷺ والخلفاء ﷺ والأقطاب أتوه مبايعين في اليقظة، وقال بكفر من خالفه، ورغم أنَّه حارب الإنجليز وهزمهم وجمع حوله القبائل لكنه لا يعدو عن كونه مدعيًّا كذابًا. وممن ادَّعى النبوة غلام أحمد القادياني الذي ظهر في القرن التاسع عشر الميلادي بقرية قاديان بالهند وادَّعى أنَّه عيسى النبيِّ عليه السلام الذي ينزل آخر الزمان واتبعته طائفةٌ سموا أنفسهم القاديانية. وظهر ميرزا علي محمد رضا الشيرازي المُلقَّب بالباب الذي ادعى النبوة، ثم ادَّعى أن الله حلَّ

---

[٣٦٨] - فتح الباري على صحيح البخاري (٧/ ٣٢٣، ٣٢٤) لابن حجر.

فيه، وضُرب عنقه في حد الكفر في سنة (١٢٦٦هـ/ ١٨٥١م)، واتبع دعوته كثيرون في حياته وبعد موته فأقاموا البهائية[٣٦٩] وهو مذهب باطل يقوم على الحلول والاتحاد، وعقيدة الصلب والفداء، ونبوة زاردشت، وكونفيشيوس، وبوذا، وإنكار الغيبيات، وإقامة عبادات تخالف الإسلام بالكلية فهم يصلون تسع ركعات ثلاث مرات، ولا يصلون جُمَعًا، ويصومون ١٩ يومًا في غير رمضان، ويحرِّمون الجهاد، ويقع أغلب معتنقيها بإيران وقليل بالعراق، وسوريا، وفلسطين، ولبنان، ويقدر عددهم اليوم بنحو مليونين في الولايات المتحدة وحدها.[٣٧٠] وهناك من ادَّعى أنَّه صحابي رأى النبيَّ ﷺ كالمعمر المشهور، والرتن الهندي، وغيرهم.

وما تزال تلك دعواهم حتى يخرج الله آخرهم الدَّجَّال، فعن سَمُرَة بن جندب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **"إنَّه لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذَّابًا آخرهم الأعور الدَّجَّال"**.[٣٧١]

[٣٦٩] - صدر في مصر قرار جمهوري رقم (٢٦٣) لسنة ١٩٦٠م بإغلاق محافلهم وهي أماكن عبادتهم.
[٣٧٠] - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/ ٤٠٩- ٤١٥) (مختصرًا) – د.مانع بن حماد الجهني)
[٣٧١] - رواه أحمد في مسنده (١٩٣١٨).

## ١٠- ظهور الفتن وعموم شرها:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: نادى منادي رسول الله ﷺ الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال ﷺ: **"إنَّه لم يكن نبيٌّ قبلي إلا كان حقًا عليه أن يدلَّ أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وأنَّ أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها وتجيء الفتنة فيرقِّق بعضها بعضًا، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه، فمن أحبَّ أن يُزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر"**.[٣٧٢] قال الإمام النووي في شرح الحديث: رويت لفظة (يرقق) في الحديث على أوجه:

**الوجه الأول:** هو الذي نقله القاضي عياض عن جمهور الرواه: **"يُرَقِقُ"** (بضم الياء، وفتح الراء، وبقافين): أي يصير بعضها رقيقًا أي خفيفًا لعظم ما بعده، فالثاني يجعل الأول رقيقًا، وقيل معناه: يشبه بعضها بعضًا، وقيل: يدور بعضها في بعض ويذهب ويجيء، وقيل معناه: يسوق بعضها إلى بعض بتحسيها وتسويئها.

[٣٧٢] - رواه مسلم في صحيحه (٣٤٣١)، والنسائي في سننه (٤١٢٠)، وابن ماجة في سننه (٣٩٤٦)، وأحمد في مسنده (٦٥٠٣)..

**الوجه الثاني: "يَرْفُقُ"** (بفتح الياء، وسكون الراء، بعدها فاء وقاف) من المرافقة والصحبة والالتحاق.

**الوجه الثالث: "يَدْفِقُ"** (بفتح الياء، والدال المهملة الساكنة، والفاء المكسورة) أي: يدفع ويصب، والدفق: الصب.[٣٧٣]

وعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"بادِروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا"**.[٣٧٤] قال العلقمي في معنى الحديث أنَّه يدعو إلى المبادرة بالأعمال الصالحة قبل تعذرها والانشغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتراكمة كتراكم الليل المظلم غير المقمر، ووصف النبيُّ ﷺ نوعًا من شدائد تلك الفتن وهو أن يمسي مؤمنًا ثم يصبح كافرًا أو عكسه. شك الراوي وهذا لعظم الفتن ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب، والله أعلم.[٣٧٥] وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"إنَّ بين يدي الساعة فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي**

[٣٧٣] - صحيح مسلم بشرح النووي.
[٣٧٤] - رواه مسلم في صحيحه (١٦٩)، والترمذي في سننه (٢١٢١)، وأحمد في مسنده (٧٦٨٧، ٨٤٩٣).
[٣٧٥] - صحيح مسلم بشرح النووي.

**مؤمنًا ويصبح كافرًا، القاعد فيها**[376] **خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فإن دخل على أحدكم فليكن كخير ابني آدم"**،[377] وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"ستكون فتنٌ القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي**[378]**، ومن يُشْرِف**[379] **بها تستشرفه**[380] **ومن وجد ملجأً أو مَعَاذًا**[381] **فليعذ به**[382]**"**.[383]

قال النووي: رُويت **"تشرف"** على وجهين مشهورين: أحدهما: **"تَشَرَّفُ"** (بفتح المثناة فوق الشين والراء)، والثاني: **"تُشْرِفُ"** (بضم الياء وإسكان الشين وكسر الراء)، وهما من الإشراف للشيء وهو من الإشراف للشيء وهو الانتصاب والتطلع إليه والتعرض له، ومعنى تستشرفه تقلبه وتصرعه، وقيل: هو من الإشراف بمعنى الإشفاء على الهلاك ومنه أشفى المريض على الموت وأشرف،[384] وقال ابن حجر في "الفتح" في معنى الحديث: إنَّ الساعي هو من

---

[376] - القاعد فيها: التارك لها المبتعد عنها.

[377] - رواه أبو داود في سننه (٣٧١٥)، وابن ماجة في سننه (٣٩٥١)، وأحمد في مسنده (١٨٨٩٧)، والحاكم في المستدرك، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٠٤٥).

[378] - الساعي فيها أو إليها: المشارك فيها.

[379] - يستشرف: يتعرض ويتطلع.

[380] - تستشرفه: تهلكه بأن يُشرف منها على الهلاك.

[381] - مَعَاذ: مأوى للحماية.

[382] - يعذ به: يحتمي به.

[383] - رواه البخاري في صحيحه (٣٣٣٤، ٦٥٥٥)، ومسلم في صحيحه (٥١٣٦، ٥١٣٧)، وأحمد في مسنده (٧٤٦٤) عن أبي هريرة ﷺ.

[384] - صحيح مسلم بشرح النووي.

يتسبب فيها، والماشي هو من يمشي بأسبابها، والقائم هو المباشر لها، والقاعد هو الناظر ولا يقاتل، والمضطجع هو المتجنب لها غير الناظر ولا المباشر، وقد جاء في الحديث أنَّ اللسان في الفتن أشد من وقع السيف، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **"ستكون فتنةٌ تستنطفُ[٣٨٥] العرب قتلاها في النار، اللسان فيها أشد من وقع السيف"**.[٣٨٦]

قال صاحب "تحفة الأحوذي"[٣٨٧] : تستنطف العرب أي تستوعبهم هلاكًا، ويُقال: استنطفت الشيء إذا أخذته كله، ومنه قولهم استنطفت الخراج أي جمعته، أما قوله **"في النار"** فلأنَّهم يباشرون ما يوجب دخولهم النار. قال القاضي: المراد بقتلاهم من قتل في تلك الفتنة، وإنَّما هم من أهل النار لأنَّهم ما قصدوا بتلك المقاتلة والخروج إليها إعلاء دينٍ أو دفع ظلمٍ أو إعانة محقٍّ، وإنَّما كان قصدهم التباهي والتشاجر طمعًا في المال والملك.[٣٨٨] قال القرطبي في معنى

---

[٣٨٥] - تستنطف: ترمي، من نطف الماء أي قطر.

[٣٨٦] - رواه أبو داود في سننه (٣٧٢١)، وابن ماجة في سننه (٣٩٥٧)، والترمذي في سننه (٢١٠٤)، قال الترمذي: حديث غريب.

[٣٨٧] - أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى ولد ببلدة مباركفور ونشأ بها، فختم القرآن، وعدّة رسائل باللغة الأوردية والفارسية وقرأ العلوم العربية والمنطق والفلسفة والهيئة والفقه وأصول الفقه على علماء كثيرين، ثم ارتحل وطاف البلاد، ودرس العلوم، وتوفي بمباركفور عام (١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م)، من أهم مؤلفاته: تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، مقدمة تحفة الأحوذي. وهو غير صفي الرحمن المباركفوري صاحب الرحيق المختوم الذي عاش في الفترة (١٩٤٣م- ٢٠٠٦م).

[٣٨٨] - تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي.

الحديث: إنَّ الفتنة تستنطف قتلاها في النار أي ترميهم فيها لاقتتالهم على الدنيا واتباعهم الشيطان والهوى، وقيل في معنى قوله ﷺ: **"اللسان فيها أشد من وقع السيف"** أي بالكذب عند أئمة الجور ونقل الأخبار إليهم فربما ينشأ عن ذلك من النهب، والقتل، والجلد، والمفاسد العظيمة أكثر مما ينشأ عن وقوع الفتنة نفسها،[٣٨٩] وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"ستكون فتنةٌ صماءُ بكماءُ عمياءُ من أشرف لها استشرفت له، وإشراف اللسان فيها كوقع السيف"**.[٣٩٠]

وقد أخبر النبيُّ ﷺ بدخول الفتن وعمومها كلَّ بيتٍ، فقال ﷺ : **"فتنة لا يبقى بيتٌ من العرب إلا دخلته"**،[٣٩١] وهي فتنٌ دخلت كلَّ بيت بما يُبثُّ اليوم عبر الأطباق الفضائية ووسائل الاتصال من مجون وفساد، وكذب، ونشر الرذائل والسفور، ومحاربة الدين ليل نهار..

وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **"لم يبقَ من الدنيا إلا بلاء وفتنة"**.[٣٩٢] وما نراه اليوم من الفتن واضحًا جليًا لا يخفى على أحدٍ في

---

[٣٨٩] - التذكرة (ص٥٩٨) للقرطبي.
[٣٩٠] - رواه أبو داود في سننه (٣٧٢٠)، وانفرد به.
[٣٩١] - رواه البخاري في صحيحه (٢٩٤٠)، وابن ماجة في سننه (٤٠٣٢)، وأحمد في مسنده (٢٢٨٧١)، والطبراني في المعجم الكبير، واللفظ للبخاري.
[٣٩٢] - رواه ابن ماجة في سننه (٤٠٢٥) وانفرد به، وصححه الألباني.

زمن غربة الدين وضيعة الأخلاق والقيم التي يرسِّخها الدين الحنيف، المستمسكون فيها بدين الله قليل من قليل، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: **"يأتي على الناس زمان الصابر فيه على دينه كالقابض على الجمر"**.[٣٩٣]

ومن الأسباب الرئيسة لانتشار الفتن التنافس على الدنيا وملذاتها، والابتعاد عن شرع الله تعالى والإعراض عن أوامره ونواهيه، وهذا ما حذرنا منه رسول الله ﷺ فقال: **"فوالله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تُبْسَطَ عليكم الدنيا كما بُسطت على مَنْ كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم"**،[٣٩٤] وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: أنَّ النبيَّ ﷺ جلس ذات يومٍ على المنبر وجلسنا حوله فقال ﷺ: **"إنِّي مما أخاف عليكم من بعدي ما يُفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها"**، فقال رجلٌ: يا رسول الله، أويأتي الخيرُ بالشرِّ؟! فسكتَ النبيُّ ﷺ، فقال له: ما شأنُكَ تُكَلِّمُ النبيَّ ﷺ ولا يكلمكَ؟ فرأينا أنَّه يُنْزَلُ عليه[٣٩٥]، قال: فمسح عنه الرُّحَضَاء[٣٩٦] فقال ﷺ: **"أين السائلُ؟"** وكأنه حَمِدَهُ[٣٩٧] فقال ﷺ: **"إنَّه لا يأتي الخيرُ بالشرِّ وإنَّ مما يُنبِتُ الربيعُ**

---

[٣٩٣] - رواه الترمذي في سننه (٢١٨٦) عن أنس ﷺ، وانفرد به، وقال: حديث غريب.

[٣٩٤] - رواه البخاري في صحيحه (٢٩٢٤)، ومسلم في صحيحه (٥٢٦١)، والترمذي في سننه (٢٣٨٦)، وابن ماجة في سننه (٣٩٨٧)، وأحمد في مسنده (١٦٥٩٩).

[٣٩٥] - أي يُوحى إليه.

[٣٩٦] - الرحضاء: العرق الغزير.

[٣٩٧] - حمده: أثنى عليه.

**يَقْتُلُ أو يُلَمُّ إلا آكلة الخضراء[398] أكلتْ حتى إذا امتدتْ خاصرتاها[399] استقبلتْ عينَ الشمس فثَلَطَتْ[400]، وبالتْ، ورتعتْ، وإنَّ هذا المالَ خَضِرَةٌ حُلوَةٌ فنعم صاحبُ المسلم ما أعطى منه المسكين، واليتيمَ، وابنَ السبيل، وإنَّه من يأخذُهُ بغير حقِّهِ كالذي يأكلُ ولا يشبعُ ويكون شهيدًا عليه يوم القيامة".**[401]

## ١١- تمني الموت:

نتيجة لانتشار الفتن وعموم شرِّها زاد البلاء وتكدَّر صفو الحياة حتى يتمنَّى الناس الموت، وهذا ما نسمعه كثيرًا على ألسنة العامة: "يا ليتني أموت فأستريح" أو يُقال للميت: "مات فاستراح".. فعن أبي هريرة ﵁ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **"لا تقوم الساعة حتى يمرَّ الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه".**[402] وعنه ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **"والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى**

---

[398] - الماشية.

[399] - امتدت خاصرتاها أي شبعت، والخاصرة في الإنسان هي ما بين رأس الورك وأسفل الأضلاع.

[400] - ثلطت: ألقت ما في بطنها من فضلات سهلاً لينًا.

[401] - رواه البخاري في صحيحه (١٣٧٢)، ومسلم في صحيحه (١٧٤٢، ١٧٤٣، ١٧٤٤)، والنسائي في سننه (٢٥٣٤)، وابن ماجة في سننه (٣٩٨٥)، وأحمد في مسنده (١٠٦١١، ١٠٧٣٠، ١١٤٣٣).

[402] - رواه البخاري في صحيحه (٦٥٨٢)، ومسلم في صحيحه (٥١٧٥)، أحمد في سننه (٤٠٢٧)، وأحمد في مسنده (٦٩٢٩، ١٠٤٤٦)، ومالك في الموطأ (٥٠٨).

**يمرَّ الرجل على القبر فيتمرَّغ عليه، ويقول: يا ليتني كنتُ مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدين إلا البلاء".**[403]

قال الحافظ ابن حجر في "الفتح": **"حتى يمرَّ الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه"**. أي: كنتُ ميتًا.

وقال القرطبي: وكان هذا إشارة إلى كثرة الفتن، وشدة المحن، والمشقات، والأنكاد اللاحقة للإنسان في نفسه وماله وولده، قد أذهب الدين منه، ومن أكثر الناس أو قلة الاعتناء به من الذي يتمسك بالدين عند هجوم الفتن، وكذلك عظم قدر العبادة في حالة الفتن.[404]

وقال ابن مسعود ﷺ: سيأتي عليكم زمانٌ لو وجد أحدكم الموت يُباع لاشتراه، وكما قيل:

| | |
|---|---|
| **وهذا العيش ما لا خيرَ فيه** | **ألا موتٌ يُباع فأشتريه**[405] |

[403] - رواه مسلم في صحيحه (٥١٧٦)، ابن ماجة في سننه (٤٠٢٧)، وصححه الألباني.
[404] - التذكرة (ص٦٠٤) للقرطبي.
[405] - فيض القدير (٦/ ٤١٨) للمناوي.

قال صاحب "أشراط الساعة": وتمنِّي الموت يكون عند كثرة الفتن وتغير الأحوال وتبديل شرع الله وهذا إن لم يكن وقع فهو واقعٌ لا محالة.

قال ابن بطال[406] : تغبط أهل القبور وتمني الموت عند ظهور الفتن إنَّما هو خوف ذهاب الدين بغلبة الباطل وأهله وظهور المعاصي والمنكر.[407]

وليس هذا عامًا في حقِّ كلِّ أحدٍ وإنما هو خاص بأهل الخير، وأما غيرهم فقد يكون لما يقع أحدهم من المصيبة في نفسه أو أهله أو دنياه وإن لم يكن في ذلك شيء يتعلق بدينه، ويؤيده ما رواه أبو هريرة ﷺ عند مسلم من حديث رسول الله ﷺ: **"وليس به الدِّين إلا البلاء"**، وذكر الرجل في الأحاديث للغالب لأنَّ المرأة يُتصوَّر فيها ذلك أكثر.

قال ابن عبد البر[408] : ظنَّ بعضهم أنَّ هذا الحديث معارض للنهي عن تمني الموت، وليس كذلك وإنما في هذا أن القدر سيكون لشدة تنزل بالناس من

---

[406] - أبو الحسن علي بن خلف بن عبدالملك بن بطال البكري القرطبي يُعرف بابن اللجام عالم بالحديث النبوي من كبار علماء المالكية. ألف ابن بطال كتاب شرح صحيح البخاري. قال القاضي عياض: عنه: كان نبيلا جليلا. توفي عام ٤٤٩هـ.

[407] - فتح الباري لابن حجر.

[408] - أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي القرطبي المالكي. كان أعلم أهل زمانه فقيهًا حافظًا عالمًا بالقراءات وعلوم الحديث ورجاله. وضع مؤلفات كثيرة منها: "الاستيعاب"، و"بهجة المجالس". ولد عام ٣٦٨هـ، وتوفي عام ٤٦٣هـ.

فساد الحال في الدين، أو ضعفه، أو خوف ذهابه، لا لضرر ينزل في الجسم، بمعنى أنَّ النهي عن تمني الموت هو حيث يتعلق بضرر الجسم، وأما إذا كان لضرر يتعلق بالدين فلا، فقد ثبت تمني الموت عند فساد أمر الدين عن جماعة من السلف. قال النووي: لا كراهة في ذلك بل فعله خلائق من السلف منهم عمر بن الخطاب، وعابس الغفاري[٤٠٩]، وعمر بن عبد العزيز ﷺ، والأشهر في ذلك قول عمر بن الخطاب ﷺ: "اللهم كبرتْ سنِّي، وضعفتْ قوتي، وانتشرتْ رعيتي، فاقبضني إليكَ غير مضيِّعٌ ولا مفرِّطٌ".[٤١٠]

أما كراهية تمني الموت فتقع لما يصيب الإنسان في جسده من بلاء، أو في أمر دنياه، كما قال النبيُّ ﷺ: **"لا يتمنين أحدُكُم الموتَ: إمَّا محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا، وإمَّا مسيئًا فلعله أن يستعتب[٤١١]"**،[٤١٢] وقال: ﷺ: **"لا يتمنين أحدُكُم الموتَ ولا يدعُ به من قبل أن يأتيه، إنَّه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنَّه لا يزيد المؤمنَ عمرُهُ إلا خيرًا"**،[٤١٣] **وقال** ﷺ: **"لا تمنوا الموت فإنَّ هول المطلع**

---

[٤٠٩] - روى أحمد في مسنده أن عابس الغفاري ﷺ قال: يا طاعون خذني! فقال له عليم الكندي: لم تقول هذا؟ ألم يقل رسول الله ﷺ: **"لا يتمنين أحدكم الموت.."**، فقال: إني سمعته يقول: **"بادروا بالموت ستًّا، امرة السفهاء، كثرة الشرط، وبيع.."**(الحديث).

[٤١٠] - البداية والنهاية لابن كثير.

[٤١١] - استعتب: طلب العتبى وهو الرضا، وذلك لا يحدث إلا بالتوبة.

[٤١٢] - رواه البخاري في صحيحه، وأحمد في مسنده عن أبي هريرة ﷺ.

[٤١٣] - رواه مسلم في صحيحه، وأحمد في مسنده عن أبي هريرة ﷺ.

شديد، **وإنَّ من السعادة أن يطول عمر العبد حتى يرزقه الله الإنابة"**،[٤١٤] وقال: ﷺ: **"لا يتمنين أحدكم الموت لضرٍّ نزل به، فإنْ كان لابد متمنيًّا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفَّني إذا كانت الوفاة خيرًا لي"**،[٤١٥] وقال: ﷺ: **".. وإذا أردتَ بالناسِ فتنة فاقبضني إليكَ غير مفتون"**.[٤١٦]

وعلى هذا فلا يجوز تمني الموت إلا حال خوف الفتنة، فالموت كما قال العلماء ليس بعدمٍ محضٍ ولا فناءٍ صرفٍ، لكنَّه انقطاعُ تعلق الروح بالبدن، ومفارقته، وتبدلُ حالٍ، وانتقالُ من دارٍ إلى دارٍ.[٤١٧]

## ١٢- ظهور موت الفجأة:

عن أنس رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ: **"وأن يظهر موت الفجأة"**،[٤١٨] وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة: إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة، وأضاعوا الأمانة، وأكلوا الربا، واستحلوا الكذب، واستخفوا بالدماء، واستعلوا البناء، وباعوا الدين بالدنيا، وتقطَّعت الأرحام،**

---

[٤١٤] - رواه أحمد في مسنده، والبزار في مسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال إسناده حسن.

[٤١٥] - رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أنس رضي الله عنه.

[٤١٦] - رواه رواه مالك في الموطأ، والبزار في مسنده عن ثوبان رضي الله عنه.

[٤١٧] - التذكرة للقرطبي.

[٤١٨] - رواه الدارقطني، وأبو داود الطيالسي، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٢٩٠)، وتمام الحديث: " **من اقتراب الساعة أن يُرى الهلال قبلاً فيُقال: لليلتين، وأن تتخذ المساجد طرقًا، وأن يظهر موت الفجأة** ".

**ويكون الحكم ضعفًا، والكذب صدقًا، والحرير لباسًا، وظهر الجور، وكثر الطلاق، وموت الفجأة**..- وذكر باقي الخصال**"**.[419]

وكثيرًا ما أصبحنا نعاين في زماننا موت الفجأة والذي يسميه الطبُّ الحديث بالسكتة القلبية، وكم من شابٍ وشابةٍ ماتا أثناء النوم، أو في الطريق، أو في العمل، أو في اللهو.. وقد سُئل رسول الله ﷺ عن موت الفجأة فقال ﷺ: **"راحةٌ للمؤمن، وأخذةُ أسفٍ للفاجر"**.[420] يقول العلماءُ: الموت من أعظم المصائب، وقد سماه الله مصيبة في قوله: ﴿..**فَأَصَـٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ**..﴾ (المائدة: ١٠٦)، وقالوا: وأعظم منه الغفلة عنه، والإعراض عن ذكره، وقلة التفكير فيه، وترك العمل له، وقد سُئل النبيُّ ﷺ: أيُّ المؤمنين أكيس[421]؟ قال ﷺ: **"أكثرهم للموت ذكرًا، وأحسنهم لما بعده استعدادًا، أولئك الأكياس"**.[422]

---

[419] - رواه أبو نعيم، وانظر التذكرة (ص٦٦٩) للقرطبي.

[420] - رواه أحمد في مسنده (٢٣٨٩١) عن عائشة رضي الله عنها، وانفرد به، وروى أحمد في مسنده (١٤٩٤٩، ١٤٩٥٠، ١٧٢٤٥)، وأبو داود في سننه (٢٧٠٣) عن عبيد بن خالد ﷺ عن النبي ﷺ قال"موت الفجأة أخذة أسف".

[421] - الكيس: الفطن الذكي.

[422] - حديث حسن رواه ابن ماجة في سننه (٤٢٤٩)، والحاكم في مستدركه وصححه ووافقه الذهبي.

## ١٣ - صدق رؤيا المؤمن:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا، ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءًا من النبوة"**.[٤٢٣]

قال ابن أبي جمرة[٤٢٤] : معنى كون رؤيا المؤمن في آخر الزمان لا تكاد تكذب أنَّها تقع غالبًا على الوجه الذي لا يحتاج إلى تعبير فلا يدخلها الكذب، بخلاف ما قبل، فإنَّها قد يخفى تأويلها فيعبرها العابر فلا يقع كما قال، فيصدق دخول الكذب فيها بهذا الاعتبار. وقال: والحكمة في اختصاص ذلك بآخر الزمان أنَّ المؤمن في ذلك الوقت يكون غريبًا كما في الحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ **"بدأ الإسلام غريبًا وسيعودُ غريبًا"**.[٤٢٥] فيَقِلُّ أنيس

---

[٤٢٣] - جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه (٤٢٠٠)، وأبو داود في سننه (٤٣٦٥)، والترمذي في سننه (٢١٩٦)، والدارمي في سننه (٢٠٥١)، وفي رواية لأبي هريرة ﷺ عند البخاري في صحيحه (٦٤٩٩) بنصِّه بزيادة: **"وما كان من النبوة فإنَّه لا يكذب"**، وعند الترمذي في سننه (٢١٩٦) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجة في سننه (٣٨٨٤، ٣٩٠٧)، وأحمد في مسنده (٦٨٨٦، ٨٤٦٣، ٩٢٧٩): **"ستة وأربعين جزءًا من النبوة"**، وفي رواية لأبي هريرة ﷺ عند أحمد في مسنده (٦٨٧١): **"جزء من سبعين جزءًا من النبوة"** .

[٤٢٤] - نصر بن عمران الضبعي البصري، أحد الأئمة الثقات. حدث عن ابن عباس، وابن عمر رضي الله عنهما، وحدث عنه أيوب السختياني ومعمر، وشعبة، وإبراهيم بن طهمان، وآخرون. استصحبه معه الأمير يزيد بن المهلب إلى خراسان، فأقام بها مدة، ثم رجع إلى البصرة. قال ابن سعد: أبو جمرة ثقة. مات في ولاية يوسف بن عمر بالعراق، وقال غيره: مات بسرخس في آخر سنة سبع وعشرين ومائة، ويقال: سنة ثمان وعشربن ومائة.

[٤٢٥] - رواه مسلم في صحيحه (٢٠٨)، وابن ماجة في سننه (٣٩٧٦)، وأحمد في مسنده (٨٦٩٣).

المؤمن ومعينه في ذلك الوقت فيُكرَمُ بالرؤيا الصادقة. قال: ويمكن أن يؤخذ من هذا سبب اختلاف الأحاديث في عدد أجزاء النبوة بالنسبة لرؤيا المؤمن فيُقال: كلما قرب الأمر وكانت الرؤيا أصدق حمل على أقل عدد ورد وعكسه وما بين ذلك.[٤٢٦] قال ابن حجر في "الفتح": في معنى قوله ﷺ: **"إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب"**: إذا كان المراد باقتراب الزمن آخر الزمان ثلاثة أقوال:

**أحدهما**: أنَّ العلم بأمور الديانة لما ذهب غالبه بذهاب غالب أهله وتعذَّرت النبوة في هذه الأمة عُوضوا بالمرأى الصادقة ليجدد لهم ما قد درس من العلم.

**الثاني**: أنَّ المؤمنين لما يقل عددهم ويغلب الكفر والجهل والفسق على الموجودين يُؤنس المؤمن ويُعان بالرؤيا الصادقة إكرامًا له وتسلية.

وعلى هذين القولين لا يختص ذلك بزمان معين بل كلما قرب فراغ الدنيا وأخذ أمر الدين في الاضمحلال تكون رؤيا المؤمن الصادق أصدق.

[٤٢٦] - مختصر ابن أبي جمرة على صحيح البخاري لمحمد بن علي الشافعي الشنواني – مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

الثالث: أنَّ ذلك خاص بزمان عيسى ابن مريم عليه السلام، والله تعالى أعلم.[427]

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال في تفسير كلمة (**ٱلْبُشْرَىٰ**) في قوله تعالى: ﴿ **لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ** ..﴾ (يونس: ٦٤) أنَّها: "**الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له**"،[428] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**لم يبقَ من النبوة إلا المبشرات**"، قالوا: وما المبشرات؟ قال صلى الله عليه وسلم "**الرؤيا الصالحة**"،[429] وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**إنَّه لم يبقَ من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة**".[430] قال صاحب "عون المعبود": (**لم يبقَ من مبشرات النبوة**) أي من أول ما يبدو منها، مأخوذ من تباشير الصبح وهو أول ما بُدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي، وفيه أنَّ الرؤيا من المبشرات سواء رآها المسلم (**أو تُرى له**) على صفة المجهول، أي رآها غيره له.[431] وقال السندي: (**إلا الرؤيا الصالحة**) كأن المراد أنَّها لم تبقَ على العموم وإلا فالإلهام والكشف للأولياء موجود،[432] وقال: (**من مبشرات النبوة**) (بكسر

---

[427] - فتح الباري على صحيح البخاري (١٤/ ٤٣٩، ٤٤٠) لابن حجر.

[428] - رواه الترمذي في سننه (٢١٩٩)، وقال: حديث حسن، وراه ابن ماجة في سننه (٣٨٨٨) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، ومالك في الموطأ (١٥٠٦) عن عطاء بن يسار مرسلاً.

[429] - رواه البخاري في صحيحيه (٦٤٧٥)، وأبو داود في سننه (٤٣٦٣)، وأحمد في مسنده (٧٩٦٢)، ومالك في الموطأ (١٥٠٥)، واللفظ للبخاري.

[430] - رواه مسلم في صحيحه (٧٣٨)، والنسائي في سننه (١٠٣٥)، وأبو داود في سننه (٧٤٢)، وابن ماجة في سننه (٣٨٨٩)، وأحمد في مسنده (١٨٠١)، والدارمي في سننه (١٢٩١).

[431] - عون المعبود شرح سنن أبي داود.

[432] - شرح سنن ابن ماجة للسندي.

الشين) أي مما يظهر للنبي ﷺ من المبشرات حالة النبوة ما اشتمل على الخبر السار من وحي وإلهام ورؤيا ونحوها، ولا يخفى أنَّ الإلهام للأولياء أيضًا باقٍ فكأنَّما المراد: لم يبقَ في الغالب إلا الرؤيا الصالحة **(يراها المسلم)** أي المُبشَّر بها أو يرى غيره لأجله، وكان النبيُّ ﷺ في مرض موته فخرج من حجرته وكشف الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر رضي الله عنه فقال ﷺ: **"أيُّها الناس إنَّه لم يبقَ من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة"** (الحديث).[٤٣٣]

## ١٤- عزوف الناس عن الطاعات وقلة الاستعداد للآخرة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: **"يتقارب الزمان ويَنْقُصُ العمل، ويُلقَى الشحُّ، وتظهر الفتنُ، ويكثرُ الهَرْجُ"**، قالوا: يا رسول الله، أَيُّما هو؟ قال ﷺ: **"القتل القتل"**.[٤٣٤]

وقع (العمل) في رواية البخاري وحده بينما هي (العلم) في باقي الروايات، ويظهر العزوف عن الطاعة والعبادة في قلة ونقص العمل، وكذلك تصبح العبادة عادة لا تحمل خشوعًا أو انكسارًا لله وبذلك يفقد العمل مضمونه،

[٤٣٣] - شرح سنن النسائي للسندي.

[٤٣٤] - رواه البخاري في صحيحه(٧٠٦١)، واللفظ له، ورواه مسلم في صحيحه (٤٨٢٧)، وأحمد في مسنده (٩١٦٢) بلفظ: **"يُقبض العلم"**، ورواه أبو داود في سننه (٣٧١٣)، وابن ماجة في سننه (٤٠٤٢) بلفظ: **"ينقص العلم"**.

ويضيعُ العلم والتدبر، فعن أبي الدرداء ﷺ قال: كُنَّا مع رسول الله ﷺ فشخص ببصره إلى السماء، ثم قال: **"هذا أوان يُختلسُ العلمُ من الناس حتى لا يقدرون على شيءٍ منه"**. فقال زياد بن لبيد الأنصاري[435] ﷺ: كيف يُختلسُ منا ونحن قد قرأنا القرآن فوالله لَنَقْرَأَنَّهُ ولَنُقْرِئَنَّهُ نساءَنا وأبناءَنا؟! فقال ﷺ: **"ثكلتكَ أمُّكَ يا زياد، إن كنتُ لأعدُّكَ من فقهاء أهل المدينة، وهذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغني عنهم؟"**. قال جبير: فلقيت عبادة بن الصامت، فقلتُ: ألا تسمع ما يقول أخوكَ أبو الدرداء؟ فأخبرته بالذي قال أبو الدرداء ﷺ، قال: صدق أبو الدرداء، إن شئتَ لأحدِّثَنَّكَ بأولِ علمٍ يُرفع من الناس، الخشوع، يوشك أن يدخل الرجل مسجد جماعة فلا يرى فيه رجلاً خاشعًا.[436]

[435] - زِيَاد بن لَبِيد الأنصاري الخزرجي البياضي ﷺ ، يكنى أبا عبد الله صحابي جليل، شهد بيعة العقبة الثانية، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق وباقي المشاهد، استعمله النبي ﷺ على حضرموت، وشارك في حروب الردة، روَى عن النبي حديثًا في رَفْع العلم، وتوفي في أول خلافة معاوية عام ٤١هـ.

[436] - رواه الترمذي في سننه (٢٥٧٧)، والدارمي في سننه (٢٩٠)، وقال الترمذي: حديث غريب.

## ١٥- ترك الصلاة:

الصلاة صلة بين العبد وربِّه، وكل أحكام الدين قد تُرفع عن الإنسان لعذرٍ ما عدا الصلاة؛ لأنَّها الصلة الوثيقة الدائمة بين العبد وربِّهِ، فالحج لمن استطاع إليه سبيلاً، فمن لم يستطع فليس عليه حرج، والزكاة تسقط عمن لم يبلغ نصابها، والصوم يسقط عن المسافر، والمريض، وصاحب العذر فيؤديه في أيامٍ أُخَر أو يطعم عن كل يومٍ مسكين إذا عجز لسن أو مرض، لكن الصلاة لا تسقط بالمرض، أو الفقر، ولا السفر، ولا القتال، والإنسان إن لم يستطع الصلاة قائمًا يصلي جالسًا أو راقدًا، ويصلي حتى لو لم يكن قادرًا على تحريك يديه وقدميه، فالصلاة هي أساس حياة المؤمن لا يتركها أبدًا.[٤٣٧]

وفي آخر الزمان تُنسى الصلاة ويُؤَذِّنُ الله أكبر والناس لاهون في أمور الدنيا فلا يقوم أحدٌ إليها،وكأنَّ المؤذن ينادي على موتى، وصدق رسول الله ﷺ إذ قال: **"لَيُنْقَضَنَّ عُرى الإسلام عُروةً عُروةً، فكلما انتقضت عروةٌ تشبثَ الناسُ بالتي تليها، وأولهن نقضًا الحكم، وآخرهن الصلاة"**.[٤٣٨] وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **"من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون**

[٤٣٧] - علامات القيامة الصغرى (ص٢١، ٢٢) للشيخ الشعراوي (مختصرًا).

[٤٣٨] - رواه أحمد في مسنده (٢١١٣٩)، وابن حبان في صحيحه (٦٧١٥)، والحاكم (٤/ ١٠٤)، والطبراني في الكبير عن أبي أمامة الباهلي ﷺ، وقال: الإسناد كله صحيح ولم يخرجاه، وقال الأرناؤوط: إسناده قوي.

**خصلة: إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة**- ذكر بقيتهمن -..".[439] وقال ابن مسعود ﷺ: "أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما يبقى من دينكم الصلاة، وليصلين قومٌ لا دين لهم".[440] بمعنى أنها لم تعد موجودة في حياتهم، فالميت يخرج من الحياة الدنيا، وكذلك الصلاة تخرج من حياة الناس في آخر الزمان، والميت يصبح نسيًا منسيًا، مصداقًا لقوله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام لما قالت: ﴿ ..**قَالَتْ يَلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا** ﴾ (مريم: ٢٣).[441]

## ١٦- هجر المساجد واتخاذها طرقًا:

من علامات الساعة الصغرى التي وقعت في زماننا أنَّ الناس يمرُّون بالمساجد فلا يصلُّون فيها، فالمساجد كثير تشكو إلى الله قلة عُمَّارها، قال رسول الله ﷺ - في أشراط الساعة-: **"وأن تُتَخَذَ المساجدُ طُرقًا"**،[442] وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "كان يُقال: إنَّ من أشراط الساعة أن تُتَخذَ المساجد

[439] - رواه أبو نعيم، انظر التذكرة (ص٦٦٩) للقرطبي.
[440] - جزء من حديث موقوف رواه الطبراني بهذا اللفظ عن عبد الله بن مسعود ﷺ، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٣٣)، وقال: ورجال الطبراني رجال الصحيح غير شدَّاد بن معقل وهو ثقة، ورواه الحاكم في المستدرك مختصرًا، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
[441] - علامات القيامة الصغرى (ص٢١) للشيخ الشعراوي.
[442] - رواه أبو داود الطيالسي عن أنس ﷺ، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٢٩٢).

طرقًا، وأن يسلِّمَ الرجلُ على الرجل بالمعرفة.."،[443] وعن حذيفة بن اليمان الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **"من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة:** -ذكر منهن-: **واتخاذ القرآن مزامير، والمساجد طرقًا، ولعن أول هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء، وخسفًا، ومسخًا، وقذفًا، وآيات"**،[444] وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"من اقتراب الساعة أن يُرى الهلالُ قبلاً[445] فيُقال: لليلتين، وأن تُتخذَ المساجدُ طرقًا، وأن يظهر موت الفجأة"**.[446] وعن ابن مسعود ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **"إنَّ من أشراط الساعة أن يمرَّ الرجلُ بالمسجد لا يصلي فيه ركعتين"**.[447]

## ١٧- ارتفاع الأصوات في المساجد:

عن عليٍّ بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"إذا فعلت أمتي خمسَ عشرةَ خصلة حلَّ بها البلاء"**، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال ﷺ: **"إذا كان المغنم دولاً[448]، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا[449]، وأطاع الرجلُ زوجته وعقَّ**

[443] - رواه أبو داود الطيالسي، وهو حديث موقوف على عبد الله بن مسعود ﷺ، ويعد موقوف لفظًا مرفوع عن النبيِّ ﷺ معنى.
[444] - رواه أبو نعيم، انظر التذكرة (ص٦٦٩، ٦٧٠) للقرطبي.
[445] - أي معاينة، وقد سبق ذكر هذه الآية.
[446] - رواه الدار قطني في سننه.
[447] - رواه ابن خزيمة في صحيحه.
[448] - دولاً: أي متداولاً.
[449] - المغرم: الدين الذي يعجز عن أدائه.

أَمَّهُ، وبرَّ صديقه وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد..- فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء، أو خسفًا، أو مسخًا"[٤٥٠]- وفي رواية لأبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا اتُّخذ الفيءُ دولاً، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وتُعُلِّم لغير الدين، وأطاع الرجل امرأته وعقَّ أمَّهُ، وأدنى صديقه وأقصى أباه، وظهرت الأصوات في المساجد.. فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء، أو زلزلة، وخسفًا، ومسخًا، وقذفًا، وآيات متتابعات كنظامٍ بالٍ قطعه سلكه فتتابع"،[٤٥١] وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة: "إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة، وأضاعوا الأمانة، وأكلوا الربا، ..وقال ﷺ: وعلت أصوات الفسقة في المساجد، واتُّخذت القينات[٤٥٢] والمعازف، وشُربت الخمور في الطرق، واتُّخذ الظلم فخرًا، وبيع الحكم، وكثر الشرط،واتخذ القرآن مزامير، وجلود السباع صفاقًا[٤٥٣]، والمساجد طرقًا، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء، وخسفًا،

---

[٤٥٠] - رواه الترمذي في سننه (٢١٣٦)، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي برقم (٣٨٦)، وتتمة الحديث: "..**وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجلُ مخافة شرِّه، وشُربت الخمور، ولُبس الحريرُ، واتُّخذت القينات والمعازف، ولعن آخرُ هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء..**"(الحديث).

[٤٥١] - رواه الترمذي في سننه (٢٢١١) وقال: وهذا حديث غريب، ووقد خرجه الشيخ أبو عبد الله الأنصاري في هامش كتاب التذكرة للقرطبي (ص٦٦٧) قال: حديث ضعيف لوجود أحد المجهولين في سنده، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي برقم (٣٨٧).

[٤٥٢] - القينات: المغنيات.

[٤٥٣] - قال الجوهري: الصفاق هو الجلد الرقيق تحت الجلد الذي عليه الشعر.

**ومسخًا، وقذفًا، وآيات"**،[٤٥٤] وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: "خمس أظلتكم؛ من أدرك منهن شيئًا، ثم استطاع أن يموت فليمت: أنْ يظهر التلاعن على المنابر..".[٤٥٥]

وصدق رسول الله ﷺ إذ نرى اليوم ارتفاع الأصوات في المساجد لكثرة الجدل والمراء واللجج بين الناس حتى في المساجد، ويحرم رفع الصوت في المسجد على وجه يشوشُ على المصلين ولو بقراءة القرآن ويستثنى من ذلك درس العلم، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ خرج على الناس وهم يصلون وقد علت أصواتهم بالقراءة فقال ﷺ: **"إنَّ المصلي يناجي ربَّهُ عزَّ وجلَّ فلينظر أحدُكُم بِمَ يناجيه، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن"**،[٤٥٦] كما كره النبيُّ ﷺ أن تُنشد به الضالة أي يُطلب الشيء الضائع أو البيع والشراء، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"من سمع رجلاً ينشد ضالةً في المسجد فليقل: لا ردَّها الله عليكَ فإن المساجد لم تُبنَ لهذا"**،[٤٥٧] وعنه ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **"إذا أردتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا له: لا أربح الله**

---

[٤٥٤] - رواه أبو نعيم، انظر التذكرة (ص٦٦٩، ٦٧٠) للقرطبي.

[٤٥٥] - رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٦٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وتتمة الحديث: **".. ويُعطى مال الله على الكذب والبهتان وسفك الدماء بغير حقٍّ، وتقطع الأرحام ويصبح العبد لا يدري أضالٌ هو أم مهتدٍ"**.

[٤٥٦] - رواه أحمد في مسنده (٥٠٩٦) بسند صحيح، وانفرد به.

[٤٥٧] - رواه مسلم في صحيحه (٨٨٠)، والترمذي في سننه (١٢٤٢)، وابو داود في سننه (٤٠٠)، ابن ماجة (٧٥٩)، وأحمد في مسنده (٨٢٣٣، ٩٠٧٩)، والدارمي في سننه (١٣٦٥).

**تجارتك، وإذا رأيتم من ينشد فيه ضالةً فقولوا: لا رد الله عليك"**،[٤٥٨] وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: "نهى رسول الله ﷺ عن الشراء والبيع في المسجد، وأن تُنشد فيه ضالةٌ، وأن يُنشد في شعرٌ، ونهى عن التحلُّق قبل الصلاة يوم الجمعة".[٤٥٩] قال الترمذي عقب روايته: وقد رُوى عن النبي ﷺ في غير حديث رخصة في إنشاد الشعر في المسجد. قال الحافظ العراقي[٤٦٠] في شرحه: ويجمع بين أحاديث النبيِّ ﷺ وبين أحاديث الرخصة بوجهين:

**الوجه الأول**: أن يُحمل النهي عن التنزيه وتُحمل الرخصة على بيان الحواز.

**الوجه الثاني**: أن تُحمل أحاديث الرخصة على الشعر الحسن المأذون فيه كهجاء المشركين ومدح النبيِّ ﷺ والحث على الزهد ومكارم الأخلاق، ويُحمل

---

[٤٥٨] - رواه الترمذي في سننه (١٢٤٢)، والدارمي في سننه (١٣٦٥)، وحسنه الترمذي.

[٤٥٩] - رواه أبو داود في سننه (٩١١)، والترمذي في سننه (٢٩٦)، والنسائي في سننه (٧٠٧، ٧٠٨)، وابن ماجة في سننه (٧٤١)، واللفظ لأبي داود.

[٤٦٠] - زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي الأصل، المصري الشافعي. شيخ الحديث ولد في (٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م) بمنشيّة المِهراني على شاطيء النيل بمصر، أخذ عن علماء بلده، ثم سافر لطلب الحديث في بلاد الشام وغيرها. وكان كثير الحج والمجاورة بمكة المكرمة. صار حافظ زمانه كما قال عنه أقرانه فكان عالماً بالنحو واللغة والغريب والقراءات والحديث والفقه وأصوله غير أنه غلب عليه فن الحديث فاشتهر به. من مؤلفاته: "تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد"، و"طرح التثريب في شرح التقريب"، وكتاب خرج في أحاديث إحياء علوم الدين وسماه "إخبار الأحياء بأخبار الإحياء"، "كتاب في المراسيل"، و"شرح الترمذي"، و"النقييد والإيضاح في مصطلح الحديث". توفي عام (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م).

النهي عن التفاخر والهجاء والزور وصفة الخمر ونحو ذلك.[461] فالشعر المنهي عنه ما اشتمل على هجو مسلمٍ أو مدح ظالم أو فحش ونحو ذلك، أما ما كان حكمة أو مدحًا للإسلام أو حثًا على برٍّ فإنَّه لا بأس فيه، فقد كان حسان بن ثابت رضي الله عنه[462] ينشد شعرًا أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد.

أمَّا النهي عن التحلق في المسجد قبل صلاة الجمعة، فقد قال الخطابي[463] في تفسيره: إنَّما كره الاجتماع قبل الصلاة للعلم والمذاكرة، وأمر أن يشتغل بالصلاة وينصت للخطبة والذكر، فإذا فرغ منها كان الاجتماع والتحلق بعد

---

[461] - عون المعبود شرح سنن أبي داود.

[462] - حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه صحابي جليل عرف بشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم. تقدم إسلامه لكنه لم يشهد غزوات النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان مسنًّا. كان في الجاهلية يمدح ملوك الغساسنة والحيرة وبعد إسلامه نذر شعره للدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم. أيد عثمان رضي الله عنه أثناء الثورة عليه، ثم لجأ إلى معاوية رضي الله عنه بالشام وتوفي بها عام ٥٤هـ.

[463] - أبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي الخطابي الشافعي المشهور باسم الخطابي، محدث وفقيه من كبار أئمة الشافعية، ولد عام ٣١٩هـ في مدينة بست (في أفغانستان حاليًا)، وتوفي بها عام ٣٨٨هـ. ارتحل وطلب العلم والحديث، فذهب إلى بغداد، والبصرة، ومكة، وخراسان، وبلاد ما وراء النهر. تفقه على المذهب الشافعي، وصنف التصانيف منها: "معالم السنن" في شرح سنن أبي داود، وله شرح لكتاب صحيح البخاري اسمه "أعلام السنن"، وله كتاب ينهى فيه عن علم الكلام اسمه" الغنية عن الكلام وأهله"، وكتاب غريب الحديث، وغيرها، كما كان لغويًا، وشاعرًا له قصائد شعر.

ذلك. قال الطحاوي[٤٦٤] : النهي عن التحلق في المسجد قبل الصلاة إذا عم المسجد وغلبه فهو مكروه، وغير ذلك لا بأس به. قال العراقي[٤٦٥] : وحمله أصحابنا والجمهور على بابه لأَنَّه ربما قطع الصفوف مع كونهم مأمورين يوم الجمعة بالتكبير والتراص في الصفوف الأول فالأول.[٤٦٦]

قال الإمام مالك[٤٦٧] وجماعة من أهل العلم: يكره رفع الصوت في المسجد بالعلم وغيره، وأجاز أبو حنيفة ومحمد بن مسلمة من أصحاب مالك رفع

---

[٤٦٤] - أبو جعر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحجري المصري الطحاوي. ولد عام ٢٢٩هـ. فقيه حنفي ومحدث ثقة، له تفسير للقرآن الكريم والعديد من المؤلفات منها: "أحكام القرآن"، و"معاني الآثار"، و"بيان مشكل الآثار".

[٤٦٥] - الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم العراقي الشافعي شيخ الحديث، ولد بمصر عام ٧٢٥هـ. حفظ القرآن الكريم وهو ابن ثمان وكان أول اشتغاله في علم القراءات، ونظر في الفقه وأصوله، وتقدم فيهما، ثم أقبل على علم الحديث فأخذ عن علماء بلده، ثم سافر لطلب الحديث في بلاد الشام وغيرها. وكان كثير الحج والمجاورة بمكة المكرمة، واجتهد ونسخ وقرأ وسمع حتى صار حافظ الوقت كما قال عنه أقرانه. فكان عالماً بالنحو واللغة والغريب والقراءات والحديث والفقه وأصوله غير أنه غلب عليه فن الحديث فاشتهر به، وانفرد بالمعرفة فيه. تتلمذ على يديه كثير من العلماء منهم: ولده أبو زرعة العراقي، وابن حجر العسقلاني، وابن حجر الهيثمي، صاحب مجمع الزوائد، وغيرهم. له مؤلفات عديدة منها: "تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد"، و"تقريب الإسناد"، و"الألفية في غريب القرآن"، و"النقييد والإيضاح في مصطلح الحديث"، و"شرح الترمذي". توفي عام ٨٠٦هـ.

[٤٦٦] - عون المعبود شرح سنن أبي داود.

[٤٦٧] - أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري. إمام دار الهجرة ومؤسس المذهب المالكي. ولد بالمدينة عام ٩٣هـ وعاش بها، وأخذ الحديث عن الزهري والفقه عن ربيعة. وضع "الموطأ" في الحديث جمع فيه ١٠ آلاف حديث صحت عنده كتبه في ٤٠ سنة. كان صلبًا لا يخشى في الله لومة لائم فوشي به الخليفة العباسي عند أبي جعفر المنصور فضربه بالسياط حتى انخلع كتفاه. توفي عام ١٧٩هـ بالمدينة ودفن بها.

الصوت فيه للعلم والخصومة وغير ذلك مما يحتاج إليه الناس لأنَّه مجمعهم ولابد لهم منه.[468]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: أصل السؤال محرم في المسجد وغيره إلا لضرورة فإن كان به ضرورة وسأل في المسجد ولم يؤذ أحدًا كتخطية الرقاب ولم يكذب فيما يرويه ولم يجهر جهرًا يضر الناس كأن يسأل والخطيب يخطب أو وهم يسمعون علمًا يشغلهم به جاز.[469]

ويحرم الكلام أثناء خطبة الجمعة ولو كان أمرًا بمعروفٍ أو نهيًا عن منكرٍ سواء كان يسمع الخطبة أم لا، فعن أبي هريرة ﵁ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **"إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة والإمام يخطب: أنصت! فقد لغوت"**.[470] قال الإمام النووي: اللغو هو الكلام الملغي الساقط الباطل المردود، وقيل معناه: قلت غير الصواب، وقيل: تكلمت بما لا ينبغي. ففي الحديث النهي عن جميع أنواع الكلام حال الخطبة ونبه بهذا على ما سواه لأنَّه إذا قال أنصت وهو في الأصل أمر بالمعروف وسماه لغوًا فيسيره من الكلام أولى، وإنَّما عليه إن أراد نهى غيره

---

[468] - صحيح مسلم بشرح النووي.
[469] - فقه السنة (١/ ٣٧٢، ٣٧٣) – سيد سابق.
[470] - رواه البخاري في صحيحه (٨٨٢)، ومسلم في صحيحه (١٤٠٤)، والنسائي في سننه (١٣٨٥)، وأبو داود في سننه (٩٣٨)، وابن ماجة في سننه (١١٠٠)، وأحمد في مسنده (٧٣٦١، ٨٧٣٨)،ومالك في الموطأ (٢١٤)، والدارمي في السنن (١٥٠٤).

عن الكلام أن يشير إليه بالسكوت إن فهمه، فإن تعذَّر فهمه فلينهه بكلامٍ مختصر ولا يزيد عن أقل ممكن. واختلف العلماء في الكلام هل هو حرام أم مكروه كراهة تنزيه؟ وهما قولان للشافعي[٤٧١] : قال القاضي[٤٧٢] : قال مالك وأبو حنيفة[٤٧٣] والشافعي وعامة العلماء: يجب الإنصات للخطبة، وحكى عن النخعي[٤٧٤] والشعبي[٤٧٥] وبعض السلف: أنَّه لا يجب إلا إذا تلى فيها القرآن. قال:

---

[٤٧١] - أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن سائب. جده السائب صحابي أسلم يوم بدر. علم من أعلام الإسلام وواضع أصول علم الفقه ومؤسس المذهب الشافعي. ولد بغزة عام ١٥٠ هـ، وانتقل إلى المدينة فتتلمذ على يدي الإمام مالك وأخذ عنه الفقه، ثم انتقل إلى بغداد فأخذ عن الشيباني، ثم انتقل إلى مصر فأقام بها وتوفي بها عام ٢٠٤هـ، ودفن بها.

[٤٧٢] - أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي المالكي.القاضي العلامة والفقية المؤرخ الذي كان من بين الناس العارفين بعلوم عصره. ولد عام ٤٧٦هـ بسبتة ونشأ بها وتعلم، وتتلمذ على شيوخها. جلس للمناظرة وله نحو ثمان وعشرين سنة. وولي القضاء وله خمس وثلاثون، حتى وصل إلى قضاء سبتة ثم غرناطة، فذاع صيته وحمد الناس سيرته. رحل في طلب العلم إلى الأندلس ثم مرسية ثم إلى المشرق وعاد إلى "سبتة" غزير العلم، جامعًا لمعارف واسعة فاتجهت إليه الأنظار، والتفَّ حوله طلاب العلم الفتوى، وجلس للتدريس وهو في الثانية والثلاثين من عمره، وقد تحقق له في علم الحديث ما لم يتحقق إلا للجهابذة من المحدِّثين، وألَّف في شرح الحديث: "مشارق الأنوار على صحاح الآثار" وهو من أدَلِّ الكتب على سعة علمه فقد ضبط في هذا الكتاب ما التبس أو أشكل من ألفاظ الحديث الذي ورد في الصحيحين وموطأ مالك، و"إكمال المعلم" شرح فيه صحيح مسلم، وله كتاب " تدريب المدارك"، وهو يُعَدُّ أكبر موسوعة تتناول ترجمة رجال المذهب المالكي ورواة "الموطأ" وعلمائه. استشهد القاضي عياض في المغرب ودفن بها عام ٥٤٤هـ. قتله ابن تومرت الذي ادعى أنه هو الإمام المهدي المنتظر وقد أمر أن يألف كتابا يقر له فيه أنه المهدي المنتظر فقتله قتلة شنيعة ومزق جسده بالرماح ودفن بغير جنازة ولا غسل كأنه واحد من غير المسلمين وأقطع موضع دفنه للنصاري فبنوا بجوار قبره كنيسة وبعض الدور. وعثر على قبر القاضي عياض سنة ٧١٢ هـ فأشهر قبره وصلى عليه الناس.

[٤٧٣] - النعمان بن ثابت صاحب المذهب الحنفي. الفقيه الكبيروالإمام العظيم والعالم المحدث. دعاه ابن هبيرة إلى القضاء فأبى وتمسك بموقفه فسجنه وجلده. توفي ببغداد عام ١٥٠هـ ودفن بمقابر الخيزران.

[٤٧٤] - إبراهيم النخعي : فقيه وتابعي من مدينة الكوفة وأحد الأئمة المعروفين بالفقه في الإسلام، توفي سنة ٩٦هـ، وله من العمر ٤٩ سنة في زمن الوليد بن عبد الملك

واختلفوا إذا لم يسمع الإمام هل يلزمه الإنصات كما لو سمعه؟ فقال الجمهور: يلزمه. وقال النخعي وأحمد وأحد قولي الشافعي: لا يلزمه. وقوله ﷺ: **"والإمام يخطب"**: دليل على أن وجوب الإنصات والنهي عن الكلام إنَّما هو في حال الخطبة، وهذا مذهبنا ومذهب مالك والجمهور، وقال أبو حنيفة: يجب الإنصات بخروج الإمام.[٤٧٦] أما الكلام في غير وقت الخطبة فإنَّه جائزٌ كما سبق أن ذكرنا.[٤٧٧]

وقد يشير الحديث في علامات الساعة اليوم إلى رفع الأصوات باستخدام مكبرات الصوت، والله أعلم.

---

[٤٧٥] - عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار أبو عمرو الهمداني الشعبي، والمشهور بـ الإمام الشعبي. تابعي وفقيه ومحدث من السلف ,ولد في خلافة عمر بن الخطاب. ولد في الكوفة عام ٢١هـ، وعاش فيها، وقد سكن المدينة المنورة عدة أشهر هرباً من المختار الثقفي، ثم نجا من انتقام الحجاج بعد أن عفى عنه وتولى الكتابة فترة من الوقت لدى "القائد"قتيبة بن مسلم الباهلي، كما أوفده الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان في سفارة خاصة إلى بيزنطة، كما عينه عمر بن عبدالعزيز قاضياً. انتقل بين الأقطار لطلب العلم. عاش الشَّعْبِيُّ ٨٧ سنة وكانت وفاته فجأة بالكوفة وذلك عام ١٠٠هـ. لمّا علم الحسن البصري بوفاته قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، إن كان لقديم السن، كثير العلم، وأنه لمن الإسلام بمكان.

[٤٧٦] - صحيح مسلم بشرح النووي.

[٤٧٧] - فقه السنة (١/ ٣٤٠) – سيد سابق.

## ١٨- زخرفة المساجد، وتحلية المصاحف:

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد"** [٤٧٨]- وفي رواية -: **"يأتي على الناس زمان يتباهون بالمساجد ثم لا يعمرونها إلا قليلاً"**.[٤٧٩] وفي رواية لابن حبان[٤٨٠] : نهى رسول الله ﷺ أن يتباهى الناس في المساجد، والمباهاة في اللغة هي المفاخرة، والمراد هاهنا المفاخرة بتشييد المساجد وزخرفتها وتنقيشها، وقد وقع ذلك وكثر في هذه الأزمان الأخيرة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **"ما أُمرت بتشييد المساجد"**[٤٨١] – وزاد أبو داود في سننه – قال ابن عباس رضي الله عنهما: "لتزخرفنَّها كما زخرفت اليهود والنصارى". والزخرفة: الزينة، وأصل الزخرف الذهب ثم استعمل في كل ما يتزين به. قال الخطابي: التشييد رفع

[٤٧٨] - رواه أحمد في مسنده (١١٩٣١، ١٢٠١٦، ١٢٠٧٩، ١٢٩٢٥، ١٣٥٠٩)، وأبو داود في سننه (٣٧٩)، والدارمي في سننه (١٣٧٢)، وابن حبان في صحيحه وصححه، وصححه الأرناؤوط.

[٤٧٩] - رواه ابن خزيمة في صحيحه، وأبو يعلى في مسنده.

[٤٨٠] - محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي البستي السجستاني. ولد في بست إحدى ضواحي سجستان (أفغانستان). طلب العلم في أكثر من ٤٠ بلدًا، وروى الحديث عن أكثر من ألفي راوٍ في صحيح باسمه. توفي عام ٣٥٤هـ.

[٤٨١] - رواه أبو داود في سننه (٣٧٨)، وابن حبان في صحيحه.

البناء وتطويله.[482] ومعنى النهي في الحديث أي النهي عن رفع بنائها زيادة على الحاجة، وقد اشتهرت بذلك اليهود والنصارى، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **"أراكم سَتُشَرِّفُون[483] مساجدَكُم بعدي كما شَرَّفَتْ اليهودُ كنائسها، وكما شَرَّفَتْ النصارى بيعَهَا"**.[484] وهذا ما كرهه النبيُّ ﷺ ونهى عنه وحذَّر منه، فعن أمِّ سلمة رضي الله عنها أنَّها ذكرت كنيسة رأتها بأرض الحبشة من حيث حسنها وتصاويرها، فقال رسول الله ﷺ: **"أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا ثم صوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله"**.[485] لذا نهي الرسول ﷺ عن ذلك فقال ﷺ: **"للساعةِ أشراطٌ"**، قيل: وما أشراطها؟ قال ﷺ: **"غلو أهل الفسق في المساجد.."**.[486] وعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"يا ابن مسعود، إنَّ من أعلام الساعة وأشراطها أن تُزَخْرَفَ المحاريب، وأن تُخرب القلوب"**.[487] قال ابن الأثير[488] : الزخرف في الأصل الذهب، وقال الراغب الأصفهاني[489] :

---

[482] - عون المعبود شرح سنن أبي داود.
[483] - شَرَّفَ: (بالتشديد) من التشريف أي جعل البناء مرتفعًا عاليًا.
[484] - رواه ابن ماجة سننه (٧٣٢)، وهو حديث ضعيف.
[485] - رواه البخاري في صحيحه (٤٣٤).
[486] - رواه أبو نعيم في الحلية.
[487] - رواه الطبراني في معجمه.
[488] - عز الدين أبي الحسن الجزري الموصلي الشيباني المعروف بـ ابن الأثير الجزري، مؤرخ إسلامي كبير، عاصر دولة صلاح الدين الأيوبي، ورصد أحداثها في مصنفاته. ولد عام ٥٥٥هـ بجزيرة ابن عمر ضمن حدود تركيا حالياً. رحل إلى الموصل مع أسرته، فسمع الحديث من علمائها، ورحل إلى دمشق واستمع إلى كبار فقهاء الشام، ثم رجع إلى الموصل ولزم بيته منقطعا للتأليف والتصنيف.في رحلته الطويلة لطلب العلم درس

الزخرف هو الزينة المزوقة، ومنه قيل الذهب زخرف.[٤٩٠] وقال الخطابي: معنى قوله فيما رواه أبو داود: **"لتزخرفنَّها كما زخرفت اليهود والنصارى"**: أي لتزيننها، يريد تمويه المسجد بالذهب ونحوه، ومنه قوله زخرف الرجل كلامه إذا موَّهه وزينه بالباطل. والمعنى أن اليهود والنصارى إنَّما زخرفوا المساجد عندما حرَّفوا وبدَّلوا وتركوا العمل بما في كتبهم، ويقول: فأنتم تصيرون إلى مثل حالها إذا طلبتم الدنيا بالدين وتركتم الإخلاص في العمل وصار أمركم إلى المراءات بالمساجد والمباهاة في تشييدها وتزيينها (كما زخرفت اليهود والنصارى)، قال القاري[٤٩١] : وهذا بدعة لأنَّه لم يفعله عليه السلام ، وفيه موافقة أهل الكتاب، وفي النهاية: الزخرف: النقوش والتصاوير بالذهب.[٤٩٢]

---

الحديث والفقه والأصول والفرائض والمنطق والقراءات، لكنه تعمق في الحديث والتاريخ، حتى أصبح إماما في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلق به، حافظا للتواريخ المتقدمة والمتأخرة، خبيرا بأنساب العرب وأيامهم وأخبارهم، عارفًا بالرجال وأنسابهم لا سيما الصحابة. من أهم مؤلفاته: "الكامل في التاريخ"، وهو في التاريخ العام، و"أسد الغابة في معرفة الصحابة"، وهو في تراجم الصحابة، و"اللباب في تهذيب الأنساب"، وهو في الأنساب. ظل ابن الأثير بعد رحلاته مقيما بالموصل، منصرفا إلى التأليف، عازفا عن المناصب جاعلا من داره ملتقى للطلاب والزائرين حتى توفي عام ٦٣٠هـ بالموصل ودفن بها.

[٤٨٩] - الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب، أديب وعالم، أصله من أصفهان، وعاش ببغداد .ألف عدة كتب في التفسير والأدب والبلاغة. اختُلِف في مذهبه فقيل من الكثير أنهُ شيعي، وقال الكثير أيضاً بل هُوّ من المعتزلة. ويُعدّه رهطٌ مِن عُلماء الشيعة بإنه شيعي من أعلامهُم وكبراؤهُم وعُلماؤهُم وأعيانهُم. من مؤلفاته: "الذريعة إلى مكارم الشريعة"، و"المفردات في غريب القرآن"، و"حل متشابهات القرآن"، و"الاعتقاد"، و"فانين البلاغة". توفي ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م)

[٤٩٠] - علامات الساعة الصغرى (ص٣٨) للشيخ الشعراوي.

[٤٩١] - نور الدين أبو الحسن علي بن سلطان محمد القاري، الهروي المكي، المعروف بملّا علي القاري، فقيه حنفي ماتريدي صوفي، من علماء أهل السنة والجماعة. وُلد في هراة، وتعلَّم القرآن الكريم وحفظه،

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أنَّ عمر بن الخطَّاب ﷺ عندما أمر ببناء المساجد قال: "أَكِنَّ الناس من المطر[٤٩٣]، وإيَّاكَ أن تحمِّر أو تصفِّر فتفتن الناس[٤٩٤]".[٤٩٥] فما يجب علينا تجاه المساجد أن نعمِّرها بالصلاة وبتعهدها بالتنظيف والتطييب، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "أمر النبيُّ ﷺ ببناء المساجد في الدور، وأمر بها أن تُنَظَّفَ وتُطَيَّبَ" [٤٩٦]– وفي رواية لأبي داود –: "كان ﷺ يأمرنا بالمساجد أن نصنعها في دورنا ونصلح صنعتها ونطهرها، وكان عبد الله – أي ابن الزبير رضي الله عنهما – يُجَمِّرُ المسجد إذا قعد على المنبر". قال سفيان بن عيينة[٤٩٧] :

وتلقَّى مبادىء العلوم وحضر حلقات العلماء في بلاده وصلَّى بالناس إماماً، فلُقب بالقاري، كعادتهم في اللقب ذلك الزمان. انتقل إلى مكة في شبابه، بعد أن هاجم بلاده إسماعيل الصفوي وقتل العلماء وأحرق كتب السنة، وفي حوالي عام ١٠٠٣هـ، بدأ تأليف وتصنيف الرسائل والكتب فقدم أكثر من ١٤٨ رسالة وكتاباً، فكتب في القرآن الكريم وعلومه، وكتب في الحديث الشريف وعلومه، وكتب في التوحيد والعقائد، وكتب في الفقه وعلومه، وكتب في فروع مختلفة رسائل صغيرة، ومن أهم مؤلفاته: تفسير الملا علي القاري المسمى "أنوار القرآن وأسرار الفرقان"، و"مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، و"شرح مسند أبي حنيفة"، و"شرح الشفا"، و"المصنوع في معرفة الحديث الموضوع". توفي عام ١٠١٤هـ، ودُفن بمقبرة المعلاة في مكة المكرمة، ولما بلغ خبر وفاته علماء مصر صلوا عليه بالجامع الأزهر صلاة الغائب في مجمع حافل يجمع نحو أربعة آلاف.

[٤٩٢] - عون المعبود شرح سنن أبي داود.

[٤٩٣] - أكن الناس من المطر: أي استرهم.

[٤٩٤] - تفتن الناس أي تلهيهم.

[٤٩٥] - رواه البخاري في صحيحه معلقًا في باب بنيان المسجد النبوي، وهو طرف من قصته في ذكر تجديد المسجد النبوي، والقدر المذكور هنا طرف من حديث لأبي سعيد الخدري ﷺ من حديثه في ذكر ليلة القدر، وقد وصله البخاري في الاعتكاف وغيره من طريق أبي سلمة ﷺ، ورواه ابن خزيمة في صحيحه وصححه.

[٤٩٦] - رواه أحمد في مسنده (٢٥١٨٢)، وأبو داود في سننه (٣٨٤)، والترمذي في سننه (٥٤٢)، وابن ماجة في سننه (٧٥١)، وابن حبان في صحيحه بسندٍ جيد.

[٤٩٧] - سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم الهلالي إمام ومحدث شهير وعرف بالزهد والورع. ولد بالكوفة عام ١٠٧ هـ، وتوفي ١٩٨هـ . أجمع الناس على صحة حديثه وروايته. طلب العلم وهو غلام وروى الحديث عن الكبار ومنهم :الزهري، وابن دينار، ومحمد بن المنكدر، وأبي

قوله ﷺ ببناء المساجد في الدور يعني القبائل.[498] وقال صاحب المرقاة: هو دار وهو اسم جامع للبناء والعرصة والمحلة والمراد بالمحلات أنَّهم كانوا يسمون المحلة التي اجتمعت فيها قبيلة دارًا أو هو محمول على اتخاذ بيتٍ في الدار للصلاة كالمسجد يصله فيه أهل البيت. والأول هو المعمول وعليه العمل. وحكمة أمره لأهل كلِّ محلة ببناء مسجد فيه أنَّه قد يتعذَّر أو يشق على أهل محلة الذهاب للأخرى فيحرمون أجر المسجد وفضل إقامة الجماعة فيه فأمروا بذلك ليتيسر لأهل كلِّ محلة العبادة في مسجدهم من غير مشقة تلحقهم.[499] وقال البغوي[500] : قال عطاء[501] : لما فتح الله تعالى على عمر ﷺ الأمصار أمر المسلمين ببناء المساجد وامرهم أن لا يبنوا مسجدين يضار

---

الزناد وغيرهم. و روى عنه عدد كبير من العلماء والأئمة الكبار كالأعمش، وابن جريج، وابن المبارك، والشافعي، وعبد الرزاق، والحميدي، وسعيد بن منصور، ويحيى بن معين، والمديني، وأحمد بن حنبل، وأبو بكر بن أبي شيبة وغيرهم خلق كثير.

[498] - رواه الترمذي في سننه (٥٤٢).

[499] - تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي.

[500] - أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي لقب بركن الدين ومحي السنة. إمام حافظ وفقيه وأحد العلماء الذين خدموا القرآن والسنة النبوية الإسلامية، دراسة وتدريساً وتأليفاً. ولد في بغ (بغثور) نحو عام ٤٣٣هـ، وإليها نسبته وهى بلدة بين هراة ومروالروذ من بلاد خرسان. من مؤلفاته: "شرح السنة"، و"مجموعة الفتاوى"، و"التهذيب في فقه الإمام الشافعي"، و"معالم التنزيل." توفي بمرو الروذ بخراسان عام ٥١٦هـ.

[501] - عطاء بن يسار قاص وفقيه روى عن كثير من الصحابة. كان أبوه يسار مولى أم المؤمنين ميمونة الهلالية زوج النبي ﷺ. توفي عام ١٠٣ هـ.

أحدهما الآخر، من المضارة أي فعل تفريق الجماعة إذا كان هناك مسجد يسعهم فإنَّ ذاك سنَّ توسعته أو اتخاذ مسجد يسعهم.[502]

وتعهد المسجد بالتنظيف أي تنظيفه من الوسخ، والدنس، والنتن، والتراب، ويستحب كنس المسجد وتنظيفه، فقد روى ابن أبي شيبة[503] في المصنف أنَّ النبيَّ ﷺ كان يتبع غبار المسجد بجريدة، وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"عُرضت عليَّ أجورُ أمتي حتى القذاة[504] يخرجها الرجلُ من المسجد"**.[505]

---

[502] - تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ومرقاة المفاتيح.

[503] - عبد الله بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خُوَاسْتَى العبسي مولاهم الكوفي، والمكنى بأبي بكر، والملقب بـ "سيد الحفاظ"، أحد علماء ورواة الحديث عند أهل السنة والجماعة . وصاحب كتاب مصنف ابن أبي شيبة .كما جمع مسنداً وصنف تفسيراً للقرآن. ولد عام ١٥٩هـ بالكوفة، ونشأ في بيت علم فطلب العلم هو وأخواه (الحافظ عثمان بن أبي شيبة، والقاسم بن أبي شيبة) فأتقنا علم الحديث وروايته. وكذلك كان ولده الحافظ إبراهيم بن أبي بكر، وإبن أخيه الحافظ أبو جعفر محمد بن عثمان، لكنه كان هو أشهر أهل بيته وأوسعهم علماً، وكان مضرب الأمثال في قوة الحفظ وسعته. وكان من أقران أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعلي بن المديني في السن والمولد والحفظ. سمع من عبد الله بن المبارك، وسفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، ويحيى بن سعيد القطان، وخلق كثير غيرهم بالعراق والحجاز وغير ذلك. وروى عنه الحديث: الشيخان البخاري ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه، كما روى عنه أحمد بن حنبل، وأبو زرعة الرازي، وابن أبي عاصم، وأبو القاسم البغوي، وغيرهم الكثير.توفي عام ٢٣٥ هـ بالكوفة.

[504] - القذاة: ما يقع في العين، والشراب، والماء من التراب أو الوسخ ونحوه، للدلالة على أقل ما يمكن إخراجه وتنظيفه.

[505] - رواه أبو داود في سننه (٣٩٠)، والترمذي في سننه (٢٨٠)، وابن خزيمة في صحيحه، وصححه.

وأمَّا تعهده بالتطييب أي بالرش أو العطر، ويجوز أن يحمل التطييب على التجمير في المسجد أي التبخير. قال الحافظ ابن حجر: وبه يعلم أنَّه يستحب تجمير المسجد بالبخور خلافًا لمالك حيث كرهه، فقد كان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما يجمِّر المسجد إذا قعد عمر ﷺ على المنبر، كما استحب بعض السلف التخليق بالزعفران والطيب، فقد رُوي عنه ﷺ أنَّه فعله، وقال الشعبيُّ: هو سنة، وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف أنَّ ابن الزبير رضي الله عنهما لما بنى الكعبة طلى حيطانها بالمسك.[٥٠٦]

كما نهى أصحابُ النبيِّ ﷺ عن زخرفة المصاحف، فعن أبي الدرداء ﷺ: أنَّه قال: **"إذا زخرفتم مساجدكم، وحليتم مصاحفكم؛ فعليكم الدمار"**.[٥٠٧]

ومعنى النهي عن تزخرف المساجد وتُحلَّى المصاحف أي: أن يكون الإيمان ظاهريًا فقط فلا قلوب تخشع، ولا أفئدة تخضع.[٥٠٨]

[٥٠٦] - مرقاة المفاتيح.
[٥٠٧] - رواه ابن أبي الدنيا.
[٥٠٨] - علامات الساعة الصغرى (ص٣٨، ٣٩) للشيخ الشعراوي.

## ١٩- رفع العلم وانتشار الجهل:

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"من أشراط الساعة أن يُرفع العلم ويثبت الجهل.."**[٥٠٩] - وفي رواية للبخاري-: **"أن يقلَّ العلم ويظهر الجهل.."**[٥١٠] وعن عبد الله وأبي موسى رضي الله عنهما قالا: قال النبيُّ ﷺ: **"إن بين يدي الساعة لأيامًا ينزلُ فيها الجهل، ويُرفع العلم.."**،[٥١١] وعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: **"لا تقوم الساعةُ حتى يُقبَضَ العلمُ.."**.[٥١٢] وعنه ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **"يتقارب الزمانُ، ويُقبَضُ العلمُ، وتظهرُ الفتنُ، ويُلقى الشحُّ، ويكثرُ الهرج.."**[٥١٣] **- وفي رواية -: "ينقص العلم"**.[٥١٤]

قال ابن بطَّال: وجميع ما تضمنه هذا الحديث من الأشراط قد رأيناها عيانًا، فقد نقص العلم وظهر الجهل وأُلقي الشحُّ في القلوب وعمَّت الفتن وكثر

---

[٥٠٩] - رواه البخاري في صحيحه (٧٨)، ومسلم في صحيحه (٤٨٢٤)، وأحمد في مسنده (١٢٠٦٩) بلفظه، ورواه الترمذي في سننه (٢١٣١)، وابن ماجة في سننه (٤٠٣٥)، وأحمد في مسنده (١١٥٠٦) بلفظ: **"إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل.."**.

[٥١٠] - رواه البخاري في صحيحه (٧٩).

[٥١١] - رواه البخاري في صحيحه (٦٥٣٨، ٦٥٣٩)، ومسلم في صحيحه (٤٨٢٦)، والترمذي في سننه (٢١٢٦)، وابن ماجة في سننه (٤٠٤٠، ٤٠٤١)، وأحمد في مسنده (٣٥١٢).

[٥١٢] - رواه البخاري في صحيحه (٩٧٨)، ومسلم في صحيحه (٤٨٢٧)، وأحمد في مسنده (٧١٧٦).

[٥١٣] - رواه مسلم في صحيحه (٤٨٢٧)، والبخاري في صحيحه (٨٣، ٩٧٨).

[٥١٤] - رواه ابن ماجة في سننه (٤٠٤٢)، وأبو داود في سننه (٣٧١٣).

القتل.[515] قال الحافظ ابن حجر: الذي يظهر أنَّ الذي شاهدناه كان من الكثير مع وجود مقابله، والمراد من الحديث استحكام ذلك حتى لا يبقى مما يقابله إلا النادر وإليه الإشارة بالتعبير **"يُقبض العلمُ"** فلا يبقى إلا الجهل الصرف، ولا يمنع من ذلك وجود طائفة من أهل العلم لأنَّهم يكونون حينئذٍ معمورين في أولئك – أي مختلطين فيهم.[516] وقال الطحاوي: قد يكون معناه ترك طلب العلم خاصة والرضا بالجهل، وذلك لأنَّ الناس لا يتساوون في العلم لأن درج العلم متفاوت لقوله تعالى: ﴿ ..**وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾ (يوسف: ٧٦) وإنَّما يتساوون إذا كانوا جهالاً وكأنَّه يريد غلبة الجهل وكثرته بحيث يفقد العلم بفقد العلماء.[517]

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **"إنَّ اللهَ لا يقبضُ العلمَ انتزاعًا ينتزعُهُ من العبادِ، ولكن يُقبَضُ العلمُ بقبضِ العلماء حتى إذا لم يُبْقِ عالمًا اتخذَ الناسُ رءوسًا جُهَالاً فسُئلوا فأفتوا بغير علمٍ، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا"** [518]- وفي رواية أخرى – عنه ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"إنَّ اللهَ لا ينزعُ العلمَ بعد أن أعطاكموه انتزاعًا، ولكن ينزعُهُ منهم مع قبضِ العلماء**

---

[515] - فتح الباري على صحيح البخاري (١٣/ ١٦) لابن حجر.
[516] - المصدر السابق.
[517] - المصدر السابق.
[518] - رواه البخاري في صحيحه (١٠٠)، ومسلم في صحيحه (٢٦٧٣/ ١٣)، والترمذي في سننه.

بعلمهم، **فيبقى ناسٌ جُهَّال يستفتون برأيهم فيُضِلُّون ويضِلُّون"**.[519] قال الإمام النووي[520] : هذا الحديث يبيِّن أنَّ المراد بقبض العلم في الأحاديث السابقة ليس هو محوه من صدور حفاظه، ولكن معناه أن يموت حملته ويتخذ الناس جهالاً يحكمون بجهالاتهم فيضلون ويضلون.[521] وقال الحافظ ابن حجر: فالعلم يُرفع بموت العلماء كلما مات عالم ينقص العلم وينشأ عن ذلك الجهل.[522] وقال الإمام الذهبي[523] -بعد ذكره لطائفة من العلماء-: وما أوتوا من العلم إلا قليلاً،

---

[519] - رواه البخاري في صحيحه (٦٧٦٣)، ومسلم في صحيحه (٤٨٢٨).

[520] - أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحوراني النووي الشافعي. ولد عام ٦٣١هـ في نوي بسورية ونسب إليها وتوفي عام ٦٧٦هـ. علامة في الفقه والحديث. له مؤلفات كثيرة أهمها شرح صحيح مسلم وكتاب "تهذيب الأسماء واللغات".

[521] - صحيح مسلم بشرح النووي (٨/ ٤٧٨).

[522] - فتح الباري (١٣/ ١٦) لابن حجر.

[523] - أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي اشتهر والده بصناعة الذهب، فبرع فيه حتى عُرف بالذهبي . محدث وإمام حافظ جمع بين ميزتين لم يجتمعا إلا للأفذاذ القلائل من العلماء فهو يجمع إلى جانب الإحاطة الواسعة بالتاريخ الإسلامي المعرفة الواسعة بقواعد الجرح والتعديل للرجال، فكان وحده مدرسة قائمة بذاتها فهو من العلماء الذين دخلوا ميدان التاريخ من باب الحديث النبوي وعلومه، وظهر ذلك في عنايته الفائقة بالتراجم التي صارت أساس كثير من كتبه ومحور تفكيره التاريخي ، وقيل ان سُمي الإمام الذهبي بالذهبي لانه كان يزن الرجال كما يزن الجوهرجي الذهب. ولد قرب دمشق عام ٦٧٣هـ. حفظ القرآن صغيرًا وأتقن تلاوته، وتعلم القراءات وهو في الثامنة عشرة من عمره، وتتلمذ على شيوخ القراء. رحل في طلب العلم إلى الشام، ثم رحل إلى مصر وسمع من شيوخها الكبار، وقرأ على بعض قرائها المتقنين، ثم عاد إلى دمشق، ثم رحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وانتهز فرصة وجوده هناك فسمع الحديث من شيوخ مكة والمدينة. له تصانيف في الحديث، وأسماء الرجال؛ قرأ القرآن، وأقرأه بالروايات، وقد بلغت مؤلفاته التاريخية وحدها نحو مائتي كتابًا، بعضها مجلدات ضخمة أهمها: " تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"، و"سير أعلام النبلاء"، و"ميزان الاعتدال في نقد الرجال". وظل الإمام الذهبي موفور النشاط يقوم بالتدريس في خمس مدارس للحديث في دمشق، ويواصل التأليف حتى فقد الإبصار تماماً، ومكث على هذا الحال حتى تُوفي ٧٤٨هـ.

وأما اليوم فما بقى من العلوم القليلة إلا القليل في أناس قليل ما أقل من يعلم منهم بذلك القليل فحسبنا الله ونعم الوكيل.[٥٢٤]

والعلم المُشار إليه في الأحاديث هو العلم الشرعي كالفقه، والحديث، وعلوم القرآن، وما إلى ذلك من علوم الدين وما ينفع المرء في حياته وآخرته من شئون دينه، وهذا لا يقلل من أهمية علوم الدنيا التي تعود بالنفع على المجتمع وعمارة الأرض واستخلاف الإنسان فيها بشرط ألا يخرج عن الأطر والمعايير السليمة التي يدعو إليها دين الله.

ولا يزال العلم ينقص والجهل يكثر حتى لا يعرف الناس فرائض الإسلام، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: **"يدرسُ[٥٢٥] الإسلامُ كما يدرسُ وشيُ الثوبِ، حتى لا يدري ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة.."**.[٥٢٦] ويقول القرطبي: المقصود برفع العلم: ترك العمل به، أي هجر العمل بالعلم كما يقول ابن مسعود ﵁: ليس حفظ القرآن بحفظ الحروف، ولكن إقامة حدوده.[٥٢٧]

---

[٥٢٤] - تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٣١).

[٥٢٥] - درس الثوب: أخلق وبلي.

[٥٢٦] - رواه ابن ماجة في سننه (٤٠٣٩) وانفرد به، ورواه الحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة (٣٢٧٣)، والصحيحة (٨٧).

[٥٢٧] - التذكرة (ص٦٧٣) للقرطبي.

## ٢٠- انتشار الخرافات:

من علامات الساعة أن تنتشر الخرافات فيصدِّق الناس التنجيم وقراءة الطالع ونحو ذلك من أبواب الشعوذة والدَّجل، فعن عليٍّ بن أبي طالب ﷺ أنَّ رجلاً قال للنبيِّ ﷺ: متى الساعة؟ فقال ﷺ: **"ذلك عند حيف[٥٢٨] الأئمة، وتصديقٍ بالنجوم، وتكذيبٍ بالقدر، وحتى تُتَّخَذَ الأمانةُ مغنمًا، والصدقة مغرمًا، .. فعند ذلك هلاك قومك"**.[٥٢٩]

## ٢١- أخذ العلم من غير أهله:

عن أبي أميَّة الجمحي ﷺ قال: أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"إنَّ من أشراط الساعة ثلاثًا –** إحداهن- **أن يُلتمس العلم عند الأصاغر"**.[٥٣٠] وقد سُئل الإمام عبد الله بن المبارك[٥٣١] عن الأصاغر، فقال: الذين يقولون برأيهم فأمَّا صغير

[٥٢٨] - الحيف: الجور والظلم.
[٥٢٩] - رواه البزار في مسنده، وقال الهيثمي: فيه من لم أعرفهم.
[٥٣٠] - رواه الطبراني في معجمه، وابن المبارك في الزهد، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٦٩٥).
[٥٣١] - عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي. العلم الفقيه المحدث الزاهد المجاهد. ولد عام ١١٨هـ بمرو في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك طلب العلم وهو ابن عشرين وأخذ عن بقايا التابعين وأكثر من الترحال إلى أن مات في طلب العلم وفي الغزو وفي الإنفاق على إخوانه وتجهيزهم معه إلى الحج، وعاش إلى عام ١٨١ هـ في خلافة هارون الرشيد. اتفقت جميع المصادر على أنه كان طلاّباً للعلم نادر المثال، رحل إلى جميع الأقطار التي كانت معروفة بالنشاط العلمي في عصره. أخذ العلم عن أبي حنيفة النعمان، وعبد الرحمن الأوزاعي، وشعبة بن الحجاج، وهشام بن عروة، وسليمان بن مهران الأعمش، وسفيان الثوري. قال ابن أبي حاتم: جاب ابن المبارك ربع الدنيا في طلب الحديث، لم يدع اليمن ولا مصر ولا الشام ولا الجزيرة والبصرة ولا الكوفة، وقد شهد له أحمد بن

يروي عنه كبير فليس بصغير، وقال كذلك: أتاهم العلم من قبل أصاغرهم يعني أهل البدع.[532]

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: لا يزال الناس بخيرٍ ما أتاهم العلم من أصحاب محمد ﷺ ومن أكابرهم، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم وتفرقت أهواؤهم هلكوا.[533]

## ٢٢- عدم الاهتمام بالعلماء وتصدر السفهاء:

فقد اختلفت معايير تقييم الناس في مجتمعاتنا رأسًا على عقب فعن أبي هريرة ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"سيأتي على الناس سنوات خداعات يُصَدَّقُ فيها الكاذب، ويُكَذِّبُ فيها الصادق، ويُؤتمن فيها الخائن، ويُخَوَّنُ فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة[534]"**. قيل يا رسول الله: وما الرويبضة؟ قال ﷺ: **"الرجل التافه ينطقُ في أمر العامة"**.[535] قال أبو عبيد: التافه: الرجل الخسيس

---

حنبل بذلك. من كتبه:"الزهد و الرقائق"، و" كتاب الجهاد"، وله مؤلفات اخرى لم تطبع بعد. توفي في مدينة هيت بمحافظة الانبار بالعراق عام ١٨١هـ.

[532] - حاشية كتاب الزهد (ص٣١).
[533] - كتاب الزهد لابن المبارك.
[534] - الرويبضة: العاجز الذي ربض عن معالي الأمور وقعد عن طلبها، والتصغير للتحقير.
[535] - رواه ابن ماجة في سننه (٤٠٢٦)، وأحمد في مسنده (٧٥٧١)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥١٢) وصححه ووافقه الذهبي، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٨٨٨).

الخامل من الناس، وكذلك كل شيء خسيس فهو تافه.[536] وبعد أن كان يُجِلُّ العلماء انقلبت الأمور وأصبح لا يُؤبه لهم ولا يُلْتَفَتُ لدعواهم، وتصدَّر مكانهم السفهاء يتكلَّمون في شئون الناس، ويُؤخذُ رأيهم مأخذ التقدير والاحترام.

## ٢٣- ظهور علماء السلطة:

من علامات القيامة أن يركن العلماء إلى الولاة وأن يُخْضِعَ العلماءُ أحكامَ الدين للدنيا، يريدون بها مالاً أو منصبًا، فيحلون الحرام ويحرِّمون الحلال، فعن عليٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"من اقتراب الساعة: إذا كثر خطباء المنابر وركن علماؤكم إلى ولاتكم، فأحلُّوا لهم الحرام، وحرَّموا عليهم الحلال، فأفتوهم بما يشتهون، وتعلَّم علماؤكم ليجلبوا به دنانيركم ودراهمكم، واتخذتم القرآن تجارة"**.[537]

وما أكثر ما نشاهد في زماننا للسلطة علماء يتقرَّبون إلى الحكام، ويزيِّنون لهم الباطل، إنهم علماء باطل وفساد الذين يبيعون دينهم بعرضٍ زائل، وهذا يعكس تضييع الولاة والحكام للأمانة التي يضيعونها بتوسيد الأمر في غير

[536] - التذكرة (ص٦٦٤) للقرطبي.
[537] - رواه الديلمي.

أهله، والله ائتمن الأئمة والولاة على عباده وفرض عليهم النصيحة لهم لقوله ﷺ: **"كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسئولٌ عن رعيته"**.[٥٣٨]

## ٢٤- إمارة الفسقة والظالمين:

عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: **"إذا اتُخِذَ الفيء[٥٣٩] دولاً، والأمانة مغنمًا، والزكاة مَغرمًا، وتُعُلِّمَ لغير الدين، وأطاع الرجل امرأته وعقَّ أمَّهُ، وأدنى صديقه وأقصى أباه، وظهرت الأصوات في المساجد، وساد القبيلة فاسقُهم، وكان زعيم القوم أرذلُهم، وأُكرِمَ الرجلُ مخافةَ شرِّهِ.. فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء، أو زلزلة، وخسفًا، ومسخًا، وقذفًا، وآيات متتابعات كنظامٍ بالٍ قُطِعَ سلكُهُ فتتابع"**.[٥٤٠]

وعن عابس الغفاري ؓ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"بادروا بالأعمال ستًا: إمارة السفهاء.. – وذكر بقيتهن"**.[٥٤١] وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنَّ

---

[٥٣٨] - رواه البخاري في صحيحه (٨٤٤، ٤٨٠١)، ومسلم في صحيحه (٣٤٠٨)، وأحمد في مسنده (٤٩٢٠، ٥٦٣٥).

[٥٣٩] - الفيء: ما يغنم في الحرب بغير قتال.

[٥٤٠] - رواه الترمذي في سننه وقال: حديث غريب، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي رقم (٣٨٧)، وذكره القرطبي في التذكرة (ص٦٦٧) وقال مخرِّج أحاديثه على هامش الكتاب: حديث ضعيف.

[٥٤١] - رواه أحمد في مسنده (٢٢٨٤٥)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٣٧) بإسناد صحيح لغيره، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٩٧٩).

النبيَّ ﷺ قال لكعب بن عُجرة[٥٤٢] -رضي الله عنه-: **"أعاذكَ اللهُ من إمارةِ السفهاءِ"**. قال كعب: وما إمارة السفهاء؟ قال ﷺ: **"أمراءٌ يكونون بعدي لا يقتدون بهديي ولا يستنون بسنتي، فمن صدَّقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم، فأولئك ليسوا مني ولستُ منهم، ولا يردون عليَّ حوضي، ومن يصدِّقهم بكذبهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فأولئك مني وأنا منهم وسيردون عليَّ حوضي.."** .[٥٤٣]

## ٢٥- يتقدَّم لإمامة الصلاة المرءُ لحسن صوته ليس لفقهه:

عن عابس الغفاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"بادروا بالموت ستًّا: - ذكر منهن – ونَشْئًا يتخذون القرآن مزامير يقدِّمونه يغنِّيهم وإن كان أقل منهم فقهًا"**،[٥٤٤] وعنه رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: **".. يتخذون القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليغنِّيهم وإن كان أقلهم فقهًا"**.[٥٤٥] وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **"ما عَمَّرَ المسلمُ كان خيرًا له، ولكني**

---

[٥٤٢] - كعب بن عجرة البلوي الأنصاري السالمي المدني رضي الله عنه صحابي جليل، كان حليف الخزرج، وهو من أهل بيعة الرضوان. أسلم على يدي عبادة بن الصامت رضي الله عنه. روي عن رسول الله ﷺ أحاديثًا، وقد نزلت فيه آية الفدية في حلق الرأس في الحج. مات عام ٥٢هـ.

[٥٤٣] - رواه أحمد في مسنده (١٣٩١٩، ١٤٧٤٦).

[٥٤٤] - رواه الطبراني في الكبير (١٨/ ٣٦)، وأحمد في المسند (١٥٤٦٢) وقال الأرناؤوط: حديث صحيح، وقال: إسناد أحمد ضعيف، ونشئًا جمع ناشيء أي حدث وأحداث، والحديث: **"بادروا بالموت ستًّا: إمرة السفهاء، وكثرة الشرط، وبيع الحكم، واستخفافًا بالدم، وقطيعةً الرحم، ونشئًا يتخذون القرآن مزامير.."**.

[٥٤٥] - رواه الطبراني في الكبير (١٨/ ٣٧) بإسناد صحيح لغيره، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٩٧٩).

**أخافُ ستًّا: إمارة السفهاء، وبيع الحكمَ،وكثرةَ الشرط، وقطيعةَ الرحم، ونَشْئًا يَنْشَئُون يتخذون القرآن مزامير، وسفكَ الدماء"** .[٥٤٦]

## ٢٦- اتخاذ القرآن مزامير يتغنَّى بها:

عن عابس الغفاري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"بادروا بالموت ستًّا: - ذكر منهن – ونَشْئًا يتخذون القرآن مزامير يقدِّمونه يغنِّيهم وإن كان أقل منهم فقهًا"**،[٥٤٧] وعنه ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **".. يتخذون القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليغنِّيهم وإن كان أقلهم فقهًا"**.[٥٤٨] وعن عوف بن مالك ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **"..ولكني أخافُ ستًّا: -ذكر منهن- ونَشْئًا يَنْشَئُون يتخذون القرآن مزامير"** .[٥٤٩]

---

[٥٤٦] - رواه أحمد في مسنده (٢٢٨٤٥) وانفرد به.

[٥٤٧] - رواه الطبراني في الكبير، وأحمد في المسند (١٥٤٦٢) وقال الأرناؤوط: حديث صحيح، وقال: إسناد أحمد ضعيف، ونشئًا جمع ناشيء أي حدث وأحداث.

[٥٤٨] - رواه الطبراني في الكبير (١٨/ ٣٧) بإسناد صحيح لغيره، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٩٧٩).

[٥٤٩] - رواه أحمد في مسنده (٢٢٨٤٥) وانفرد به.

فقد أصبح القرآن يكاد لا يُقرأ إلا في المعازي والمآتم يتغنَّى به فسقة القُرَّاء يشترون به ثمنًا قليلاً من حطام الدنيا. يقول ابن مسعود ﷺ: ليس حفظ القرآن بحفظ الحروف، ولكن إقامة الحدود.[550]

## ٢٧- ألا يجد المصلون إمامًا:

عن سَلامَة بنت الحُرِّ[551] أخت خَرَشَة بن الحُرِّ الفزاري رضي الله عنهما قالت سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **"من أشراط الساعة أن يتدافع أهل المسجد الإمامة فلا يجدون إمامًا يصلي بهم"**[552] – وفي رواية أخرى- قال رسول الله ﷺ: **"يأتي على الناس زمانٌ يقومون ساعةً لا يجدون إمامًا يصلي بهم"**.[553]

(يتدافع أهل المسجد): أي يدرأ كلٌّ من أهل المسجد الإمامة عن نفسه ويقول لستُ أهلاً لها لما ترك تعلم ما تصح به الإمامة أو يدفع بعضهم بعضًا إلى المسجد أو المحراب ليؤم بالجماعة فيأبى عنها لعدم صلاحيته لها لعدم علمه بها.[554] وقال السندي: يتدافعون في الإمامة فيدفع كلٌّ منهم الإمامة عن نفسه إلى غيره، أو يدفع كلٌّ منهم الإمامة عن غيره إلى نفسه فيحصل بذلك النزاع

[550] - التذكرة (ص٦٧٣) للقرطبي.
[551] - لها صحبة.
[552] - رواه أبو داود في سننه (٤٩٣).
[553] - رواه ابن ماجة في سننه (٩٧٢)، وأحمد في مسنده (٢٥٨٨٦).
[554] - عون المعبود في شرح سنن أبي داود.

فيؤدي ذلك إلى عدم الإمام، والمعنى الأول أوفق للترجمة لما يدل عليه أنَّه إذا ظهر للناس صعوبة الأمر تركوا الرغبة فيها، والله أعلم.[555]

فالحفَّاظ اليوم قليل، والعلماء القائمون بحدوده قليل من قليل.

## ٢٨- ذهاب الصالحون:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا تقوم الساعة حتى يأخذ الله شريطته[556] من أهل الأرض فيبقى فيها عَجَاجَةٌ[557] لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا"**،[558] وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: **"يأتي على الناس زمان يُغربَلُون فيه غربلةً يبقى منهم حُثَالَة[559] قد مَرَجَتْ عهودهم[560] وأماناتهم واختلفوا فكانوا هذا، وشبَّك بين أصابعه.."**.[561] قال القرطبي: يُغربل الناس فيها غربلة: أي يموت الأخيار ويبقى الأشرار، كما يُبْقِي الغربال من حُثالة ما يغربله، والحُثالة ما يسقط من

---

[555] - شرح سنن ابن ماجة للسندي.
[556] - شريطته: أي أهل الخير والدين.
[557] - العجاجة: رعاع الناس، وغوغاؤهم، وأراذلهم، ومن لا خير فيهم.
[558] - رواه أحمد في مسنده (٦٦٧٠)،وانفرد به، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، ورواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٨١)، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.
[559] - الحثالة: الرديء من كل شيء، ويقصد بها الرديء من الناس.
[560] - مَرَجَ العهدُ: لم يُوفِ به.
[561] - رواه أحمد في مسنده (٦٧٥٢)، وقال العلامة الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، وأبو داود في سننه (٣٧٧٩)، وابن ماجة في سننه (٣٩٤٧)، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في المستدرك، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

قشر الشعير، والأرز، والتمر، وكل ذي قشر إذا بقى، وحثالة الدهن تفله، وكأنَّه الرديء من كل شيءٍ.[٥٦٢] وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لتُنتقون كما يُنتقى التمر من أغفاله، وليذهبن خياركم وليبقين شراركم.."**،[٥٦٣] والأغفال: جمع غُفْل وهو ما لا يُرجى خيره ولا يُخشى شره أي ما ليس له قيمة، وقال رسول الله ﷺ: **"يذهبُ الصالحون الأول فالأول، ويبقى حُفَالَةٌ**[٥٦٤] **كحُفَالَةِ الشعير والتمر لا يباليهم الله بالة** – وفي رواية –: **لا يعبأ الله بهم"**.[٥٦٥] أي لا يكترث بهم، وقال صاحب أشراط الساعة: وذهاب الصالحين يكون عند كثرة المعاصي وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن الصالحين إذا رأو المنكر ولم يغيروه وكثر الفساد عمَّهم العذاب مع غيرهم إذا نزل، كما جاء في الحديث لما قيل للنبيِّ ﷺ: أنهلك وفينا الصالحين؟ قال ﷺ**"نعم، إذا كثر الخبث"**.[٥٦٦]

[٥٦٢] - التذكرة (ص٥٧٨) للقرطبي.
[٥٦٣] - رواه ابن ماجة في سننه (٤٠٢٨)، وانفرد به.
[٥٦٤] - الحفالة: الحثالة وهو الرديء من كل شيء.
[٥٦٥] - رواه البخاري في صحيحه (٣٨٤٠)، والدارمي في سننه (٢٦٠٣).
[٥٦٦] - رواه البخاري في صحيحه (٦٥٣٥)، ومسلم في صحيحه (٥١٢٨)، والترمذي في سننه (٢١١٣)، وابن ماجة في سننه (٣٩٤٣)، وأحمد في مسنده (٢٦١٤٥)..

## ٢٩- اتباع أهل الكتاب والميل إليهم:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لتتبعن سَنَنَ الذين من قبلكم، شبرًا بشبرٍ، وذراعًا بذراعٍ، حتى لو دخلوا في جحر ضبٍّ لاتبعتموهم"**. قلنا: يا رسول الله، آليهود والنصارى؟ قال ﷺ: **"فمن؟!"**.[٥٦٧]

قال الإمام النووي: والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب التمثيل بشدة الموافقة لهم، والمراد الموافقة في المعاصي والمخالفات، لا في الكفر، وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ، وقد وقع ما أخبر به ﷺ،[٥٦٨] فنرى قلوب المسلمين في كثيرٍ منهم كقلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب، فهم يتكلَّمون باللغة العربية، ولكن قلوبهم تهوى وتعشق كل ما هو أجنبي، فحياة الأعاجم هي التي تستهويهم وتعجبهم.[٥٦٩] فقد أثمرت جهود الاستعمار وأذنابهم من حملات التغريب ونشر العلمانية ومحاربة شرع الله في تحويل قلوب كثير من العامة إلى ثقافة الغرب ومعالم حياتهم على حساب دين الله وشرعه.

---

[٥٦٧] - رواه البخاري في صحيحه (٣١٩٧)، ومسلم في صحيحه (٤٨٢٢)، وأحمد (١١٣٧٢، ١١٤١٥، ١١٤٦٢)، واللفظ لمسلم.

[٥٦٨] - صحيح مسلم بشرح النووي.

[٥٦٩] - علامات القيامة الصغرى (ص٣٧، ٣٨) للشيخ الشعراوي.

## ٣٠- ظهور القلم:

عن ابن مسعود ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **"إنَّ بين يدي الساعة تسليم الخاصة، وفُشُوَّ التجارةِ حتى تعينَ المرأةُ زوجَها على التجارةِ، وقطعَ الأرحامِ، وشهادةَ الزورِ، وكتمانَ الحقِّ، وظهورَ القلمِ"** [٥٧٠]- وفي رواية لأحمد -: **وفشو القلم"**.[٥٧١] قال أبو عمر بن عبد البر: أمَّا قوله: **"فشو القلم"** فإنَّه أراد ظهور الكتاب وكثرة الكُتَّاب.[٥٧٢] وعن عمرو بن ثعلبة ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **"..وإن من أشراط الساعة أن تكثر التجارة ويظهر القلم"**.[٥٧٣]

صدقت يا رسول الله فقد أصبح المتعلمون العالمون بالقراءة والكتابة كثير، وقل أهل العلم الشرعي، وهكذا ظهرت العلوم الدنيوية على علوم الدين، وظهر علماء نالوا قسطًا من العلوم وبلغوا درجات كبيرة فيها وإن لم يكونوا يعلمون من دينهم شيئًا، وهذا أيضًا من مظاهر قبض العلم وتفشي الجهل.

---

[٥٧٠] - رواه أحمد في مسنده (٣٦٧٦) وانفرد به.

[٥٧١] - رواه أحمد في مسنده (١/ ٤٠٧)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٩٨)، وصححه ووافقه الذهبي.

[٥٧٢] - التذكرة (٦٦٠، ٦٦١) للقرطبي.

[٥٧٣] - رواه أبو داود الطيالسي، وذكره القرطبي في التذكرة (ص٦٦١) وقال مخرج الحديث في هامش التذكرة: حديث صحيح.

## ٣١- ضياع الأمانة وتوسيد الأمر لغير أهله:

عن حذيفة رضي الله عنه قال: حدَّثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيتُ أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا ﷺ: **"إنَّ الأمانة نزلت في جذور[٥٧٤] قلوب الرجال، ثم عَلِموا من القرآن، ثم عَلِموا من السُّنَّة"**،ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال ﷺ: **"ينامُ الرجلُ النومةَ فتُقبضُ الأمانةُ من قلبه فيظلُّ أثرُها مثل الوَكْتِ[٥٧٥]، ثم ينامُ النومةَ فتُقبضُ فيبقى أثرُها مثل المجل[٥٧٦] كجمرٍ دحرجتَهُ على رجلِك فنَفَطَ[٥٧٧] فتراه منتبرًا[٥٧٨] وليس فيه شيءٌ، فيصبح الناس يتبايعون لا يكادُ أحدٌ يؤدي الأمانة فيُقالُ إنَّ في بني فلان رجلاً أمينًا ويُقالُ للرجل: ما أعقله! ما أظرفه! ما أجلده! وما في قلبه مثقال حبةِ خردلٍ من إيمان.."**.[٥٧٩]

وقد تحقَّق من قول رسول الله ﷺ بلا شك الكثير فأهل الأمانة اليوم قليل، والأمانة في الكلمة والعمل وأداء الحقوق قليلٌ من يؤديها.. وعن أبي هريرة رضي الله عنه

[٥٧٤] - الجذر: أصل كل شيء، وقد ذكر ابن ماجة عن الطنافسي قال: إن معناها وسط القلوب.
[٥٧٥] - الوَكت: الأثر اليسير من الشيء.
[٥٧٦] - المجل: هو الانتفاخ الذي يرتفع عن جلد باطن اليد عند العمل بالفاس ونحوه، ويقال: مجلت يداه إذا غلظت من العمل.
[٥٧٧] - نَفَطَ: ارتفع جلده وانتفخ.
[٥٧٨] - منتبر: مرتفع الجلد عن اللحم من النبر أي الرفع ومنه اشتق المنبر، ويقصد النبيُّ ﷺ خلو القلب من الأمانة كما يخلو المجل المنتبر عن شيء يحويه كجمر دحرجته فيبقى له أثر بسيط.
[٥٧٩] - رواه البخاري في صحيحه (٦٠١٦)، ومسلم في صحيحه (٢٠٦)، والترمذي في سننه (٢١٠٥)، وابن ماجة في سننه (٤٠٤٣)، وأحمد في مسنده (٢٢١٧١)، وصححه الألباني واللفظ للبخاري.

قال: قال رسول الله ﷺ: **"إذا ضُيِّعتْ الأمانة فانتظر الساعة"**. قيل: وكيف إضاعتها؟ قال ﷺ: **"إذا وُسِّدَ**[580] **الأمرُ إلى غير أهله"**[581]– وفي رواية –: **"إذا أُسند الأمرُ إلى غير أهله فانتظر الساعة"**.[582] قال الحافظ في "الفتح": إسناد الأمر إلى غير أهله إنما يكون عند غلبة الجهل ورفع العلم، وذلك من جملة الأشراط، ومقتضاه أنَّ العلم ما دام قائمًا ففي الأمر فسحة، وقال كذلك: المراد من الأمر: الأمور التي تتعلق بالدين كالخلافة، والإمارة، والقضاء، والإفتاء، وغير ذلك. وقال ابن بطال: معنى **"أُسند الأمرُ إلى غير أهله"** أنَّ الأئمة قد ائتمنهم الله على عباده وفرض عليهم النصيحة لهم فينبغي لهم تولية أهل الدين، فإذا قلَّدوا غير أهل الدين فقد ضيَّعوا الأمانة التي قلَّدهم الله تعالى إياها.[583]

ويقول الشيخ الشعراوي – رحمه الله– في قوله ﷺ: **"إسناد الأمر إلى غير أهله"**: إنَّها علامة من علامات اختلال الميزان، فالدنيا كلُّها قامت على هذا القول، والحياة كلُّها لن تتقدَّم إلا إذا أُعطي الأمرُ لأهله، فتُعطى قضايا العلم للعلماء، فتُعطى قضايا العلم للعلماء، وتُعطى قضايا الاختراعات للباحثين

[580] - وُسِدَ: أُسند.
[581] - رواه البخاري في صحيحه (٥٧)، وأحمد في مسنده (٨٣٧٤).
[582] - رواه البخاري في صحيحه (٦٠١٥).
[583] - فتح الباري على صحيح البخاري (١٣/ ١٣٤) لابن حجر.

والمخترعين، ويُعطى القضاء لمن هم قد درسوا قوانين الله وشرعه، ولكن العقل البشري عند اقتراب الساعة لا يُعطى الشيء لأهله. فإذا بدأنا بالقضية الكبرى وهي قضية خلق الحياة والكون فالله سبحانه وتعالى هو الذي خلق، وهو الذي أخبرنا بأنَّه خلق، ومع ذلك يأتي بعض الناس ليقولوا: إنَّ الكون خُلق بالصدفة، أو أنَّ هناك تفاعلات كذا وكذا هي التي فعلت ذلك وغيرها من النظريات الفاسدة التي وجدت من منحرفي الفكر من يناصرها ويسير في هواه!! وحين نُسب الشيء لغير أهله في هذه القضية الكونية الكبرى، وافترى الناس على الله وغرَّهم ما كشف الله لهم من قوانين وأسرار في الكون فظنُّوا أنَّهم قد أوجدوا هذه القوانين، وأنَّهم قد صنعوها بقدرتهم، وإنَّها تتصرَّف وفقًا لإرادتهم عندئذٍ تختل الموازين، ويعبد الإنسان نفسه، فتأتي إرادة الله سبحانه وتعالى لتزيل هذا الزيف كله، ويُدعَى الناسُ للحساب أمام الله، فيرون أنَّهم كانوا عجزة لا يقدرون على شيءٍ، وكانوا عبيدًا لا يملكون شيئًا، ولكن الله هو الذي أعطاهم بقدرته ومنحهم بفضله، فإذا بهم يقابلون ذلك بالكفر بدلاً من الشكر. وهذا هو المعنى الواسع لأن يُسند الأمر لغير أهله. وكلما مرَّ الزمن شهدنا ذلك يبرز على الساحة في العالم فنجد من يقول: انتهى عصر الدين وبدأ عصر العلم، كأنَّما الدين والعلم متعاندان، بينما الدين هو دين الله، والعلم هو

من عند الله، وكلاهما مُثْبِتُ للإيمان، ونرى العالم كلما تقدَّمنا في الزمن يحسب أنَّه قد استطاع أن يسيطر على الأرض بالعلم، ويخضعها لإرادته، ويتحكَّم فيها، بينما العلم لم يخلق شيئًا، وإنَّما استخدم المادة التي خلقها الله والعقل المسخر له من الله في استخدام ما شاء الله من أسرار هذا الكون، فالذي اخترع الصاروخ مثلاً جاء بالمواد الخام التي خلقها الله وأوجدها في الأرض ليصنع منها جسد الصاروخ، فهو لم يخلق المادة التي صنع منها جسم الصاروخ وإنَّما جاء بها من المناجم التي أوجدها الله في الأرض، وقد يكون طوَّرها وقوَّاها بمواد أخرى، لكنَّها كلها جاءت مما أودعه الله سبحانه وتعالى في كونه من نعم وكنوز، فإذا ظن الناس ذلك جاء أمر الله.. قال تعالى: ﴿ ..**حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ** ..﴾ (يونس: ٢٤). كما أنَّ من آثار إسناد الأمر لغير أهله نجد أنَّنا بدلاً من أن نُسَلِّمَ بأنَّ ما هو في الدنيا هو لله سبحانه وتعالى خالقه وموجده، وأنَّه لا شيء في الدنيا يتم على غير إرادة الله تعالى نجد الناس يغرهم ما كشفه الله لهم من علوم، فينسبونها للإنسان وهو الذي لا يستطيع أن يُخضع قانونًا واحدًا من قوانين هذا الكون لإرادته، ومع ذلك فهو

يظن على غير الحقيقة أنَّه قادر على هذا الكون، وأنَّه هو الذي أخضع القوانين بالعلم والتكنولوجيا، حينئذٍ يأتي أمر الله ليعلم الناس الحقيقة. وإذا أخذنا هذا الحديث: **"إسناد الأمر إلى غير أهله"** بأنَّه سيكون هناك حكام وولاة لا يختارون المعاونون لهم لكفاءتهم أو علمهم أو خبرتهم، ولكنهم يختارونهم من المخلصين لهم بغير علم، من الذين يطيعونهم بالحق والباطل، فيعطونهم ما هم ليسوا له بأهل، وهو ما يعبر عنه في العصر الحديث بأهل الثقة وغيرهم أهل الخبرة. فهؤلاء الحكام يعرفون من يصلح للعمل، لكن لأنَّه متمسك بالحقِّ، يأتي هؤلاء الحكام ببديل له من أولئك الذين لا يفقهون شيئًا، وبهذا تبتعد الخبرة عن إرادة العمل، ويصبح الذين يعلمون لا يفعلون شيئًا، والذين لا يعلمون هم الذين يديرون حركة الحياة في الكون كله، وما دامت المسألة تقريب أهل الثقة وإبعاد أهل الخبرة، تكون حركة إشراف الناس على الحياة مختلة فيختل الكون كله، وقد نبهنا رسول الله ﷺ إلى ذلك محذرًا، قال ﷺ: **"من ولي من أمر المسلمين شيئًا، فأمَّر عليهم أحدًا محاباة**[٥٨٤]**، فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً، حتى يدخله جهنم.."**.[٥٨٥] [٥٨٦]

---

[٥٨٤] - المحاباة: الاختصاص والتفضيل.
[٥٨٥] - رواه أحمد في مسنده (٢١)، والحاكم في المستدرك عن أبي بكر الصديق ﷺ، وضعفه الشيخ أحمد شاكر، ووافقه الأرناؤوط والذهبي.
[٥٨٦] - علامات القيامة الصغرى (ص١٦- ٢٠) للشيخ الشعراوي.

## ٣٢- إعجاب كلِّ ذي رأيٍّ برأيه:

قال رسول الله ﷺ: **"وإعجاب كلِّ ذي رأيٍّ برأيه.."**.[٥٨٧] وإعجاب الناس بآرئهم هو البداية للخروج من الحقِّ إلى هوى النفس، كلُّ شخصٍ يقول: هذا رأيي ولابد أن يُتبع، ويحاول بشتى الطرق أن يزيِّن هذا الرأي، ولو بالباطل، وأن يجمع الأدلة عليه ولو كذبًا، فإذا رأى الحق في غير جانبه لم يرجع إليه، على الرغم من أنَّ الرجوع إلى الحقِّ فضيلة، ويرفض أن يُهزم، أو يُؤخذ بغير رأيه، فكان الناس قد وضعوا أنفسهم فوق الحقِّ، بينما الحقُّ هو الذي كان يجب أن يسودَ الجميع وأن يخضع له الناس. ولكن هاهم الناس كلهم يتفنَّنون في الخداع، وكلُّ صاحب رأي يحاول أن يحقق غايته بأي طريق ولو بالضلال، وهكذا يختل ميزان الدنيا لأنَّه قائم على الحقِّ، ويصبح الحقُّ ضائعًا لا صاحب

---

[٥٨٧] - رواه الترمذي في سننه (٢٩٨٤)، وأبو داود في سننه (٣٧٧٨)، وابن ماجة في سننه (٤٠٠٤)، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٥٨٥)، وهو جزء من حديث طويل، سئل أبو ثعلبة الخشني رضي الله عنه: كيف تصنع بهذه الآية: **(يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم)** (المائدة: ١٠٥)؟ قال رضي الله عنه: أما والله لقد سألت عنها خبيرًا، سألتُ عنها رسول الله ﷺ فقال: **"بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيتم شحًا مطاعًا، وهوًى مُتبعًا، ودنيا مُؤثَرَة، وإعجاب كلِّ ذي رأيٍّ برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام، فإن ورائكم أيامًا الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم"** – وفي زيادة -: قيل: يا رسول الله أجر خمسين منا أو منهم؟ قال ﷺ: **"بل أجر خمسين منكم"**.

له؛ لأنَّ كلَّ صاحبِ رأي معتز برأيه بصرف النظر عن الحقِّ، وهذا ما نجده الآن في الدنيا.[588]

## ٣٣- المحاباة وتفضيل النفس:

عن أسيد بن حضير ﷺ أنَّ رجلاً من الأنصار قال: يا رسول الله ألا تستعملني كما استعملت فلانًا؟ قال رسول الله ﷺ قال: **"ستلقَوْن بعدي أثرة[589] فاصبروا حتى تلقوني على الحوض"**.[590] وعن أنس ﷺ قال رسول الله ﷺ: **"سترون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني"**،[591] وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" ستكون أثرةٌ وأمورٌ تنكرونها"**، قالوا: فما تأمرنا؟ قال ﷺ: **"تؤدون الحقَّ الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم"**.[592]

[588] - علامات القيامة الصغرى (ص١٤، ١٥) للشيخ الشعراوي.

[589] - الأثرة: تفضيل النفس وتقديمها بالشيء دون الغير.

[590] - رواه البخاري في صحيحه (٣٥٠٨)، ومسلم في صحيحه (٣٤٣٢)، والترمذي في سننه (٢١١٥)، النسائي في سننه (٥٢٨٨)، وأحمد في مسنده (١٨٣٠٥).

[591] - رواه البخاري في صحيحه (٢٢٠٣)، وأحمد في مسنده (١١٦٤٢)..

[592] - رواه البخاري في صحيحه (٣٣٣٥)، ومسلم في صحيحه (٣٤٣٠)، والترمذي في سننه (٢١١٦)، وأحمد في مسنده (٣٤٥٨).

قال الحافظ ابن حجر: لم يخص النبيُّ ﷺ هذا الرجل بذلك العمل لذاته ومكانته عنده، ولكن لعموم مصلحة المسلمين، وأنَّ الاستئثار للحظ الدنيوي إنَّما يقع بعده، وأمرهم النبيُّ ﷺ عند وقوع ذلك بالصبر عليه والزهد فيه.[٥٩٣]

## ٣٤- انتشار شهادة الزور وكتمان الحقِّ:

قال تعالى محذرًا: ﴿..وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ (الحج: ٣٠)، وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: كُنَّا عند رسول الله ﷺ فقال ﷺ: **"ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟** – قالها ثلاثًا–: **الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور** – أو قال ﷺ –: **قول الزور"**، وكان رسول الله ﷺ متكئًا فجلس، فما زال يكرِّرها حتى قلنا ليته سكت.[٥٩٤] والكبائر: جمع كبيرة وهي السيئة العظيمة التي خطيئتها في نفسها كبيرة، وعقوبة فاعلها عظيمة بالنسبة إلى معصيةٍ ليست بكبيرةٍ، وقيل: الكبيرة ما أوعد عليه الشارع بخصوصه، وقيل: ما عُيِّنَ له حَدٌّ، وقيل: النسبة إضافية فقد يكون الذنب كبيرة بالنسبة لما دونه صغيرة بالنسبة إلى فوقه، وقد يتفاوت باعتبار الأشخاص والأحوال، وقد بسط الحافظ (ابن حجر) الكلام في

[٥٩٣] - فتح الباري على صحيح البخاري لابن حجر.
[٥٩٤] - رواه البخاري في صحيحه (٢٤٦٠)، ومسلم في صحيحه (١٢٦)، والترمذي في سننه (١٨٢٣، ٢٢٢٤، ٢٩٤٥)، وأحمد في مسنده (١٩٤٩٩،١٩٤٩١).

تفسيره الكبيرة والصغيرة وما يتعلَّق بهما في الفتح (فتح الباري شرح صحيح البخاري) في باب عقوق الوالدين من الكبائر من كتاب الأدب، والنووي في شرح مسلم في باب الكبائر وأكبرها من كتاب الإيمان.[٥٩٥] وهكذا حذَّر رسول الله ﷺ من شهادة الزور وعدَّها من أكبر الكبائر، وعن أنس رضي الله عنه قال: سُئل النبيُّ ﷺ عن الكبائر، فقال ﷺ: **"الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وشهادة الزور"**،[٥٩٦] وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: عدلت شهادة الزور الإشراك بالله ثلاث مرات، ثم قرأ الآية: ﴿.. **وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ** ﴾ (الحج: ٣٠)[٥٩٧]

وشهادة الزور هي الكذب متعمدًا في الشهادة، فكما أنَّ شهادة الزور سبب لإبطال الحقِّ، فكذلك كتمان الشهادة سبب لإبطال الحقِّ، قال تعالى: ﴿..**وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ** ..﴾ (البقرة: ٢٨٣) وقد أخبر النبيُّ ﷺ بالسنوات الخداعات التي تنهار فيها القيم والمبادئ قبل قيام الساعة، وعدَّها من علامات الساعة الصغرى والتي تحققت اليوم نراها جهارًا

[٥٩٥] - تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي.
[٥٩٦] - رواه البخاري في صحيحه (٢٤٥٩)، ومسلم في صحيحه (١٢٧، ١٢٨)، والترمذي في سننه (١١٢٨، ٢٩٤٤)، والنسائي في سننه (٣٩٤٥، ٤٧٨٤)، وأحمد في مسنده (١١٨٨٦، ١١٩٢٣).
[٥٩٧] - رواه الطبراني بإسنادٍ حسن.

نهارًا – نسأل الله العافية – فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"إنَّ بين يدي الساعة تسليمَ الخاصةِ، وفُشُوَّ التجارةِ حتى تعينَ**[598] **المرأةُ زوجَهَا على التجارةِ، وقطعَ الأرحامِ، وشهادةَ الزورِ وكتمانَ شهادةِ الحقِّ، وظهورَ القلمِ"**.[599]

## ٣٥- تَفَشِّي الكذبُ:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا تقومُ الساعةُ حتى تظهرَ الفتنُ ويكثرَ الكذبُ"**،[600] وعنه ﷺ قال رسول الله ﷺ: **"سيأتي على الناسِ سنواتٌ خدَّاعاتٌ يُصَدَّقُ فيها الكاذبُ، ويُكَذَّبُ الصادقُ، ويُؤتمنُ فيها الخائنُ، ويُخوَّنُ فيها الأمينُ.."**.[601] وعنه ﷺ قال رسول الله ﷺ: **"سيكون في آخر أمتي أناسٌ يحدِّثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإيَّاهم"**[602] – وفي رواية لأحمد -: **"سيكون في أمتي دجَّالون كذَّابون يحدِّثونكم ببدعٍ من الحديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإيَّاكم وإيَّاهم، لا يفتنوكم"**.[603] قال النووي –

---

[598] - في بعض الروايات والنسخ (تعيب).

[599] - رواه أحمد في مسنده (٣٦٧٦) وقال العلامة أحمد شاكر: صحيح، ورواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٩٨) وصححه ووافقه الذهبي.

[600] - رواه أحمد في مسنده ( ١٠٣٠٦)، وابن حبان في صحيحه (٦٧١٨)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

[601] - رواه ابن ماجة في سننه (٤٠٢٦)، وأحمد في مسنده (٧٥٧١)، والحاكم في المستدرك وصححه، ووافقه الذهبي والألباني.

[602] - رواه مسلم في صحيحه (٧)، وأحمد في مسنده (٧٩١٩).

[603] - رواه أحمد في مسنده (٨٢٤١).

الله – في أشراط الساعة: وما أكثر الأحاديث الغريبة في هذا الزمان فقد أصبح بعض الناس لا يتورَّع عن كثرة الكذب، ونقل الأقوال بدون تثبت من صحتها، وفي هذا إضلال للناس وفتنة لهم، ولهذا حذَّر النبيُّ ﷺ من تصديقهم، وقد جعل علماء الحديث هذه الأحاديث أصلاً في وجوب التثبُّت في نقل الأحاديث عن رسول الله ﷺ وتمحيص الرواة لمعرفة الثقة من غيره، وبسبب كثرة كذب الناس في هذا الزمن أصبح الإنسان لا يميز بين الأخبار فلا يعرف صحيحها من سقيمها.[٦٠٤]

ويقول الشيخ الشعراوي –رحمه الله-: يُستحلُّ الكذب في ذاك الوقت وكأنَّه قد أصبح حلالاً يتعامل به كلُّ الناس، وأصبح مقبولاً في المجتمع فلا يُنفر منه ولا يستنكره أحدٌ، والكذب هو انفصال الكلام عن الواقع، فأنت إذا قلت: محمد عندي، ولم يكن عندك فقد انفصل كلامك عن الواقع الحقيقي، ولذلك يُقال: كذب، واستحلال الكذب معناه أنَّ القول قد انفصل عن الفعل في حباة المجتمع، كلامه شيءٌ وفعله شيءٌ آخر، ويصبح الناس كلامهم غير أفعالهم، فما يقوله الناسُ شيئًا وما يفعلونه شيئًا آخر تمامًا، فقد انفصل واقع الحياة عن أولئك الذين يعيشون فيها. والإنسان لا يكذب إلا إذا كان يريد أن

[٦٠٤] - صحيح مسلم بشرح النووي (١/ ١١١، ١١٢).

يخفي خطيئة، فإذا رأى إنسانٌ امرأةً معك وسألكَ عمَّن معك فإن كانت زوجتك فإنَّك تقول بغير حرجٍ هذه زوجتي، أما إذا كانت غير ذلك فإنَّك تحاول أن تخفي هذه الخطيئة بالكذب، وإذا كنت تحصي مالاً حلالاً ودخل عليك من يسألك عنه تقول: هو مالي بلا خوفٍ ولا تردُّدٍ، فإذا كان مالاً حرامًا حاولت الكذب لتخفي هذه الخطيئة، وهكذا نرى أن معنى استحلال الناس الكذب أن يكون المجتمع مليئًا بالخطايا، ولذلك يحاول الناس أن يكذبوا لتغطية خطاياهم، فإذا رأيتَ مجتمعًا يملؤه الكذب، فاعلم أنَّه تملؤه الخطيئة، وإذا رأيت مجتمعًا يعيش بالصدق فاعلم أنَّه مجتمع خطاياه قليلة.[٦٠٥]

## ٣٦- بيع المناصب بالرشوة:

عن عبس الغفاري ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **"بادروا بالموتِ ستًّا إمرة السفهاء، وكثرة الشرط، وبيع الحكم –ثم ذكر بقيتهن"**،[٦٠٦] وعن عوف بن مالك ﷺ قال: يا طاعون خذني إليك! قيل له: أليس قد سمعتَ رسول الله ﷺ يقول: **"ما عَمَّرَ المسلمُ كان خيرًا له"**. قال ﷺ: بلى – قال ﷺ –

[٦٠٥] - علامات القيامة الصغرى (ص٢٧- ٢٨) للشيخ الشعراوي.

[٦٠٦] - رواه أحمد في المسند (١٥٤٦٢)، والطبراني في الكبير، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح، وإسناد أحمد ضعيف، وتتمة الحديث: **".. واستخفافًا بالدم، وقطيعة الرحم، ونشئًا يتخذون القرآن مزامير يقدمونه يغنيهم وإن كان أقل منهم فقهًا"**.

**ولكني أخافُ ستًّا: إمارة السفهاء، وبيعَ الحكم، وكثرةَ الشرط- وذكر بقيتهن".**[607]

قال الله في كتابه الكريم محذرًا: ﴿ **وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨)** ﴾ (البقرة: ١٨٨). قال الإمام الذهبي: لا تدلوا بأموالكم إلى الحكام أي لا تصانعوهم بها، ولا ترشوهم ليقتطعوا لكم حقًا لغيركم، وأنتم تعلمون أنَّه لا يحلُّ لكم.[608] ومن ذلك نيل المناصب بالرشوة، فعن أمِّ سلمة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم".**[609] قال ابن مسعود رضي الله عنه: الرشوة – في الحكم- كفر، وهي بين الناس سحت.[610]

قال الإمام الذهبي: الراشي هو الذي يعطي الرشوة، والمرتشي هو الذي يأخذ الرشوة، وإنَّما تلحق اللعنة الراشي إذا قصد بها أذية مسلم، أو أن ينال بها ما لا يستحق، أما إذا أعطى ليتوصل إلى حقٍّ له، أو ليدفع عن نفسه ظلمًا، فإنَّه

---

[607] - رواه أحمد في مسنده (٢٢٨٤٥)، والطبراني في الكبير، وتتمة الحديث: **"..وقطيعة الرحم، ونشئًا ينْشَئُون يتخذون القرآن مزامير، وسفكَ الدماء".**

[608] - كتاب الكبائر (ص٢٦٠) للذهبي.

[609] - رواه الترمذي في سننه (١٢٥٦) وحسَّنه، وأحمد في مسنده (٨٦٦٢)، وابن حبان في صحيحخ، والحاكم في مستدركه وصححه ووافقه الذهبي.

[610] - حديث موقوف بإسناد صحيح رواه الطبراني في معجمه.

غير داخل في اللعنة، أما الحاكم فالرشوة عليه حرام سواء أبطل حقًا أو دفع ظلمًا.[611]

قال ابن مسعود ﷺ: الرشوة – في الحكم- كفر، وهي بين الناس سحت.[612]

قال الإمام ابن الأثير في "النهاية": الرشوة هي الوصلة إلى الحاجة بالمصانعة، وأصله من الرشا[613] الذي يتوصَّل به إلى الماء، فالراشي من يعطي الذي يعينه على الباطل، والمرتشي الآخذ، والرائش الذي يسعى بينهما يستزيد لهذا أو ينتقص لهذا، فأمَّا من يعطي توصيلاً إلى أخذ حقٍّ أو دفع ظلمٍ فغير داخل فيه، وقد رُوي أن ابن مسعود ﷺ أُخذ بأرض الحبشة في شيءٍ فأعطى دينارين حتى خُلِّيَ سبيله، وروى عن جماعة من أئمة التابعين قالوا: لا بأس بأن يصانع الرجل عن نفسه وماله إذا خاف الظلم، وقال صاحب "المرقاة شرح المشكاة": الرشوة ما يُعطَى لإبطال حقٍّ أو لإحقاق باطلٍ، أمَّا إذا أُعطِيَ ليتوصَّل به إلى حقٍّ أو ليدفع به عن نفسه ظلمًا فلا بأس به، وكذا الآخذ إذا أخذ ليسعى في إصابة صاحب الحقِّ فلا بأس به، لكن هذا ينبغي أن يكون في غير القضاة

---

[611] - كتاب الكبائر (ص٢٦٠) للذهبي.
[612] - حديث موقوف بإسناد صحيح رواه الطبراني في معجمه.
[613] - الرشا: وهو الحبل الذي يربط به الدلو الذي يتوصل في البئر إلى الماء.

والولاة، لأنَّ السعي في إصابة الحقِّ إلى مستحقه ودفع الظلم عن المظلوم واجب عليهم فلا يجوز لهم الأخذ عليه.[614]

## ٣٧- أخذ المال بغير حقِّه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"ليأتين على الناسِ زمانٌ لا يبالي المرءُ بما أخذَ المالَ، أَمِنْ حلالٍ أم من حرامٍ؟"**،[615] قال الشيخ الشعراوي: من علامات القيامة أنَّ يُؤخذ المال بغير حقِّه، فينتشر المال الحرام حتى تصبح الصفة الغالبة في المجتمع هي أن يحصل الناس على المال بدون عمل، فتكثر السرقة، والرشوة، والنصب، والاختلاس، ويتحايل الناس بالمشروعات الوهمية ليحصلوا على الأموال بالباطل.[616]

## ٣٨- انتشار الرِّبَا:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: **"اجتبنوا السبع المبوقات!"** قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال صلى الله عليه وسلم: **"الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس**

---

[614] - تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي.

[615] - رواه البخاري في صحيحه (١٩٤١)، والنسائي في سننه (٤٣٧٨)، وأحمد في مسنده (٩٢٤٧)، والدارمي في سننه (٢٤٢٤).

[616] - علامات القيامة الصغرى (ص ٣٧) للشيخ الشعراوي.

**التي حرم الله إلا بالحقِّ، وأكل الرِّبَا، وأكل مال اليتيم، والتولِّي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات"**،[٦١٧] وعن جابر ﷺ لعن النبيُّ ﷺ آكل الرِّبا ومُؤْكِلَهُ وكاتبه وشاهديه وقال هم سواءٌ.[٦١٨] قال الإمام النووي: هذا تصريحٌ بتحريم كتابة المبايعة بين المترابين والشهادة عليهما، وفيه تحريم الإعانة على الباطل.[٦١٩]

عن ابن مسعود ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **"بين يدي الساعة يظهر الرِّبَا، والزِّنَا، والخمر.."**.[٦٢٠] وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **"من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة: إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة، وأضاعوا الأمانة، وأكلوا الربا..** – وذكر بقيتهن"،[٦٢١] وعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"ليأتين على الناسِ زمانٌ لا يبقى أحدٌ إلا أكل الرِّبَا، فإن لم يأكله أصابه غباره**[٦٢٢]– وفي رواية– **أصابه بخاره"**.[٦٢٣]

[٦١٧] - رواه البخاري في صحيحه (٢٥٦٠، ٦٣٥١)، ومسلم في صحيحه (١٢٩)، والنسائي في سننه (٣٦١١)، أبو داود في سننه (٢٤٩٠).

[٦١٨] - رواه مسلم في صحيحه (٢٩٩٥)، وأحمد في مسنده (١٣٧٤٤) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، ورواه الترمذي (١١٢٧)، وأبو داود (٢٨٩)، وابن ماجة في سننه (٢٢٦٨)، وأحمد في مسنده (٣٥٣٩) عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

[٦١٩] - صحيح مسلم بشرح النووي.

[٦٢٠] - رواه المنذري في الترغيب والترهيب، وقال: رواه الطبراني ورواته رواة الصحيح.

[٦٢١] - رواه أبو نعيم في الحلية.

[٦٢٢] - رواه النسائي في سننه (٤٣٧٩)، وابن ماجة في سننه (٢٢٦٩).

[٦٢٣] - رواه أبو داود في سننه (٢٨٩٣).

وعن ابن مسعود ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: **"ما ظهر في قومٍ الزنا والرِّبَا إلا أحلُّوا بأنفسهم عذاب الله"**.[٦٢٤]

## ٣٩- انتشارُ الشُّحُّ:

قال العلماء: الشحُّ أشدُّ من البخل، وأبلغ في المنع من البخل، وقيل: هو البخل مع الحرص، وقيل: البخل في أفراد الأمور والشحُّ عام، وقيل: البخل في أفراد الأمور والشحُّ بالمال والمعروف، وقيل: الشحُّ الحرص على ما ليس عنده والبخل بما عنده.[٦٢٥] عن أبي هريرة ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ: **"لا يجتمع الشحُّ والإيمانُ في قلب عبدٍ أبدًا"**.[٦٢٦]

قال رسول الله ﷺ: **"إنَّ مِنْ أشراطِ الساعةِ أنْ يظهرَ الشحُّ والفحشُ، ويُؤتمن الخائنُ، ويُخوَّنُ الأمينُ.."**.[٦٢٧] وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"يتقارب**

---

[٦٢٤] - رواه أبو يعلى في مسنده بإسنادٍ جيدٍ.

[٦٢٥] - صحيح مسلم بشرح النووي.

[٦٢٦] - رواه النسائي في سننه (٣٠٦٠، ٣٠٦١)، وأحمد في مسنده (٨١٥٦).

[٦٢٧] - رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة ﷺ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٢٧): رجاله رجال الصحيح غير أحد رواته وهو ثقة.

**الزمان، وينقص العملُ، ويُلقى الشُّحُّ.."**،[628] وعن معاوية ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **"لا يزدادُ الأمرُ إلا شدَّة، ولا يزدادُ الناسُ إلا شُحًّا"**.[629]

قال الشيخ الشعراوي – رحمه الله -: الشحُّ يعني أنَّ كلَّ إنسان لا يعطي ما عنده، بل يبخل به، وليس الشحُّ هنا شحُّ المال، ولكنَّه شحٌّ في كلِّ شيءٍ، الصانع لا يعطي صنعتَهُ كلَّ علمه وإتقانه، والأستاذ لا يعطي تلاميذه كلَّ ما يعلم، بل يعطيهم على قدر الأجر، فجزء في المدرسة وجزء في الدرس الخصوصي، ويبخل الناسُ بمالهم فلا ينفقونه في سبيل الله، ولا يعطونه للفقير المحتاج، ويبخل العاملُ بعمله فتجد أنَّه قادر على أن ينتج ولكنه لا ينتج، فهناك بخلٌ من كلِّ ذي قدرة بقدرته، وبخلٌّ من كلِّ ذي علمٍ بعلمه، وبخلٌ من كلِّ ذي جاه بجاهه، عندئذٍ تنحدر الإنسانية إلى أسفل السافلين لأنَّ كلَّ جيلٍ سيأخذُ من علم الجيل الذي قبله القشور، وبهذا تضمحلُّ الحضارات جيلاً بعد جيلٍ، هذا هو: الشُّحُّ المُطاع، ولعلنا نشهده الآن في الدنيا كلِّها، أنَّ كلَّ جيلٍ هو أقل عطاءً من الجيل الذي قبله، ويقل العطاء كلما مضت الأيام، وهكذا نجد في كلِّ أوجه الحياة شُحًّا مطاعًا ينبئنا عن بداية انحدار اُنسانية إلى

---

[628] - رواه البخاري في صحيحه (٦٥٣٧)، ومسلم في صحيحه (٤٨٢٧)، أبو داود في سننه (٣٧١٣)، وابن ماجة في سننه (٤٠٤٢)، وأحمد في مسنده (٦٨٨٩).

[629] - رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٤) وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

الهاوية..[٦٣٠] لذا حذَّر رسولُ الله ﷺ فقال: **"اتقوا الشُّحَّ فإنَّ الشُّحَّ أهلك مَنْ كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلُّوا محارمهم"**.[٦٣١] قال القاضي عياض: يحتمل أن هذا الهلاك هو الهلاك الذي أخبر به الله في الدنيا بأنَّهم سفكوا دماءهم ويحتمل أن هلاك الآخرة، وهذا الثاني أظهر ويحتمل أنَّه أهلكهم في الدنيا والآخرة.[٦٣٢]

## ٤٠- انتشار الفحشُ والتفحشُ:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنَّ رسول الله قال: **"إنَّ اللهَ يبغضُ الفحشَ والتفحُّشَ، والذي نفسي بيده لا تقومُ الساعةُ حتى يُخَوَّنَ الأمينُ ويُؤتمنُ الخائنُ، ويظهرَ الفحشُ التفحشُ، وقطيعة الرحم، وسوء الجوار.."**،[٦٣٣] وعن أنس ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: **"ومن أشراط الساعة الفحش، والتفحُّش، وقطيعة الرحم، وتخوين الأمين، وائتمان الخائن"**.[٦٣٤]

---

[٦٣٠] - علامات القيامة الصغرى (ص١١- ١٣) للشيخ الشعراوي.

[٦٣١] - رواه مسلم في صحيحه (٤٦٧٥)، وأحمد في مسنده (١٣٩٣٧) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

[٦٣٢] - صحيح مسلم بشرح النووي.

[٦٣٣] - جزء من حديث رواه أحمد في مسنده (٦٥٧٧)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، ورواه الحاكم في المستدرك.

[٦٣٤] - رواه الطبراني في الأوسط، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله ثقات.

وهذا بلا شك واقع حياتنا اليوم إذ تقرع آذاننا في الطرقات أقذع ألفاظ السبِّ والشتم واللعن بصورة فجَّة، لو أنَّ شِقَّ كلمةٍ منها قيلت على عهد الصحابة لأقيم على أصحابها حد القذف! ولم يقتصر الأمر على الطرقات بل يسود كثير من البيوت عدم الانضباط بالشرع أو التحرُّز من الفاحش من القول بين الزوجين مما ينعكس على تربية الأبناء، فالرجل يجري على لسانه الحلف بالطلاق في كلِّ وقتٍ وحين، والنساء يسئن القول لأزواجهن، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"يا معشر النساء تصدَّقن فإنِّي أُريتكن أكثر أهل النار"**. قلن: وبم يا رسول الله؟ قال ﷺ: **"تكثرن اللعن**[٦٣٥] **وتكفرن العشير**[٦٣٦]**"**.[٦٣٧]

ونجد صورًا كثيرةً من الفحش في محيط العمل، والقرابة، الجوار، وليس اعتباطًا أن يُردف انتشار الفحش والتفحش بقطع الرحم والإساءة إلى الجار في قوله ﷺ: **" لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفحش، وقطيعة الرحم، وسوء الجوار"**،[٦٣٨] لذا حذَّر رسول الله ﷺ منه، فعن عبد الله بن عمرو رضي

[٦٣٥] - اللعن: السب والشتم.
[٦٣٦] - العشير هو الزوج، والمقصود بكفرها له جحد فضله.
[٦٣٧] - رواه البخاري في صحيحه (٢٩٣، ١٣٦٩).
[٦٣٨] - جزء من حديث رواه أحمد في مسنده (٦٥٧٧)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، ورواه الحاكم في المستدرك.

الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:**"الظلم ظلماتٌ يوم القيامة، وإيَّاكم والفحشَ فإنَّ اللهَ لا يحبُ الفحشَ والتفحُّشَ.."**.[639]

## ٤١- كثرة النساء وقلة الرجال:

عن أنس ﷺ قال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ لا يحدثكم أحدٌ بعدي، سمعه منه – قال رسول الله ﷺ-: **"إنَّ من أشراطِ الساعةِ أن يُرفعَ العلمُ، ويظهرَ الجهلُ، ويفشو الزِّنا، ويُشربَ الخمرُ، ويذهبَ الرجالُ، وتبقى النساءُ حتى يكون لخمسين امرأةً قيِّمٌ[640] واحدٌ"**،[641] وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **"ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب، ثم لا يجد أحدًا يأخذها منه، ويرى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يلذن به[642] من قلة الرجال وكثرة النساء"**.[643]

[639] - رواه أحمد في مسنده (٦١٩٩).
[640] - القيِّم: أي من يقوم بأمرهن، (ال) للعهد إشعارًا بما هو معهود من كون الرجال قوامين على النساء.
[641] - رواه مسلم في صحيحه (٤٨٢٥)، والبخاري في صحيحه (٦٣١٠)، والترمذي في سننه (٢١٣١)، وابن ماجة في سننه (٤٠٣٥)، وأحمد في مسنده (١١٧٦٤)، واللفظ لمسلم.
[642] - يلذن به: يستترن به ويحترزن، من الملاذ وهو الستر لا من اللذة.
[643] - رواه البخاري في صحيحه (١٣٢٥)، ومسلم في صحيحه (١٦٨٠).

قال النووي: يقل الرجال بسبب القتل، وتكثر النساء، فلهذا يكثر الجهل والفساد، ويظهر الزِّنا والخمر.[٦٤٤]

قال القرطبي: يريد والله أعلم أنَّ الرجال يُقتلون في الملاحم وتبقى نساؤهم أرامل فيقبلن على الرجل الواحد في قضاء حوائجهن ومصالح أمورهن، ويكون لخمسين امرأة القيِّم الواحد أي يسوسهن ويقوم عليهن من بيعٍ، وشراءٍ، وعطاءٍ، وقال أبو عبد الملك: هو إشارة إلى كثرة الفتوح فتكثر السبايا فيتخذ الرجل الواحد عدة موطوءات[٦٤٥]، وقال القرطبي: يحتمل أن يراد بالقيِّم من يقوم عليهن سواء كن موطوءات أم لا، وقال: ويحتمل أن يكون ذلك يقع في الزمان الذي لا يبقى فيه من يقول الله فيتزوَّج الواحد بغير عدد جهلاً بالحكم الشرعي.[٦٤٦]

قال الحافظ ابن حجر في "الفتح" في قوله ﷺ: **"وتكثر النساء"**: وسببه أنَّ الفتن تكثر فيكثر القتل في الرجال لأنَّهم أهل الحرب دون النساء، ويقول ابن حجر كذلك في حديث أبي موسى رضي الله عنه في الزكاة أنَّ سببه **"قلة الرجال وكثرة النساء"**: وهي علامة محضة لا لسببٍ آخر بل يقدِّر الله في آخر الزمان أن يقلَّ

---

[٦٤٤] - صحيح مسلم بشرح النووي.
[٦٤٥] - وطءُ الرجل امرأته أي إيانها كزوجة.
[٦٤٦] - التذكرة (ص٦٦١، ٦٦٢) للقرطبي.

من يولد من الذكور، ويكثر من يولد من الإناث، وكون كثرة النساء من العلامات مناسبة لظهور الجهل ورفع العلم. وقوله: **"لخمسين"** يحتمل أن يُراد به حقيقة هذا العدد أو يكون مجازًا عن الكثرة ويؤيد ذلك ما رواه أبو موسى الأشعرى ﷺ: عن رسول الله ﷺ: **"وترى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة"**.[٦٤٧]

ويقول الحافظ ابن حجر: **"يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزِّنا، ويُشرب الخمر، وتكثر النساء"**، وكأنَّ هذه الأمور الخمسة خُصَّت بالذِكْرِ لكونها مشعرة باختلال الأمور التي يحصل بحفظها صلاح المعاش وهي: الدِّين لأنَّ رفع العلم يخلُّ به، والعقل لأنَّ شرب الخمر يخلُّ به، والنسب لأنَّ الزِّنا يخلُّ به، والنفس والمال لأنَّ الفتن تخلُّ بهما.[٦٤٨] وقال الكرماني: وإنَّما كان اختلال هذه الأمور مؤذنًا بخراب العالم لأنَّ الخلق لا يُتركون هملاً، ولا نبيَّ بعد نبينا صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين، فيتعين ذلك.[٦٤٩]

---

[٦٤٧] - فتح الباري على صحيح البخاري (١/ ٢٤١، ٢٤٢) لابن حجر.
[٦٤٨] - المصدر السابق.
[٦٤٩] - المصدر السابق.

وروى أبو داود الطيالسي[٦٥٠] عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "كان يقال من أشراط الساعة أن تتخذ المساجد طرقًا، وأن يسلِّم الرجلُ على الرجلِ بالمعرفةِ، وأن يتجرَ الرجلُ وامرأتُهُ جميعًا، وأن تغلو مهورُ النساءِ والخيلِ، ثم ترخصُ فلا تغلو إلى يوم القيامة".[٦٥١] فزيادة المهور واقعٌ كائنٌ وهي بلا شك من أسباب زيادة العنوسة ومع زيادة عدد النساء بالصورة المشار إليها في الأحاديث أن للقيِّم خمسين أو أربعين امرأة مما يقعن في عصمة الرجل شرعًا ومن نسائه كأهله وجيرانه وأقاربه، سيكون سببًا في حدوث انخفاض المهور.

## ٤٢ – سلطان النساء:

ويكون السلطان والقوة للنساء فيحكمن الرجال في كل الأمور،[٦٥٢] فنرى في زماننا النساء يشاركن الرجال في القضاء والوزارات ونجد منهن من ترأس المؤسسات والإدارات، بل والحكومات في كثير من دول العالم، وفي كثيرٍ من دور المسلمين نجد صورًا من سوء تبعُّل المرأة لزوجها نظرًا لانتشار سوء

---

[٦٥٠] - سليمان بن داود الطيالسي. مُحدِّث، من الحفاظ المتقنين، جمعت أحاديثه في مسند عُرف باسم مسند الطيالسي. فارسي الأصل. ولد عام ١٣٣هـ. سكن البصرة، ورحل إلى بلدان كثيرة. روى عن ألف شيخ، وروى عنه أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، وغيرهما. توفي بالبصرة عام ٢٠٤هـ.

[٦٥١] - التذكرة (ص٦٦١) للقرطبي.

[٦٥٢] - علامات القيامة الصغرى (ص٣٧) للشيخ الشعراوي.

الأخلاق، وتفشِّي الفساد في المجتمع، وسوء الظروف الاقتصادية التي جعلت يدَ الزوج مغلولة فهو ضعيف الحيلة قد تشاركه الزوجة في العمل حتى أصبحت تتصارع معه في القوامة، وقد تشاركه المال والتجارة، بل وتعيب عليه وتوجِّهه كما أخبر الرسول ﷺ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **"إنَّ بين يدي الساعة تسليمَ الخاصةِ، وفُشُوَّ التجارة حتى تعينَ المرأةُ زوجها على التجارة – وفي رواية– : حتى تعيبَ زوجَهَا على التجارةِ"**،[٦٥٣] وعنه رضي الله عنه قال: "إنَّ من أشراط الساعة أن تُتَّخَذَ المساجدَ طرقًا، وأن يسلِّمَ الرجلُ على الرجلِ بالمعرفة، وأن يتَّجرَ الرجلُ وامرأته جميعًا.."[٦٥٤] وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **"من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة: – ذكر منهن – وشاركت المرأةُ زوجها في التجارة"**.[٦٥٥]

ومن سيادة المرأة على زوجها أن يقدِّمها على أمِّهِ، قال رسول الله ﷺ: **"إذا فعلت أمتي خمسَ عشرةَ خصلة حلَّ بها البلاء"**، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال ﷺ: **"إذا كان المغنم دولاً، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وأطاع الرجلُ**

[٦٥٣] - رواه أحمد في مسنده (٣٦٧٦، ٣٧٨٥)، والحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي.
[٦٥٤] - رواه أبو داود الطيالسي، وانظر التذكرة (ص٦٦١) للقرطبي.
[٦٥٥] - أبو نعيم في الحلية.

**زوجته وعقَّ أمَّهُ.."**[٦٥٦]- وفي رواية أخرى أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **"..وأطاع الرجل امرأته وعقَّ أمَّهُ.."**.[٦٥٧]

## ٤٣- ظهورُ نساءٍ كاسياتٍ عارياتٍ:

قال رسول الله ﷺ: **"صنفانُ من أهل النار لم أرهما: قومٌ معهم سياطٌ كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مائلاتٌ مميلاتٌ رءوسهن كأسنمة البُخت**[٦٥٨] **المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا"**.[٦٥٩] فقد أخبر النبيُّ ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى بما تحقَّق بين أيدينا اليوم من النساء المتبرجات السافرات اللآئي خرجن عن الحياء ووصفهن النبيُّ ﷺ بقوله: **"كاسيات عاريات"**، أي كاسيات من نعم الله عاريات من شكرها، وقيل: كاسيات من الثياب عاريات من الدين، وقيل أنَّ المقصود من وراء المعنى ما يظهرن به من ثيابٍ رقاقٍ تُظْهِر ما خلفها، فهن كاسيات في الظاهر عاريات في الحقيقة. وقال في وصفهن أنَّهن **"مائلات**

---

[٦٥٦] - رواه الترمذي في سننه (٢١٣٦) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي برقم (٣٨٦)، وتتمة الحديث: **".. وبرَّ صديقه وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأُكرم الرجلُ مخافة شرِّه، وشُربت الخمور، ولُبس الحريرُ، واتُّخذت القينات والمعازف، ولعن آخرُ هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء أو خسفًا، أو مسخًا "**(الحديث).

[٦٥٧] - رواه الترمذي في سننه (٢١٣٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه وقال: وهذا حديث غريب، ووقد خرجه الشيخ أبو عبد الله الأنصاري في هامش كتاب التذكرة للقرطبي (ص٦٦٧) قال: حديث ضعيف لوجود أحد المجهولين في سنده، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي برقم (٣٨٧).

[٦٥٨] - البخت: الإبل الضخمة.

[٦٥٩] - رواه مسلم في صحيحه (٣٩٧١)، وأحمد في مسنده (٨٣١١، ٩٣٠٣)، ومالك في الموطأ (١٤٢١).

**مميلات"**: أي مائلات عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه من طاعة أزواجهن، مميلات يعلِّمن غيرهن مثل فعلهن، أو يكون المعنى أنَّهن متبخترات متكسرات في مشيهن مميلات رءوسهن وأعطافهن فتميل لهن قلوب الرجال بها تبدين من زينتهن، وقيل: مائلات يمتشطن المشطة الميلاء، وهي مشطة البغايا، ومميلات: يمشطن غيرهن تلك المشطة، كما وصفَّ الصادقُ ﷺ وصفًا دقيقًا لبعضهن بأنَّ رءوسهن كأسنمة البُخْتِ وهي الجمال عظيمة الرءوس والأعناق فهن النساء الذين يعظِّمن رءوسهن بلفِّها بعصابةٍ، أو عمامةٍ، أو خُمُرٍ، وما يتعلَّق بها من أنواع الزينة، وقد ظهرت في عصرنا بيوت أزياء المحجبات التي لا تعرض ما يتفق بأي حالٍ من الأحوال مع الحجاب الشرعي بضوابطه وشروطه التي حددها الشرع، وظهر ذلك بما عُرف باسم "موضة المحجبات" ليلبسوا علينا ديننا -أضلهم الله.

## ٤٤- استحلال المعازف والغناء:

قال رسول الله ﷺ: **"ليكونن في أمتي أقوامٌ يستحلُّون الحِرَ[٦٦٠] والحريرَ والخمرَ والمعازفَ[٦٦١]، ولينزلن أقوامٌ إلى جنبِ عَلَمٍ[٦٦٢] يرُوحُ[٦٦٣] عليهم بسارحةٍ[٦٦٤]**

[٦٦٠] - الحِرُّ: الفرج، ويستحلونه أي بالزنا.
[٦٦١] - المعازف: آلات الطرب كالعود والطنبور، ومفردها: مِعْزَفٌ.

لهم، يأتيهم يعني الفقيرَ لحاجةٍ، فيقولوا: ارجع إلينا غدًا فَيُبَيِّتُهُم اللهُ ويضعُ العلمَ ويمسخُ آخرين قردةً وخنازيرَ إلى يومِ القيامةِ"،[665] فهم ينشغلون بالحرام من شرب الخمر، والزِّنَا، والاستمتاع بالحرير والمعازف عن إيتاء حقِّ الله من إعطاء الفقير فينزل الله تعالى بهم عقابه، وعن سهل بن سعد ﵁ أنَّ رسول الله ﷺ قال: "**سيكون في آخر الزمان خسفٌ، وقذفٌ، ومسخٌ**". قيل: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال ﷺ: "**إذا ظهرت المعازف والقَيْنَات**[666] **واستحلت الخمر**".[667]

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "**يُمسَخُ قومٌ من أمتي في آخر الزمان قردة وخنازير**". قيل: يا رسول الله، ويشهدون أن لا إله إلا الله، وأَنَّكَ رسول الله؟! قال ﷺ: "**يتخذون المعازف والقَيْنَات والدفوف ويشربون الأشربة – أي الخمر– فباتوا على شربهم ولهوهم فأصبحوا وقد مُسخوا قردة وخنازير**".[668]

---

[662] - عَلَمٌ: شيءٌ منصوبٌ في الطريق يُهتدى به، وقيل: الجبل أو العلامة.
[663] - راحَ: سار بالعشي.
[664] - السارحة: الراحلة.
[665] - رواه البخاري في صحيحه (باب: ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه) عن أبي مالك الأشعري ﵁.
[666] - القينات: المغنيات، ومفردها: القَيْنَة.
[667] - رواه الطبراني في المعجم الكبير والأوسط، والترمذي في سننه (٢١٣٨) عن عمران بن الحصين ﵁ بلفظ: "**وشربت الخمور**"، وذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٦٦٥).
[668] - رواه أبو نعيم في الحلية (٣/ ١١٩)، وذكره القرطبي في التذكرة (ص٦٦٧) وقال أبو عبد الله الأنصاري مخرج أحاديث الكتاب في هامشه: حديث صحيح.

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لَيَشْرَبَن ناسٌ من أمتي الخمر يسمُّونها بغير اسمها، يُضرب على رءوسهم بالدفوف والمغنيات يخسف اللهُ بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير"**.[٦٦٩]

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"إذا فعلت أمتي خمسَ عشرةَ خصلة حلَّ بها البلاء"**، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال ﷺ: **"إذا كان المغنم دولاً، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وأطاع الرجلُ زوجته وعقَّ أمَّهُ، وبرَّ صديقه وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأُكرِمَ الرجلُ مخافةَ شرِّهِ، وشُربتْ الخمورُ، ولُبِسَ الحريرُ، واتُخذتْ القيناتُ والمعازفُ، ولعنَ آخرُ هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء، أو خسفًا، أو مسخًا"**[٦٧٠]- وفي رواية لأبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"وظهرت القَيْنَات، والمعازف، وشُربت الخمورُ، ولعن آخرُ هذه الأمة أولَها فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء، وزلزلةً، وخسفًا، ومسخًا، وقذفًا، وآياتٍ تَتَابَعُ كنظامٍ بالٍ قُطِعَ سلكُهُ فتتابع"**.[٦٧١] وقد سُئل عبد الله بن مسعود ﷺ عن قوله

[٦٦٩] - رواه ابن ماجة في سننه (٤٠١٠)، وأبو داود في سننه (٣٢٠٣)، وأحمد في مسنده (٢١٨٢٧).
[٦٧٠] - رواه الترمذي في سننه (٢١٣٦)، وقال: حديث غريب، وفي إسناده من يجعله في مرتبة الحسن، وقال الألباني: حديث ضعيف وضعفه في ضعيف الترمذي برقم (٣٨٦).
[٦٧١] - رواه الترمذي في سننه (٢١٣٧) وقال: وهذا حديث غريب، ووقد خرجه الشيخ أبو عبد الله الأنصاري في هامش كتاب التذكرة للقرطبي (ص٦٦٧) قال: حديث ضعيف لوجود أحد المجهولين في سنده، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي برقم (٣٨٧).

تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ ﴾ (لقمان: ٦) فقال: إِنَّهُ الغناء، وكذلك قال ابن عباس[٦٧٢] ، وجابر[٦٧٣] ، وعكرمة[٦٧٤]، وسعيد بن جبير[٦٧٥]، ومجاهد[٦٧٦]، وغيرهم، وقال الحسن البصري: نزلت في الغناء والمزامير.

---

[٦٧٢] - عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ﷺ، صحابي جليل، وابن عم النبي ﷺ حبر الأمة وفقيهها وإمام التفسير وترجمان القرآن، ولد ببني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين، وكان النبي ﷺ دائم الدعاء لابن عباس" : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"، وقال: «وإن حبر هذه الأمة لعبد الله بن عباس". يعد من فقهاء الصحابة وساهم بشكل كبير في تأسيس مدرسة الفقه بمكة. توفي رسول الله ﷺ و هو لا يتجاوز ١٥ سنة، وقد روي له ١٦٦٠ حديثا. كان عبد الله بن عباس الصحابي الجليل مقدما عند عمر الفاروق وعثمان بن عفان، وأبو بكر الصديق، ثم جعله علي بن أبي طالب واليا على البصرة. توفي حَبر هذه الأمة الصحابي عبد الله بن عباس سنة ٦٨هـ بالطائف،وهو ابن ٧١ سنة ، قيل: جاء طائر لم ير على خلقته حتى دخل في نعشه ثم لم ير خارجا منه، فلما دفن تليت هذه الآية لم يدر من تلاها (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي).

[٦٧٣] - جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي ﷺ صحابي، من المكثرين من رواية الحديث النبوي بلغ ما روى ١٥٤٠حديثًا، اتفق له البخاري ومسلم على ٥٨ حديث، وانفرد له البخاري ٢٦ حديثًا، ومسلم ١٢٦حديثًا، وقد روى له الجماعة. أسلم جابر صغيرًا حين شهد بيعة العقبة الثانية مع أبيه عبد الله بن عمرو شهيد يوم أحد. هاجر مع النبي ﷺ إلى يثرب، كان جابر من أنصار النبي محمد الذين التفّوا حوله، وشهد جمع المشاهد مع النبي عدا بدر وأحد، منعه أبوه من المشاركة فيهما ليرعى أخواته التسع، لم يتخلّف جابر عن غزوة من غزوات النبي محمد، كما شهد بيعة الرضوان. وبعد وفاة النبي ﷺ، شارك في الفتح الإسلامي للشام، وكان في جيش خالد بن الوليد الذي حاصر دمشق، كما شهد وقعة صفين مع علي بن أبي طالب. تفرّغ في المسجد النبوي يعلّم الناس فكانت له حلقة في المسجد يلتفّ فيها الناس ليسمعوا من الحديث النبوي ويستفتونه حيث كان مفتي المدينة في زمانه، وكان لا يتورع أن يرتحل ليتأكد من صحة الأحاديث، فرُوي أنه رحل إلى مكة ليتأكد من صحة أحاديث سمعها، كما رُوى أنه رحل إلى مصر انفس السبب. توفي بالمدينة عام ٧٨هـ .

## ٤٥- انتشار الزِّنا:

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"إنَّ من أشراط الساعة أن يُرفَع العِلْمُ، ويثبتُ الجهلُ، ويُشرَب الخمرُ، ويظهر الزِّنا"**[٦٧٧] – وفي رواية-: **"ويفشو الزنا"**.[٦٧٨]

قال القرطبي في كتابه "المفهم": في هذا الحديث عَلَمٌ من أعلام النبوة إذ أخبر عن أمور ستقع فوقعت خصوصًا في هذه الأزمان.[٦٧٩]

---

[٦٧٤] - أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله البربري المدني. تابعي كان فقيهًا عالماً بالتفسير فسر القرآن، وكان واسع العلم بالمغازي، أدرك مئتين من أصحاب النبي وروي عنه سبعون من جلّة التابعين، وهو مولى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الذي كان معلمه الأول فعني بتعليمه القرآن والسنة. وللعلماء فيه قول حسن كما وثقه البخاري، وابن حبان، والنسائي، ويحيى بن معين، وغيرهم. قيل كان ابن عباس يعده من تلاميذه حتى قال برأي الخوارج فتبرأ منه، وهذا كلام لا يصح ورد في رواية باطلة ذكرها يزيد بن أبي زياد الذي كان من ضعاف المحدثين وممن لا يحتج به. ولد عام ٢٥هـ، وتوفي عام ١٠٥هـ.

[٦٧٥] - سعيد بن جبير الأسدي الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد ، أبو محمد ، ويقال : أبو عبد الله الأسدي الوالبي، ولد عام ٤٦هـ. تابعي حبشي الأصل، كان تقياً وعالماً بالدين درس العلم عن عبد الله بن عباس حبر الأمة وعن عبد الله بن عمر وعن السيدة عائشة أم المؤمنين في المدينة المنورة، سكن الكوفة ونشر العِلم فيها وكان من علماء التابعين، فأصبح إماماً ومعلماً لأهلها، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي بسبب خروجه مع عبد الرحمن بن الأشعث في ثورته على بني أمية عام٥٩هـ وله من العمر ٥٩ سنة.

[٦٧٦] - مجاهد بن جبر. تابعي جليل. كان مولى للقيس بن السائب المخزومي. فقيه ومحدث أخذ التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما. ولد عام ٢١هـ، وتوفي بمكة وهو ساجد عام ١٠٣هـ.

[٦٧٧] - رواه البخاري في صحيحه (٧٨،٧٩)، ومسلم في صحيحه (٤٨٢٤).
[٦٧٨] - رواه مسلم في صحيحه (٤٨٢٥)، والترمذي في سننه (٢١٣١)، وابن ماجة في سننه (٤٠٣٥).
[٦٧٩] - التذكرة (ص٦٦٨) للقرطبي، فتح الباري (١/ ١٧٩) لابن حجر.

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ أنَّه سمع النبيَّ ﷺ يقول: **"ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِرَ والحريرَ.."**.[680] والحِرُّ هو الفرجُ إشارة إلى الزِّنا، ولا تعليق على ذلك ولاسيما في زمانٍ تعطَّلت فيه حدودُ الله ولم تُطبَّق شريعته، أما قوله ﷺ: **"ويبقى شرار الناس يتهارجون[681] فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة"**،[682] وقوله ﷺ: **"والذي نفسي بيده لا تفنى هذه الأمة حتى يقومَ الرجلُ إلى المرأة فيفترشها في الطريق فيكون خيارهم يومئذٍ من يقول: لو واريتها وراء هذا الحائط"**.[683] فيقع في آخر الزمان بعد ذهاب المؤمنين ويبقى شرار الناس وعليهم تقع الساعة، على نحو ما سنبين بعد ذلك.

## ٤٦- استباحة الخمر وتسميتها على غير اسمها:

عن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"ليشربن ناسٌ من أمتي الخمر يسمُّونها بغير اسمها يُضرب على رءوسهم بالدفوف والمغنيات يخسفُ اللهُ بهم الأرض ويجعل منهم القردةَ والخنازيرَ"**،[684] وقد تحقَّق ذلك

[680] - رواه البخاري في صحيحه (باب: ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه) عن أبي مالك الأشعري ﷺ بطوله.
[681] - قال الأصمعي: يتهارجون: يتسافدون، أما معنى الهَرْج فهو القتل [التذكرة (ص٧٢٨) للقرطبي].
[682] - جزء من حديث طويل رواه مسلم في صحيحه (٥٢٢٨) عن النوَّاس بن سمعان ﷺ.
[683] - رواه أبو يعلى في مسنده، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٣١): رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.
[684] - رواه ابن ماجة في سننه (٤٠١٠)، وأبو داود في سننه (٣٢٠٣)، وأحمد في مسنده (٢١٨٢٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ١٣٨).

فنجد من يسمِّيها بالمشروبات الروحية كما نجد لها أصنافًا وأسماءً أرباً عن ذكرها.. وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حلَّ بها البلاء"**، قيل: وما هي يا رسول الله؟! قال ﷺ: **"إذا كان المغنم دولاً، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وأطاع الرجلُ زوجته وعقَّ أمَّهُ، وبرَّ صديقه وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأُكرم الرجلُ مخافة شرِّه، وشُربت الخمور.. فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء، أو خسفًا، أو مسخًا"**[٦٨٥]

## ٤٧- لبس الحرير للرجال:

عن أبي موسى الأشعري ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"حُرِّمَ لباسُ الذهبِ والحريرِ على ذكور أمتي، وأُحِلَّ لإناثهم"**.[٦٨٦] وعن أبي مالك الأشعري ﷺ أنَّه سمع النبيَّ ﷺ يقول: **"ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِرَّ والحريرَ"**.[٦٨٧] وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حلَّ بها البلاء"**، قيل: وما هي يا رسول الله؟! قال ﷺ: **"إذا كان**

---

[٦٨٥] - رواه الترمذي في سننه (٢١٣٦)، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي برقم (٣٨٦).

[٦٨٦] - رواه الترمذي في سننه (١٦٤٢) وقال: حسن صحيح، والنسائي في سننه (٥٠٥٧)، وصححه الألباني في "إرواء الغليل" (١/ ٣٠٥).

[٦٨٧] - رواه البخاري في صحيحه (باب: ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه) عن أبي مالك الأشعري ﷺ بطوله..

**المغنم دولاً، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وأطاع الرجلُ زوجته وعقَّ أمَّهُ، وبرَّ صديقه وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأُكرم الرجلُ مخافة شرِّه، وشُربت الخمور، ولُبِسَ الحريرُ، واتخذت القَيْنَات والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء، أو خسفًا، أو مسخًا"**[٦٨٨]

## ٤٨- خضاب الناس رءوسهم بالسواد:

قال رسول الله ﷺ: **"يكون قومٌ يُخَضِّبون في آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة"**.[٦٨٩] وخضَّب شعره أي لطَّخه بالحناء ونحوه، وحواصل الحمام أي: صدورها فإنَّها غالبًا سود وأصل الحوصلة المعدة، والمراد هنا صدره الأسود، وقال الطيبي: (كحواصل الحمام) في الغالب لأن حواصل بعض الحمامات ليست بسودٍ،[٦٩٠] وفي الحديث إشارة إلى استخدام الصبغات السوداء لإخفاء الشيب ونحوه، وفي ذلك كراهة كما أخبر رسول الله ﷺ، وكان أصحاب النبيَّ ﷺ يخضِّبون بالحناء والكتم[٦٩١]، فقد روى مسلم في

---

[٦٨٨] - رواه الترمذي في سننه (٢١٣٦)، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي برقم (٣٨٦).

[٦٨٩] - رواه أبو داود والنسائي في سننيهما، وقال مخرج حديث التذكرة للقرطبي على هامشه: حديث صحيح.

[٦٩٠] - عون المعبود شرح سنن أبي داود.

[٦٩١] - الكَتْم: نبات من الفصيلة المرسينية في المناطق الجبلية الإفريقية والبلاد الحارة، ثمرتها تشبه الفلفل. كانت تستخدم قديمًا في الخضاب وصنع المداد (الحبر) [المعجم الوسيط (٢/ ٧٧٦)].

صحيحه أنَّ أبا بكر وعمر خضبا بالحناء والكتم.[٦٩٢] فعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"إنَّ أحسن ما غير به الشيب الحناء والكتم"**،[٦٩٣] وقد أمر الرسول ﷺ بتغيير الشيب مخالفةً لليهود والنصارى، فعن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"غيروا الشيب ولا تشبَّهوا اليهود"** [٦٩٤]- وفي زيادة لأحمد وابن حبان -: **"والنصارى"**. ومعنى غيروا الشيب أي بالخضاب فلا تتشبهوا باليهود والنصارى أي في ترك خضاب الشيب كما في رواية الشيخين: **"إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم"**، فالعلة في شرعية الصباغ وتغيير الشيب مخالفة اليهود والنصارى.[٦٩٥] وقد ذهب الإمام النووي فيه إلى كراهة التحريم، ومن العلماء من رخص فيه في الجهاد- أي ليظن العدو أنَّ كهولهم شبابًا فيهابهم- ولم يرخِّص في غيره، ومنهم من رخَّص فيه مطلقًا، ومنهم من فرَّق في ذلك بين الرجل والمرأة فأجازه لها دون الرجل.[٦٩٦]

وقد أفرد الإمام مسلم بابًا سماه: استحباب خضاب الشيب بصفرة أو حمرة وتحريمه بالسواد، وذلك في كتاب اللباس والزينة في صحيحه.

---

[٦٩٢] - رواه مسلم في صحيحه (٤٣١٧).
[٦٩٣] - رواه الترمذي في سننه (١٦٧٥) وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي في سننه (٤٩٩١، ٤٩٩٢، ٤٩٩٥)، وأبو داود في سننه (٣٦٧٣)، وابن ماجة في سننه (٣٦١٢).
[٦٩٤] - رواه النسائي في سننه (٤٩٨٦)، وأحمد في مسنده (١٣٤١، ٧٢٣٠)، والترمذي في سننه (١٦٧٤).
[٦٩٥] - تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي.
[٦٩٦] - المصدر السابق.

## ٤٩ - أن تلد الأمة ربَّتها:

جاء في حديث جبريل عليه السلام الطويل أَنَّهُ سأل رسول الله ﷺ: متى الساعة؟ فأجاب رسول الله ﷺ: **"ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدِّثك عن أشراطها.. إذا ولدت الأمةُ ربَّتَها.."** [٦٩٧]- وفي رواية -: **"إذا ولدت الأمةُ ربَّها.."** [٦٩٨]- وفي رواية -: **"إذا رأيتَ المرأةَ تلدُ ربَّها.."**.[٦٩٩]

قال النووي: في قول رسول الله ﷺ: **"أنَّ تلد الأمةُ ربَّتها"**، وفي رواية أخرى **"ربَّها"** على التذكير، وفي الأخرى: **"بعلها"**، وقال: الإماء هي السراري، ومعنى ربَّها وربَّتها: سيدها ومالكها، وسيدتها ومالكتها. قال الأكثرون من العلماء: هو إخبار عن كثرة السراري وأولادهن فإنَّ ولدها من سيدها بمنزلة سيدها؛ لأنَّ مال الإنسان صائرٌ إلى ولده، وقد يتصرَّف فيه في الحال تصرف المالكين، إمَّا بتصريح أبيه له بالإذن، وما يعلمه بقرينة الحال أو عُرْف الاستعمال. وقيل: معناه أن الإماء يلدن الملوك فتكون أُمُّهُ من جملة رعيته وهو سيدها وسيد غيرها من رعيته. وقيل: معناه أن تفسد أحوال الناس

[٦٩٧] - جزء من حديث طويل رواه البخاري في صحيحه (٤٤٠٤)، وابن ماجة في سننه (٦٣، ٤٠٣٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[٦٩٨] - رواه البخاري في صحيحه (٤٨)، ومسلم في صحيحه (١٠)، وأحمد في مسنده (٨٧٦٥) عن أبو هريرة رضي الله عنه.

[٦٩٩] - رواه مسلم في صحيحه (١١)، والنسائي في سننه (٤٩٠٥) رواه أبو هريرة رضي الله عنه.

فيكثر بيع أمهات الأولاد في آخر الزمان فيكثر ترددادها في أيدي المشترين حتى يشتريها ابنها ولا يدري، ويحتمل على هذا القول أن لا يختص هذا بأمهات الأولاد فإنَّه غير متصوَّر في غيرهن، فإنَّ الأمة تلد حُرًّا من غير سيدها بشبهةٍ أو ولدًا رقيقًا بنكاحٍ أو زنا، ثم تُباع الأمة في الصورتين بيعًا صحيحًا، وتدور في الأيدي حتى يشتريها ولدها. وأما بعلها فالصحيح في معناه أنَّه المالك أو السيد فيكون بمعنى ربِّها على ما ذُكر. وقال أهل اللغة: بعل الشيء ربُّه ومالكه، وقيل المراد بالبعل في الحديث: الزوج، ومعناه نحو ما تقدم أنَّه يكثر بيع السراري حتى يتزوَّج الإنسانُ أمَّهُ وهو لا يدري، وهذا أيضًا معنى صحيح إلا أنَّ الأول أظهر.[٧٠٠]

قال القرطبي: يحدث ذلك بأن يُستولى على بلاد الكفر فيكثر التَّسرِّي، فيكون ولد الأمة من سيدها بمنزلة سيدها لشرفه ومنزلته بأبيه وقد ظهر هذا باتساع خطة المسلمين وكثرة الفتوح وهذا قد كان، وقيل هو بيع السادات أمهات الأولاد، وربما يشتريها ولدها ولا يشعر فيكون ربَّها، وقيل إنَّما كان الابنُ ربَّها لأنَّه سبب عتقها؛ لأنَّ السراري كانت إذا أنجبت لزوجها تُحَرَّر.[٧٠١]

---

[٧٠٠] - صحيح مسلم بشرح النووي (١/ ١٩٣، ١٩٤).

[٧٠١] - التذكرة (ص٦٦٦) للقرطبي.

وأقول أنَّ ذلك يحمل وجه احتمالٍ لما يجري في زماننا من اختلاط الأنساب وتأجير الأرحام، أو هو دلالة على عقوق الوالدين من جانب الأبناء وسوء الخلق فتبدو الابنة للأمِّ بمكان سيدتها، وحاكمتها، وآمرتها، والله أعلم.

## ٥٠- عقوق الوالدين:

من علامات الساعة التي أنبأ بها رسول الله ﷺ أن يعقَّ الولد أباه وأمَّه، حتى إنَّهُ يكون جافيًا غليظًا يؤثر عليهما الزوجة والصاحب، قال رسول الله ﷺ: **"إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حلَّ بها البلاء"**، قيل: وما هي يا رسول الله؟! قال ﷺ: **"إذا كان المغنم دولاً[٧٠٢]، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وأطاع الرجلُ زوجته وعقَّ أمَّهُ، وبرَّ صديقه وجفا أباه.. فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء، أو خسفًا، أو مسخًا"**،[٧٠٣] وقال رسول الله ﷺ: **"إذا اتُخِذَ الفيء[٧٠٤] دولاً، والأمانة مغنمًا، والزكاة مَغرمًا، وتُعُلِّمَ لغير الدين، وأطاع الرجل امرأته وعقَّ أمَّهُ، وأدنى صديقه وأقصى أباه.. فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء، أو**

[٧٠٢] - دولة: أي متداول، أو الاستيلاء والغلبة، والدولة في الحرب أن تُهزم فئةٌ مرَّة ثم تنتصر مرَّة.
[٧٠٣] - رواه الترمذي في سننه (٢١٣٦) عن علي بن أبي طالب ﷺ، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي برقم (٣٨٦).
[٧٠٤] - الفيء: ما يغنم في الحرب بغير قتال.

**زلزلة، وخسفًا، ومسخًا، وقذفًا، وآيات متتابعات كنظامٍ بالٍ قُطِعَ سلكُهُ فتتابع".**[705]

وقد انتشر العقوق في زماننا بالقول والفعل حتى أصبحنا نسمع عما يهولنا من قتل فلان أبيه أو أمه، وقد نهى الله تعالى عن أقل لفظة تجرح شعورهما فقال: ﴿ ..**فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا** ﴾ (الإسراء: ٢٣)، وليست هناك كلمة أقل من "أُف" سواء صُرِّح بها قولاً أو إيماءً.

قال الشيخ الشعراوي – رحمه الله -: وانتشار عقوق الوالدين في المجتمع يؤدي إلى أن لا يوقر الناس الكبير، ولا يرحموا الصغير وأن يلبسوا جلود الضأن وقلوبهم كالذئاب، فهم يتظاهرون بالمسالمة، بينما هم في داخلهم متوحشون، لا شفقة عندهم ولا رحمة.[706]

## ٥١- قطع الأرحام:

قال ﷺ: **"إنَّ الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم قامت الرحمُ فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصلَ من وصلكِ وأقطع**

[705] - رواه الترمذي في سننه (٢١٣٧)، عن أبي هريرة ﷺ، وقال: حديث غريب، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي رقم (٣٨٧)، وذكره القرطبي في التذكرة (ص٦٦٧) وقال مخرِّج أحاديثه على هامش الكتاب: حديث ضعيف.

[706] - علامات القيامة الصغرى (ص٣٤) للشعراوي.

من **قطعكِ؟** قالت: بلى، قال: **فذاك لكِ"**. ثم قال رسول الله ﷺ: "اقرؤوا إن شئتم: ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾** ﴾ (محمد: ٢٢- ٢٤)"،[٧٠٧] وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **"إنَّ الرحمَ شُجْنَةٌ من الرحمنِ فقالَ اللهُ مَنْ وصلكِ وصلته ومن قطعكِ قطعته"**.[٧٠٨] وشجنة (بكسر أوله وسكون الجيم، وجاء بضم أوله وفتحه روايةً ولغةً) وأصل الشجنة عروق الشجر المتشابكة، والشجون هي طرق الأودية ومنها قولهم: حديث ذو شجون أي يدخل بعضه في بعضٍ، ومعنى شجنة الرحمن أي أنَّها أثرٌ من آثار رحمته مشتبكة بها؛ فالقاطع لها منقطع من رحمة الله، والرحم اشتُق اسمها من اسم الرحمن، فلها به علاقة وليس معناه أنَّها من ذات الله.[٧٠٩]

---

[٧٠٧] - رواه البخاري في صحيحه (٥٥٢٨)، مسلم في صحيحه (٤٦٣٤) بلفظه، ورواه البخاري في صحيحه (٤٤٥٥)، وأحمد في مسنده (٨٠١٧) بلفظ: **"خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحمُ فأخذت بحقو الرحمن، فقال: مَهْ. قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة.."**.

[٧٠٨] - رواه البخاري في صحيحه (٥٥٢٩)، وأحمد في مسنده (٨٦١٧) واللفظ للبخاري.

[٧٠٩] - فتح الباري على صحيح البخاري.

وقال ﷺ: **"لا يدخلُ الجنَّةَ قاطعُ رحمٍ"**،[٧١٠] وقال ﷺ: **"ثلاثةٌ لا يدخلون الجنَّةَ: مدمنُ خمرٍ، وقاطعُ رحمٍ، ومصدِّقٌ بالسحر.."**،[٧١١] وقال ﷺ: **"لا يدخلُ الجنَّةَ صاحبُ خمسٍ: مدمنُ خمرٍ، ولا مؤمنٌ بسحرٍ، ولا قاطعُ رحمٍ، ولا كاهنٌ، ولا منَّانٌ"**.[٧١٢]

لذا حذَّر رسول الله ﷺ أمته من ذلك وأنذر بحدوثه في آخر الزمان مع انهيار القيم والأخلاق، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفاحش، وقطيعة الرحم، وسوء المجاورة.."**،[٧١٣] وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : **"ومن أشراط الساعة الفحش والتفحش، وقطيعة الأرحام، وتخوين الأمين، وائتمان الخائن"**.[٧١٤] وعن ابن مسعود ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: **"إنَّ بين يدي الساعةِ تسليمَ الخاصة، وفُشُوَّ التجارة حتى تعين المرأةُ زوجَهَا على التجارة، وقطعَ الأرحام، وشهادةَ الزور، وكتمانَ شهادة الحقِّ، وظهورَ القلم"**.[٧١٥] وعن عابس

---

[٧١٠] - رواه البخاري في صحيحه (٥٥٢٥)، مسلم في صحيحه (٤٦٣٧)، وأبو داود في سننه (١٤٤٥)، والترمذي في سننه (١٨٣٢)، وأحمد في مسنده (١٦١٣٢، ١٦١٧١).

[٧١١] - رواه أحمد في مسنده (١٨٧٤٨)، وانفرد به.

[٧١٢] - رواه أحمد في مسنده (١١٣٥٥، ١٠٦٨٤)، وانفرد به.

[٧١٣] - رواه أحمد في مسنده (٦٢٢٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٤٧)، (٤/ ٥٨٨)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

[٧١٤] - رواه الطبراني في الأوسط (١٣٧٨/٢١١/٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٨٤): رجاله ثقات.

[٧١٥] - رواه أحمد في مسنده (٣٦٧٦)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٩٨) وصححه ووافقه الذهبي، وقال صاحب تخريج أحاديث التذكرة للقرطبي في هامشه (ص٦٦٠): حديث صحيح.

الغفاري ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"بادروا بالموت ستًّا – وذكر منهن– قطيعة الرحم"**[٧١٦]، وقال معاذ بن جبل ﷺ: "خمسٌ أظلَّتكم؛ من أدرك منهن شيئًا ثم استطاع أن يموت فليمت: أن يظهر التلاعن على المنابر، ويُعطَى مال الله على الكذب والبهتان، وسفك الدماء بغير حقٍّ، وتقطع الأرحام، ويصبح العبد لا يدري أضالٍ هو أم مهتدٍ".[٧١٧]

## ٥٢- سوء الجوار:

أوصى رسول الله ﷺ بالجار خير وصية، وحذَّر أشدَّ التحذير من الإساءة إليه وإيذائه فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره.."**،[٧١٨] وعن أبي شريح ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن"**. قيل: من يا رسول الله؟ قال ﷺ: **"الذي لا يأمن جاره بوائقه"**.[٧١٩] وزاد ﷺ في الوصية به حتى قال ﷺ: **"ما زال يوصيني جبريل بالجار حتى ظننتُ أنَّه سيورِّثه"**.[٧٢٠]

---

[٧١٦] - رواه أحمد في مسنده (١٥٤٦٢)، والطبراني في معجمه، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة.
[٧١٧] - رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٦٩)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
[٧١٨] - رواه البخاري في صحيحه (٥٥٥٩)، ومسلم في صحيحه (٦٧، ٦٨)، وأحمد في مسنده (٧٣٠٧، ٩٢٢٣).
[٧١٩] - رواه البخاري في صحيحه (٥٥٥٧).
[٧٢٠] - رواه البخاري في صحيحه (٥٥٥٥)، ومسلم في صحيحه (٤٧٥٦)، والترمذي في سننه (١٨٦٥)، وأبو داود في سننه (٤٤٨٤)، وابن ماجة في سننه (٣٦٦٣)، وأحمد في مسنده (٢٣١٢٦، ٢٣٤٥٩، ٢٣٧٩٤، ٢٤٣٦٣،

فمع اختلال الموازين في آخر الزمان وانطفاء جذوة الإيمان في النفوس واختلاط الحقوق والواجبات بغير حدود نجد إيذاء الجار لجاره وعدم التكافل والتراحم بينهما، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: **"لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفاحش، وقطيعة الرحم، وسوء المجاورة.."**.[٧٢١]

## ٥٣- التسليم على المعرفة فقط:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"إنَّ من أشراط الساعة أن يسلِّم الرجلُ على الرجل لا يُسَلِّم عليه إلا للمعرفة"** [٧٢٢] - وفي رواية -: **"إنَّ بين يدي الساعة تسليم الخاصة"**،[٧٢٣] وعنه رضي الله عنه قال: "من أشراط الساعة أن يُسَلِّمَ الرجلُ على الرجل بالمعرفة.."،[٧٢٤] وعن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **"..ويُلقى بين الناس التناكر فلا يكاد أحدٌ أن يعرفَ أحدًا"**.[٧٢٥]

---

٢٤٨٢٠) عن عائشة رضي الله عنها، ورواه البخاري في صحيحه (٥٥٥٦)، ومسلم في صحيحه (٤٧٥٧)، وأحمد في مسنده (٥٣٢٠).

[٧٢١] - رواه أحمد في مسنده (٦٢٢٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٤٧)، (٤/ ٥٨٨)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

[٧٢٢] - رواه أحمد في مسنده (٣٦٥٥) وانفرد به، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

[٧٢٣] - رواه أحمد في مسنده (٣٦٧٦، ٣٧٨٥) وانفرد به، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

[٧٢٤] - حديث موقوف رواه البيهقي في السنن الكبرى (٣١٤٦).

[٧٢٥] - جزء من حديث رواه أحمد في مسنده (٢٢٢١٧)، والهيثمي في الزوائد وقال: رجاله رجال الصحيح، وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط مسلم، والحديث بتمامه: عن حذيفة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال ﷺ: **"﴿ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ .. ﴾ (الأعراف: ١٨٧)، ولكن أخبركم بمشاريطها وما يكون بين يديها، إنَّ**

والتسليم يكون على من تعرف ومن لا تعرف كما أوصى رسول الله ﷺ فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبيَّ ﷺ: أيُّ الإسلام خيرٌ؟ قال ﷺ: **"تُطعِم الطعام، وتقرأ السلامَ على من عَرَفْتَ ومن لم تعرِف"**.[٧٢٦] وقد أفرد البخاري في صحيحه بابًا سمَّاه: (باب السلام للمعرفة وغير المعرفة) من كتاب الاستئذان.

وقال صاحب "أشراط الساعة": وهذا أمرٌ مُشاهَدٌ في هذا الزمن، فكثير من الناس لا يسلِّمون إلا على من يعرفون، ولا يلقون تحية الإسلام إلا على من يعرفون، وهذا خلاف السُّنَّة، فإنَّ النبيَّ ﷺ حثَّ على إفشاء السلام على من عرفتَ ومن لم تعرف، وأن في ذلك سببٌ لانتشار المحبة بين المسلمين التي هي سبب للإيمان الذي يكون به دخول الجنة كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أَوَلا أدلكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم"**.[٧٢٧]

---

**بين يديها فتنة وهرجًا"**. قالوا: يا رسول الله، الفتنة قد عرفناها، فالهرج ما هو؟ قال ﷺ: **"بلسان الحبشة القتل، ويلقى بين الناس التناكرفلا يكاد أحدٌ أن يعرف أحدًا"**.

[٧٢٦] - رواه البخاري في صحيحه (١١، ٢٧)، ومسلم في صحيحه (٥٦)، والنسائي في سننه (٤٩١٤)، وأبو داود في سننه (٤٥٢٠)، وابن ماجة في سننه (٣٢٤٤)، وأحمد في مسنده (٦٢٩٣).

[٧٢٧] - رواه مسلم في صحيحه (٨١)، والترمذي في سننه (٢٦١٢)، وأبو داود في سننه (٤٥١٩)، وابن ماجة في سننه (٦٧، ٣٦٨٢)، وأحمد في مسنده (٩٣٣٢).

## ٥٤- كثرة الشُرْطِ:

والشُّرْطُ هم أتباع السلطان المقدمون على غيرهم من الجنود، حيث تكثر الشرطة ويزيد عدد رجالها لانتشار الفساد وتفشيه من جانب، وعلى الجانب الآخر لقيام الملك الجبري الذي يقوم الحاكم فيه بتدعيم أركان ملكه بالبطش والقوة والانعزال والاحتجاب عن شعبه، فعن عبس الغفاري ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **"بادروا بالموتِ[٧٢٨] ستًّا: إمرة السفهاء، وكثرة الشرط، وبيع الحكم –ثم ذكر بقيتهن"**،[٧٢٩] وعن عوف بن مالك ﷺ قال: يا طاعون خذني إليك! قيل له: أليس قد سمعتَ رسول الله ﷺ يقول: **"ما عَمَّرَ المسلمُ كان خيرًا له"**. قال ﷺ: بلى – قال ﷺ - **ولكني أخافُ ستًا: إمارة السفهاء، وبيعَ الحكم، وكثرةَ الشرط- وذكر بقيتهن"**.[٧٣٠]

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **"من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة –وذكر منهن بيع الحكم وكثر الشرط"**،[٧٣١] وقال ﷺ: **"صنفان من أهل النار لم أرهما: قومٌ معهم سياط**

---

[٧٢٨] - أي تمنوا الموت.

[٧٢٩] - رواه أحمد في المسند (١٥٤٦٢)، والطبراني في الكبير، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح، وإسناد أحمد ضعيف، وتتمة الحديث: **".. واستخفافًا بالدم، وقطيعة الرحم، ونشئًا يتخذون القرآن مزامير يقدمونه يغنيهم وإن كان أقل منهم فقهًا"**.

[٧٣٠] - رواه أحمد في مسنده (٢٢٨٤٥)، والطبراني الكبير ، وتتمة الحديث: **"..وقطيعة الرحم، ونشئًا ينْشَئُون يتخذون القرآن مزامير، وسفكَ الدماء"**.

[٧٣١] - رواه أبو نعيم في الحلية، وانظر التذكرة (ص٦٧٠،٦٦٩) للقرطبي.

**كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات..**"،[732] وذلك إشارة إلى الظالمين المعتدين على الناس منهم.

## ٥٥- كثرة القتل والاستخفاف بالدماء:

عن حذيفة ﷺ قال: سُئل رسول الله ﷺ عن الساعة، فقال ﷺ: "﴿ **عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ** .. ﴾[733]، **ولكن أخبركم بمشاريطها وما يكون بين يديها: إنَّ بين يديها فتنةً وهرجًا**". قالوا: يا رسول الله، الفتنةُ قد عرفناها، فالهَرْجُ ما هو؟ قال ﷺ: "**بلسان الحبشة: القتل**"،[734] وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**لا تقوم الساعة حتى يُقبض العلمُ، وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج -وهو القتل..**"،[735] وعنه ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: "**والذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمانٌ لا يدري القاتل فيما قَتَلَ، ولا المقتول فيما قُتل**"،[736] وعن عبس الغفاري ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "**بادروا بالموت ستًّا: إمرة السفهاء، وبيع الحكم، والاستخفاف بالدم..**"،[737] وقال رسول الله ﷺ: "**من اقتراب الساعة اثنتان**

---

[732] - رواه مسلم في صحيحه (٣٩٧١)، وأحمد في مسنده (٨٣١١، ٩٣٠٣)، ومالك في الموطأ (١٤٢١).

[733] - (الأعراف: ١٨٧).

[734] - رواه أحمد في مسنده (٢٢٢١٧)، والهيثمي في الزوائد وقال: رجاله رجال الصحيح، وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط مسلم.

[735] - رواه البخاري في صحيحه (٩٧٨)، ومسلم في صحيحه (٤٨٢٧)، أبو داود في سننه (٣٧١٣)، وابن ماجة في سننه (٤٠٣٧، ٤٠٤٢)، أحمد في مسنده (٦٨٨٩، ٧٢٣٤، ٨٤٧٧).

[736] - رواه مسلم في صحيحه.

[737] - رواه أحمد في مسنده (١٥٤٦٢)، الطبراني في الكبير، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح، وإسناد أحمد ضعيف.

وسبعون خصلة – وذكر منها-: **واستخفَّوا بالدماء"**.[738] وقال ﷺ: **"بادروا بالأعمال ستًّا** – وذكر منهن -: **استخفافًا بالدم"**،[739] وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: "خمسٌ أظلَّتكم؛ من أدرك منهن شيئًا ثم استطاع أن يموت فليمت: أن يظهر التلاعن على المنار، ويُعطى مالُ الله على الكذب والبهتان، وسفك الدماء بغير حقٍّ..".[740] أي أنَّ الناس يهدرون دم بعضهم باستخفاف غريب، ودم الإنسان لا يُهدر إلا بحقه، ولكن في آخر الزمان يُستخف بالدماء، فيُقتل الأبرياء دون أن يفعلوا شيئًا، وتُهدم البيوت فوق رءوس النساء والأطفال دون ذنبٍ فعلوه، ومن استخفاف الناس بالدماء أن ترى رجلاً يدبِّرُ حادثَ نسفٍ بسيارةٍ ملغومة يُقتل فيها العشرات من الأبرياء باستخفافٍ غريبٍ، دون أن يشعر بأي ذنبٍ، وكذلك خطف الرهائن وقتلهم، ووضع المتفجرات في الأماكن المزدحمة، ونسف القطارات والسيارات، وما يحدث في الحروب من استخفاف بأرواح الأبرياء، وقصف المدن بالقنابل والصواريخ باستخفافٍ عجيبٍ.[741] ولنذكر الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م- ١٩١٨م) التي قُتل فيها ٨,٥ مليونًا وجُرح ٢١ مليونًا من المشاركين فيها، بينما قُتل من المدنيين بها ١٠ مليونًا، وجرح ٢٠ مليونًا، وفي الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩م- ١٩٤٥م) وقُتل فيها من المقاتلين والمدنيين ٣٥- ٦٠ مليونًا، وكانت خاتمتها أن ألقت

---

[738] - رواه أبو نعيم في الحلية.
[739] - رواه الطبراني في معجمه (١٨/ ٣٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٧٩).
[740] - رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٦٩)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
[741] - علامات القيامة الصغرى (ص٣١، ٣٢) للشيخ الشعراوي.

الولايــات المتحــدة الأمريكيــة قنبلتــين ذريتــين عــلى مــدينتي "هيروشــيما" و"نجازاكي" اليابـانيتين. وقـد فهـم المسـلمون الفـاتحون المجاهـدون في عصر المماليك خطر استخدام البارود والمتفجرات فكانوا يقاتلون بالسيف ويقولـون فيه: "لا نترك سنة نبينا"، وقد ذكر كثير من أصحاب التصانيف والسير أمثال: ابن إياس[٧٤٢] في "بدائع الزهور"، ونجم الدين الرَّمَّاح[٧٤٣] في "كتـاب الفروسـية" أنَّ المماليـك صـنعوه، وابتكـروه، واسـتخدموه في المـدافع التـي كانـت تعـرف بالمكاحل وكانوا لا يستخدمونه إلا كسلاح سرِّيٍّ في حالة الضرورة القصـوى، وقد استخدموه في معركة المنصورة[٧٤٤] وقد ذكر المؤرخ الفرنسي "جوانفيـل"[٧٤٥]

---

[٧٤٢] - زين العابدين محمد بن شهاب الدين بن أحمد المعروف بـ بن إياس الحنفي ويكنى بـ " أبو البركات مؤرخ مصري ولد في القاهرة سنة ١٤٤٨م يعد من أشهر وأهم المؤرخين الذين أرخوا للعصر المملوكي ولاسيما في الفترة الأخيرة منه وكتابه "بدائع الزهور في وقائع الدهور" أهم مؤلفاته وأرخ فيه لتاريخ مصر الضخم من بداية التاريخ لغاية سنة ١٥٢٢م، كم ألّف في الجغرافيا ونظم الشعر.امتاز تدوينه للوقائع التاريخية عن غيره من المؤرخين بالنزاهة والموضوعية واثبات الحقيقة دون مُحاباة أو تحيّز ومما ساعد المؤرخ الكبير ابن اياس على التفرغّ للكتابة أنه كان يعتاش من إقطاع ممنوح له. توفي بالقاهرة سنة ١٥٢٣م.

[٧٤٣] - نجم الدين حسن الأحدب الرماح كيميائي ومهندس ولد بطرابلس لبنان، وعاش بسوريا وألف العديد من الكتب والرسائل في المكائد والأسلحة الحربية منها: "كتاب الفروسية والمناصب الحربية" (مخطوطة صورة مصورة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة)، و"كتاب البنود في معرفة الفروسية" منه نسخة في راميور ونسخة أخرى في دار الكتب المصرية، و"كتاب الفروسية في رسم الجهاد" (مخطوطة رقم ٢٨٢٥ باريس)، وفيه إشارات إلى وصفات كاملة اشتملت تركيب وهيئة البارود الذي كان يدك في المدافع آنذاك. توفي عام ١٢٩٤م.

[٧٤٤] - وقعت معركة المنصورة في سنة (٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠م ) وقد استطاع الجيش الإسلامي في عهد السلطان نجم الدين أيوب تحت قيادة بيبرس هزيمة الجيش الصليبي بقيادة لويس التاسع قائد الحملة الصليبية التاسعة والإيقاع به أسيرًا ودحر جيشه.

[٧٤٥] - چان سير دى چوانڤيل Jean de Joinville (١٢٢٥م- ١٣١٧م) مؤرخ فرنسي مهم، اشترك في الحروب الصليبية وكان مع الملك لويس التاسع ملك فرنسا ومقرب إليه زمن الحملة الصليبية السابعة على مصر سنة1249 ، ووصف المعارك اللى دارت وقتها ومنها معركة المنصورة .عارض قيام

الذي عاصر هذه المعركة في كتاباته هذا السلاح الذي لم يكن يعرفه الصليبيون وقتئذٍ.[٧٤٦]

أما الآن فالحرب تشهد استخدام كل وسائل القتل باستخفافٍ عجيبٍ، فلا ضمير يستيقظ ولا إنسان يثور على قتل الأبرياء بلا حساب، وما وضع مسلمي البوسنة والهرسك، والشيشان، وكوسوفا، وبورما، وكشمير، والهند، والصين، وقبلهم فلسطين من ديار المسلمين ببعيد.

## ٥٦- لعن آخر هذه الأمة أولها:

عن عليٍّ بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حلَّ بها البلاء"**. قيل: وما هي يا رسول الله؟ - فذكر أمورًا – ثم قال ﷺ: **"..ولعن آخر هذه الأمة أولها؛ فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء، أو خسفًا، أو مسخًا"**.[٧٤٧] وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"إذا اتخذ الفيءُ دولاً، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وتُعُلِّمَ لغير الدين، وأطاع الرجل امرأته وعَقَّ أمَّهُ، وأدنى صديقه وأقصى أباه، وظهرت الأصوات في المساجد،**

---

الملك لويس بالحملة الصليبية الثامنة التي أرسلها لويس إلى تونس لكي يعمل منها قاعدة لشن هجوم جديد على مصر بعد ما فشلت الحملة السابعة. فضلا عن تأريخه للحروب الصليبية أرخ أيضا عن حياة الملك لويس وفرنسا الإقطاعية في كتاب" تاريخ القديس لويس (Histoire de Saint Louis) " الذي يعتبر من أهم الكتب التأريخية.

[٧٤٦] - الفن الحربي للجيش المصري في العهد المملوكي – عميد أ.ح. محمود نديم فهمي – ط١ – الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، ١٩٨٣م.

[٧٤٧] - رواه الترمذي في سننه (٢١٣٦)، وضعَّفه الألباني في ضعيف الترمذي (٣٨٦).

**وساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأُكرم الرجل مخافة شرِّهِ، وظهرت القَيْنَات والمعازف، وشُربت الخمور، ولعن آخرُ هذه الأمَّةِ أولها؛ فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء، وزلزلةً، وخسفًا، ومسخًا، وقذفًا، وآياتٍ تتتابع كنظامٍ بالٍ قُطع سلكُهُ فتتابع".**[٧٤٨] وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **"من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة– ذكر منهن – : ولعن آخرُ هذه الأمةُ أولها، وقال: فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء، وخسفًا، ومسخًا، وقذفًا، وآياتٍ".**[٧٤٩]

وهذا ما نجده اليوم في لعن الفئات الضالة كالشيعة لكبار الصحابة كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وأبي عبيدة وأمهات المؤمنين ﷺ، وفي لعن الخوارج عليًّا وكثيرًا من الصحابة، وغيرهم من الطوائف الخارجة عن حظيرة الإسلام، ولا يزال يجري ذلك على لسان العامة من ألفاظ الاستهزاء والسخرية ببعض الصحابة وأمهات المؤمنين من ميراث الدولة الفاطمية الخبيثة حين كانت مصر تحت قبضتها الغاشمة.

وأشد ما أردُّ به عليهم هو قول النبيِّ ﷺ في حقِّ صحابته وزوجاته ﷺ: **"الله الله في أصحابي، الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غَرَضًا**[٧٥٠] **بعدي فمن**

[٧٤٨] - رواه الترمذي في سننه (٢١٣٧)، وقال: حديث غريب، وضعَّفه الألباني في ضعيف الترمذي (٣٨٧).
[٧٤٩] - رواه أبو نعيم في الحلية، وذكره القرطبي في التذكرة (ص٦٦٩، ٦٧٠).
[٧٥٠] - غرضًا: أي هدفًا ترمونهم بقبيح الكلام كما يرمى الهدف بالسهم (تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي).

**أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك الله أن يأخذه"**.[٧٥١]

## ٥٧- تداعي الأمم وتكالبها على المسلمين:

عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"يوشكُ الأممُ أن تَدَاعَى[٧٥٢] عليكم كما تَدَاعَى الأكلةُ إلى قصعتها"**. فقال قائلٌ: من قِلَّةٍ نحن يومئذٍ؟ قال ﷺ: **"بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنكم غُثَاءٌ[٧٥٣] كغثاءِ السيلِ ولَيَنْزَعَنَّ اللهُ من صدور عدوِّكم المهابةَ وليقذفنَّ في قلوبكم الوَهْنَ"**، فقالَ قائلٌ: يا رسول الله، وما الوَهْنُ؟ قال ﷺ: **"حبُّ الدنيا وكراهيةُ الموتِ"**.[٧٥٤]

لقد كان المسلمون من المجاهدين الفاتحين يجاهدون أعداء الله وكان شعارهم: "الموت في سبيل الله أغلى أمانينا"، وكانت كلمة الصِّدِّيق أبي بكر ﷺ الخالدة لأعدائه: "جئتكم بقومٍ يحبُّون الموتَ كما تحبُّون الحياةَ"، وكان ﷺ يقول لجنده: "اطلبوا الموت لتوهب لكم الحياة!".. لكن اليوم أمات المسلمون فريضة الجهاد وانحازوا إلى الدنيا ونسوا الآخرة ولم يعبأوا بقوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ**

[٧٥١] - رواه الترمذي في سننه (٣٧٩٧)، وأحمد في مسنده (١٦٢٠١)، وابن حبان في صحيحه وصححه.

[٧٥٢] - تتداعى: تجتمع وتدعو بعضها بعضًا.

[٧٥٣] - الغُثَاءُ: ما يقذف به جانب الوادي مما يطفو على سطح الماء من قش ونبات وغيره.

[٧٥٤] - رواه أبو داود في سننه (٣٧٤٥)، وأحمد في مسنده (٢١٣٦٣)، وقال أبو داود: حديث حسن، واللفظ لأبي داود.

وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (التوبة: ٢٤) الآية الكريمة التي وضع الله تعالى فيها ألوانَ الوشائج، والمطامع، واللذائذ في كفة، ووضع في مقابلها حب الله، ورسوله ﷺ، وحب الجهاد في سبيل الله، وما يتبعه من جراحٍ، وآلامٍ، واستشهادٍ في كفةٍ أخرى، ولا سبيل لنيل أحدهما إلا بالتخلِّي عن الآخر، وحذَّر الله تعالى من التثاقل عن الجهاد، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ (التوبة: ٣٨)، وأتبع الآية بأخرى تحمل تهديدًا صريحًا ووعيدًا وتخويفًا، قال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (التوبة: ٣٩). قال الطبري في تفسيرها: هي توبيخٌ على ترك الجهاد، وعتابٌ على التقاعد عن المبادرة إلى الخروج والجهاد، وإيثار الراحة والدعة في الدنيا على الآخرة التي لا تُنال إلا بنصب الدنيا، ووعيد الله تعالى من ترك الجهاد في الآية عام في مدلوله لكلِّ ذي عقيدة في الله، وقال ابن العربي: العذاب الأليم في الدنيا هو استيلاء العدو على

أملاكهم وأراضيهم، وفي الآخرة النار،[755] فالعذاب الذي يتهدَّد الذين ينكلون عن الجهاد ليس عذاب الآخرة وحده، وإنَّما عذاب الذِّلَّة في الدنيا التي تصيب القاعدين عن الجهاد والكفاح، والغلبة عليهم للأعداء والحرمان من الخيرات، وهكذا ضنَّ هؤلاء بحياتهم بترك الجهاد ومع ذلك هم يخسرون من النفوس والأموال أضعاف ما يخسرون في الكفاح والجهاد، ويقدمون على مذابح الذُّلِّ أضعاف ما تتطلبه منهم الكرامة لو قدَّموا لها الفداء، وما من أمةٍ تركت الجهاد إلا ضرب الله عليها الذلَّ فدفعت مرغمةً صاغرةً لأعدائها أضعاف ما كان يتطلبه منها كفاح الأعداء.[756]

وكان فهم الصحابة لهذه القضية واضحًا، فعن أبي عمران ﵁ قال: كُنَّا بالقسطنطينية فخرج من المدينة – أي القسطنطينية – صفٌّ عظيمٌ من الروم فصففنا لهم، فحمل رجلٌ من المسلمين عليهم حتى دخل فيهم، ثم خرج علينا، فصاح الناس: سبحان الله! ألقى بيده إلى التهلكة! فقال أبو أيوب الأنصاري ﵁: يا أيُّها الناس! إنَّكم لتأوِّلون قوله تعالى: ﴿ ..**وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ**.. ﴾ (البقرة: ١٩٥) على غير تأويلها، فقد أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، إنَّا لما أعزَّ اللهُ دينه وكثر ناصروه قلنا فيما بيننا بعضُنا لبعضٍ سرًّا من رسول الله ﷺ: إنَّ أموالنا قد ضاعت فما أقمنا فيها، قد أصلحنا ما ضاع منها،

[755] - تفسير القرطبي (٨/ ١٤٢) (مختصرًا).
[756] - فرسان النهار (١/ ٣١٧- ٣٢٤) – د. سيد العفاني (مختصرًا).

فأنزل الله تعالى يردُّ علينا ما هممنا به: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (البقرة: ١٩٥). قال أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه: فكانت التهلكة والإقامة وترك الغزو..[٧٥٧]

ولا تكفي لسرد مآسي المسلمين مئات المجلدات لما جرى على أيدي الصليبيين يوم دخلوا القدس وغاصوا في بحار من الدماء، وما جرى في الأندلس للمسلمين بفعل محاكم التفتيش هناك، وما صنعه الشيوعيون بالمسلمين منذ مطلع القرن التاسع عشر فقد أبادوا في ربع قرن من المسلمين ٢٦ مليونًا، بمعدل مليون مسلم في السنة، وفي يوغسلافيا فعل الشيوعيون بالمسلمين الأفاعيل في كوسوفا والبوسنة وغيرهما حيث قُتل هناك من المسلمين ما يقرب من مليون مسلم كانت أجسادهم تطرح في مفارم اللحوم ليخرجوا من الجانب الآخر عجينة من اللحم والعظام والدماء، وفي بلغاريا طردت الحكومة الشيوعية في عام ١٩٩٠م ما يزيد عن مليون مسلم وقتلوا نحو ثلثهم، وفي الفلبين أبادت عناصر من الجيش بلدات مسلمة بالكامل، وقام الهنود الوثنيون عند انفصال باكستان المسلمة عن الهند وفرار ثمانية ملايين مسلم بقتل أغلبهم في رحلة فرارهم ولم يصل منهم سوى ثلاثة ملايين فقط، وفي أوغندة وفي الصومال، وزنجبار، وإريتريا قامت وحداتٌ من الجيش بإبادة

---

[٧٥٧] - رواه البيهقي في سننه، وروى ابن حبان في صحيحه مثله، والحاكم في المستدرك، والترمذي في السنن (٢٨٩٨)، وابن حميد في مسنده، وأبو يعلى في مسنده، وذكره ابن كثير في البداية.

قرى مسلمة بالكامل. وما جرى من قتل أهل العراق طوال فترة الغزو والحصار الأمريكي لها حيث قتلت قوات الاحتلال ما يزيد عن مليون عراقي خلال أربع سنوات ونصف.[٧٥٨] وما نراه اليوم من التنكيل بالمسلمين في فلسطين، والسودان، والصومال، وغيرها أكثر من أن يُوصف.

## ٥٨- زوال ملك العرب:

قال رسول الله ﷺ: **"من اقتراب الساعة هلاك العرب"**.[٧٥٩] وهي إشارة واضحة لما بلغ العرب اليوم من الذلة، والضياع، والتشرذم، والدوران في فلك الغرب، وهم الذين حملوا راية الإسلام، كانوا أول حملته وحماته حتى انتشر إلى طباق الأرض، وما وهنوا إلا عندما تخلوا عنه وعادوا لما كانوا عليه قبل الإسلام من جاهلية.

وقال صاحب تحفة الأحوذي: من **"اقتراب الساعة"** أي: من علامات قرب القيامة، ومعنى: **"هلاك العرب"** أي مسلمهم، أو جنسهم، وفيه إيماء إلى أن غيرهم تابع لهم، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، وهو قوله ﷺ: **"لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس"**.[٧٦٠] بل ولا يكون في الأرض من يقول

---

[٧٥٨] - فرسان النهار – د.سيد العفاني (مختصرًا).

[٧٥٩] - رواه الترمذي في سننه (٣٨٦٤)، وقال: هذا حديث غريب، وضعَّفه الألباني في ضعيف الترمذي (٨٢٥)، وقد رواه الترمذي عن محمد بن أبي رزين عن أمه أنَّها قالت: كانت أم الحُرَير إذا مات أحدٌ من العرب اشتد عليها، فقيل لها: إنَّك نراكِ إذا مات رجلٌ من العرب اشتد عليكِ؟ قالت: سمعت مولاي يقول: قال رسول الله ﷺ - وذكر الحديث – قال محمد بن أبي رزين: ومولاها هو طلحة بن مالك رضي الله عنه.

[٧٦٠] - رواه مسلم في صحيحه (٥٢٤٣)، وأحمد في مسنده (٣٥٤٨) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

الله.[761] فمعناه هو زوال الملك فلا وجود لمن يقول: لا إله إلا الله، وهذا يقع بعد قبض المؤمنين جميعًا قبل قيام الساعة.

وأرى تحقُّق هذه الآية بزوال ملك العرب، أما قبض المؤمنين في آخر الزمان يكون في حق العرب وغيرهم من المسلمين، كما أن العرب منهم المؤمنون وغيرهم من غير المسلمين والمنافقين.

## ٥٩- حصار العراق والشام:

عن أبي نضرة قال: كنا جلوسًا عند جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فقال: قال رسول الله ﷺ: **"يوشكُ أهل العراق أن لا يُجبى إليهم قفيزٌ[762] ولا درهمٌ"** ،قلنا: من أين؟ قال ﷺ: **"من قِبَلِ العَجَم يمنعون ذلك"**، ثم قال ﷺ: **"يوشك أهل الشام أن لا يُجبى إليهم دينارٌ ولا مُدًى[763]"**. قلنا: من أين ذلك؟ قال ﷺ: **"من قِبَلِ الروم"**.[764]

وقد تحقَّقَ قول رسول الله ﷺ في حصار العراق، فبعد أن غرَّرت الولايات المتحدة الأمريكية برئيس العراق الراحل صدام حسين وأقدم على غزو الكويت في عام ١٩٩١م لتضربه قوات التحالف الدولي على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية لتدمِّر جيشه[765] بالكامل، وتدمِّر البنية التحتية،

---

[761] - تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (١٠/ ٤٣٠)، ومرقاة المفاتيح للعيني.
[762] - القفيز: مكيال لأهل العراق.
[763] - المُدَى: مكيال لأهل الشام.
[764] - رواه مسلم في صحيحه (٥١٨٩)، وأحمد في مسنده (١٣٨٨٦).
[765] - كانت العراق سادس قوة عسكرية على مستوى العالم، والأقوى عسكريًا في الشرق الأوسط، والرابع من حيث عدد الجنود على مستوى العالم، إذ كان قوام الجيش مليون جندي عام ١٩٩٠م، وقد صارت اليوم دولة بلا جيش،

فقد حاصرت العراقَ حصارًا محكمًا وظلت تعيث الفساد في البلاد بحجة البحث عن الأسلحة النووية حتى أجهزت على الشعب العراقي وسرقت أمواله، وخلال الفترة من أبريل ٢٠٠٣م وحتى أغسطس ٢٠٠٧ (أربع سنوات ونصف) بلغ عدد القتلى المدنيين في العراق مليون وثلاثة وثلاثين ألف قتيلٍ (١,٠٣٣,٠٠٠)، منهم ٤٠٪ قُتلوا برصاص وقذائف الأمريكان (الاحتلال الأمريكي العسكري)، وبلغ عدد المسجونين في السجون العراقية في عام ٢٠٠٨م نحو ٢٤ ألفًا، وبلغ عدد المشردين نحو ٤,٨ مليون عراقي، منهم مليونان خارج العراق في سوريا والأردن، وهذا يعني أنَّ خُمُس الشعب العراقي المتبقِّي بعد القتل أصبح مشردًا، وذكرت إحصائيات "اليونيسيف" أنَّ هذا القتل البشع في العراق قد خلَّف ٤-٥ مليون يتيم تعولهم ١,٥ مليون أرملة. وقد انهارت الأوضاع الاقتصادية تمامًا فبعد أن كان العراق أغنى بلاد العالم أصبح أفقر دول العالم رغم أنها تمتلك ثاني مخزون بترولي في العالم، فضلاً عن ثرواتها المعدنية والزراعية، وقد ذكر تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٥م أنَّ نسبة الفقر بالعراق تجاوزت ٦٠٪، وأنَّ البطالة المعلنة أكثر من ٣٨٪، هذا بالإضافة إلى ٢٢٪ من البطالة المقنَّعة، كما سادت حالة من التدهور الشديد في البنية التحتية العلمية تمامًا أغلقت لها المدارس والجامعات وهاجر العلماء والأطباء والكوادر الفنية المتخصِّصة، وأصاب البلاد حالة من الارتباك الأمني

---

والقوات الهزيلة التي يدربها الاحتلال الأمريكي تهدف إلى حفظ الأمن الأمريكي قبل العراقي، ولا تحتاج إيران بعد حربها الطويلة معها في ثمانينات القرن الماضي إلى احتلالها وقد أصبحت محكومة بحكومة شيعية أو خائنة.

والفوضى غير مسبوقة في تاريخ العراق كله بل غير مسبوقة في تاريخ المنطقة كلها.[٧٦٦]

وما يجري اليوم في بلاد الشام: فلسطين وسوريا لا يخفى على أحد ما فيه من ظلم وقهر، ففي فلسطين احتلال صهيوني غاشم للشعب الفلسطيني الصامد في غزة والقدس وغيرها، وفي سوريا يقوم العلويون النصيرين[٧٦٧] منذ وصلوا إلى الحكم منذ عام ١٩٧٠م على يد الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد أبرز رجالهم الذي قاد حزب "البعث" المستبد في سوريا ولعل المذبحة التي ارتكبها في "حماه" وراح ضحيتها ٣٠ ألف مسلم تشهد على فترات الظلم التي عاينها الشعب السوري على يديه.[٧٦٨] وتشهد سوريا منذ ١٨/ ٣/ ٢٠١١م ثورة شاملة ضد حكم بشار الأسد الطاغية الذي سار على نهج والده في الطغيان والفساد، بل وفاقه إفسادًا، فالشعب السوري والفلسطيني يعاني الحصار والتجويع، ولا تقوم قوات حفظ السلام والأمن الدولي هناك إلا بتشديد الحصار، والإفساد، ومساندة الظالمين على حساب الشعب المظلوم، اللهم عجِّل بنصرتهم يا رحيم!

---

[٧٦٦] - بين التاريخ والواقع (٣/ ١١٣- ١١٨) – د. راغب السرجاني – طبعة عام ٢٠٠٨م.

[٧٦٧] - النصيرية: حركة باطنية شيعية ظهرت في القرن ١٣هـ على يد غلاة الشيعة الذين زعموا وجودًا إلهيًا لعليٍّ رضي الله عنه، وألهوه. مؤسس هذه الحركة هو أبو شعيب محمد بن نصر البصري النميري (ت: ٢٧٠هـ)، وأصلهم منطقة جبل النصيرية باللاذقية. انتشروا منها مؤخرًا إلى المدن السورية المجاورة، كما توجهت أعداد منهم غربي الأناضول وشرقه وفي أجزاء من تركيا، وألبانيا، وإيران، وتركستان، ولبنان. وصفهم ابن تيمية –رحمه الله- بأنَّهم أكفر من النصارى واليهود وأكفر من كثير من المشركين.. [الموسوعة الميسرة (١/ ٣٩٠)].

[٧٦٨] - بين التاريخ والواقع (٣/ ١١٣- ١١٨) – د. راغب السرجاني – طبعة عام ٢٠٠٨م.

## ٦٠- هدنة تكون بين المسلمين وبين بني الأصفر (الروم):

عن عوف بن مالك ﵁ قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبةٍ من أَدَمٍ[٧٦٩] فقال: **"أُعْدُدْ ستًّا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتحُ بيت المقدس، ثم مُوتَان يأخذُ فيكم كقُعَاصِ الغنمِ[٧٧٠]، ثم استفاضةُ المالِ حتى يُعطَى الرجلُ مائةَ دينارٍ فيظلُّ ساخطًا، ثم فتنةٌ لا يبقى بيتٌ من العرب إلا دخلته، ثم هدنةٌ تكون بينكم وبين بني الأصفر"**.[٧٧١]

وبنو الأصفر هم الروم، وقيل في تسميتهم بذلك قولان: الأول: قول الأنباري أنَّ جيشًا من الحبشة غلبوا على ناحيتهم في بعض الدهر فوطئوا نساءهم فولدن أولادًا صفرًا، والثاني: قول ابن إسحاق أنَّهم نُسبوا إلى الأصفر بن الروم بن العيص (عيصو) بن إسحاق ﵇.[٧٧٢]

وعن ذي مِخْمَر[٧٧٣] ﵁ قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: **"ستصالحكم الرومُ صلحًا آمنًا"**.[٧٧٤]

---

٧٦٩ - الأدم: الجلد المدبوغ.

٧٧٠ - (القُعَاص) (بضم العين المهملة وتخفيف القاف): هو داء يأخذ الدواب فتسيل من أنوفها شيءٌ فتموت فجأة، وقال أبو عبيدة: وفيه أُخذ الإقعاص وهو القتل مكانه (فتح الباري على صحيح البخاري).

٧٧١ - رواه البخاري في صحيحه (٢٩٤٠)، وابن ماجة في سننه (الفتن/ ٤٠٣٢)، وأحمد في مسنده (٢٢٨٤٦، ٢٢٨٦٠، ٢٢٨٧١)، واللفظ للبخاري.

٧٧٢ - التذكرة (٢/ ٦١٤) للقرطبي.

٧٧٣ - ذو مخمر (مخبر) الحبشي ﵁ صحابي أقام بالشام بعد وفاة النبي ﷺ.

٧٧٤ - رواه ابن ماجة في سننه (الفتن/ ٤٠٧٩) بسندٍ حسنٍ، وأبو داود في سننه (٢٣٨٦، ٣٧٤١)، وأحمد في مسنده (١٦٢٢٢، ٢٢٠٧٥، ٢٢٣٧٩)، وتتمة الحديث عند ابن ماجة في سننه (٤٠٧٩)، وأبو داود في سننه (٣٧٤١)، وأحمد في مسنده (١٦٢٢٢، ٢٢٠٧٥)، واللفظ لابن ماجة: **".. ثم تغزون أنتم وهم عدوًا فتنتصرون وتغنمون وتسلمون، ثم تنصرفون حتى تنزلوا بمرجٍ ذي تلول، فيرفع رجل من أهل الصليب الصليبَ فيقول: غلب الصليب، فيغضب رجلٌ من المسلمين فيقوم إليه فيدقه، فعند ذلك تغدر الروم ويجتمعون للملحمة.."**. وسيتم الخوض في تفاصيله وشرحه في الباب الثاني من الكتاب في ذكر الملاحم.

وهذه آخر العلامات الصغرى وقوعًا – وهو الواقع اليوم- فنحن الآن في هدنـة وصـلح مـع سـلالة الـروم وجنسـهم: الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، وأوروبا، ومن على شاكلتهم وإن كانت العداوة والتدبير لا ينقطعا يومًا.

# الفهــرس